فقه الأخلاق

والمعاملات بين المؤمنين

تأليف
مصطفى بن العدوي

الجزء الأول

دار ابن رجب

فقه الأخلاق

والمعاملات بين المؤمنين



الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع :	١٧٩٤١

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦
فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة واستهلال

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾** [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

● **أما بعد؛** فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن المؤمن، بلا شك يريد أن يكون محبوبًا لدى الخالق وأيضًا محبوبًا لدى الخلق.

● وكذلك فإنه يريد أن يكون وجيهًا في الدنيا ووجيهًا أيضًا في الآخرة!!

● وكذلك فإنه يحب أن يحيا حياة طيبة في الدنيا وأن يجازى أجره في الآخرة بأحسن الذي كان يعمل!!

● يحب أن يؤتى في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأن يوقى عذب النار!!

● يحب أن يُجْعَلَ له لسان صدق في الآخرين كما قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

● يحب أن يثني عليه الناس في الدنيا ويمدحونه، ومع ذلك يلاقي الأجر العظيم والثواب الجسيم والثناء الجميل في الآخرة.

● يحب أن يذكر بخيرٍ في الأرض ويذكر في الملأ الأعلى كذلك بخيرٍ وحسن ثناءٍ.

● وليس هذا بضائرٍ للمؤمن في دينه، بل ذلك كله من محاسن هذا الدين

●فأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وعيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] وإبراهيم الخليل يقول: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

● والله يحب بعض العباد، وكذلك يحبهم جبريل وأهل السماء، ويجعل اللهُ لهم وُدًا، ويوضع لهم القبول في الأرض!!

● وهذا الذي ذُكِر يتأتى بفضل الله، ثم بحسن خُلقٍ يرزقه الله العبد ومن ثمَّ، كان أعلى الناس منزلة يوم القيامة، وسيد ولد آدم، وهو رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا[1] .

---

(١) أخرج البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (حديث ٦٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا.

• وأقسم اللَّه سبحانه وتعالى على أن نبيه ﷺ على خلق عظيم؛ قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ - ٤].

• وأثنى اللَّه سبحانه على نبيه ﷺ غاية الثناء بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• وبين اللَّه سبحانه وتعالى شفقة هذا النبي الكريم ﷺ على أمته بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

• وقال تعالى في شأن هذا النبي الكريم ﷺ وأمته: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

• وحث اللَّه سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم ﷺ على خفض جناحه للمؤمنين بقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

• وقد اجتمعت في رسول اللَّه ﷺ خصال الخير من حياءٍ وكرمٍ وشجاعةٍ ووفاءٍ ونجدةٍ وشهامةٍ وحُسنِ استقبالٍ وحِلمٍ وإكرامِ يتيمٍ وحُسنِ سريرةٍ وصدقِ حديثٍ وعفةٍ وطهارةٍ وزكاءِ نفسٍ وسائرِ خصال الخير.

• وقد سُئِلَتْ أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها عن خُلُقِ النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» [1].

وصف مُوجزٌ وبليغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسولَ اللَّه ﷺ!

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلُق رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خُلُق نبي اللَّه ﷺ كان القرآن.

وصف شاملٌ وجامعٌ، «كان خلقه القرآن» صلوات ربي وسلامه عليه.

خُلُقُه هـذا القرآن الذي ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، و﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢].

● خُلقه القرآن، ذلكم الكتاب الذي: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

● كتابٌ مباركٌ ما فرط اللَّه فيه من شيء!!

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

جمع هذا الكتـاب المبارك مكارم الأخلاق خيـرَ جمعٍ ونَظَمَها خـير نَظْمٍ، وسار به رسول اللَّه ﷺ خيرَ سيرةٍ وقام به خيرَ قيامٍ.

فلزمنا الفقه في كتاب اللَّه وتدبر آياته فقد أمرنا اللَّه بذلك وحثنا عليه.

● قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ولزمنا أيضًا النظرُ في سـيرة رسولنا ﷺ والتأسي به وطاعـتُه صلوات اللَّه وسلامه عليه.

● قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

● وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

فلا بد، ولا مفر من النظر في سيرة الرسول ﷺ واتباعها لمن أراد التحلي بمكارم الأخلاق.

● وقد كان النبي ﷺ في مستهل دعوته إلى التوحيد يأمر أيضًا مع دعوته

للتوحيد بمكارم الأخلاق.

● أخرج الإمام[١] أحمد رحمه اللّه في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وفي رواية: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**».

● قال أبو ذر لأخيه - لما بلغه مبعثُ النبي ﷺ - : اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق[٢] !!

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**»[٣].

وبين النبي ﷺ فضل حسن الخلق، وما فيه من أجرٍ وثواب بقوله: «**ما من شيء أثقل في الميزان من خُلُقٍ حسنٍ**»[٤] .

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث: «**وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**»[٥] .

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/٣١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) وإسناده حسن وله شواهد فيها ضعف قد ترقيه إلى الصحة.
قال ابن عبد البر: (وهو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره) انظر «الموطأ» (٩٠٣).

(٢) البخاري (حديث ٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي حديث (٢٠٤) والترمذي حديث (٢٠٠٤) وأبو داود (٢٧٩٩) وأحمد (٦/٤٤٦، ٤٥٢، ٤٥١، ٤٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا.

(٥) وهي عند الترمذي وغيره وله عدة شواهد وهي صحيحة.

وأخـرج أبو داود[١] بإسناد صحيح لشواهده مـن حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سـمعت رسول اللَّه ﷺ يقـول: «**إن المؤمن ليُـدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**».

وقال ﷺ: «**البر حُسن الخلق**»[٢] .

وأخرج التـرمذي [٣] من حديث جـابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) أبو داود (حديث ٤٧٩٨)، وأحمـد (٦/ ٩٠، ١٣٣، ١٨٧)، والحاكم (١/ ٦٠) وله عدة شواهد عند البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٨٤) وأحمد (٢/ ٢٢٠) وغيرهم.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا.

وقد أخـرج الترمذي (٣٠٧٣ ـ تحـفة الأحوذي) بإسناد حـسن عن ابن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وقال الحـافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٧١): قال القـرطبي في «المفهم»: الأخـلاق: أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيـرك على نفسك فتنصف منـها ولا تنصف لها، وعلى التـفصيل: العـفو والحكم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك، وأمـا السخاء فهو بمعنى الجود، وهو بذل مـا يقتني بغير عوض، وعطفه على حسن الخلق من عطف الخاص على العام، وإنما أفرد للتنويه به.

وأما البخل فهو منع مـا يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحـقًا ولا سيما إن كان من غير مال المسئول.

(٣) أخـرجه: التـرمذي (٢٠١٨) وقـال: هذا حديث حـسن غريب من هذا الوجـه، وروى بعضـهم هذا الحديث عن المبارك بن فضـالة عن محـمد بن المنكدر عن جـابر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد وهذا أصح.

قلت: الحديث مروي عند الترمذي من طريق مبارك بن فـضالة عن عبد ربه بن سعيد عن ابن المنكدر عن جابر، ثم أشار الترمذي إلى ما ذكرناه عنه.

وعلى كل حال فمبارك بن فضالة مدلس ومـتكلم فيه أيضًا، لكن للحديث شواهد يُحسن بها والمبارك يحسن حديثه في مـثل هذا الموطن وانظر: «مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

قـال: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**» قالوا: يا رسول اللَّه! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: «**المتكبرون**».

قال الترمذي: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح[1] عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أعطي حظه من الرِّفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**».

وبين النبي ﷺ أن الخيرية تكمن ـ بعد تقوى اللَّه ـ في حسن الخلق قال عليه الصلاة والسلام: «**إن خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[2] .

وفي «مسند الإمام أحمد»[3] وكذلك عند البخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم في الإسلام أحاسنكم أخلاقًا**».

---

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩) من طريق عبد الرحمن بن القاسم ثنا القاسم عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها.. فذكره.
وإسناده صحيح، لكن قد أشار بعض أهل العلم إلى ما يُفيد أنه وقف عليه من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة رضي اللَّه عنها (أي: بدون ذكر القاسم) فالله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ومسلم (حديث ٢٣٢١) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لم يكن رسول اللَّه ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا» وإنه كان يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقًا».

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٤٨١) والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٢٨٥).

وعند أحمد زيادة بنفس الإسناد الصحيح: «**إذا فقهوا**».

وسئل[1] النبي ﷺ فقيل له: يا رسول اللَّه ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: «**حسن الخلق**».

ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى اللَّه، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين.

فإذا كان للشخص رصيدٌ طيب من حسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثمَّ أثار رسول اللَّه ﷺ شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقُهُ في الحديث ﷺ فقال للمشركين: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟!**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا[2]!

وأثار نحو هذا أيضًا عند مجيء اليهود إليه بالمدينة، فأثار الخير الذي في عبد اللَّه بن سلام بقوله: «**أي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام؟**» فقالوا: سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، وها هو الحديث بذلك:

● أخرج البخاري[3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: **أقبل** النبي ﷺ المدينة.. فذكر الحديث وفيه إسلام عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه وفيه أيضًا أن عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه قال: وقد علمت يهود أني

(١)أخرجه: البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٢٩١) وأحمد في «المسند» (٤/٢٧٨) وابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك مرفوعًا بإسناد صحيح.

(٢)أخرجه: البخاري (٤٨٠١) ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم، وفي لفظ للبخاري «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني»، قالوا: بلى، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد».

(٣)البخاري (٣٩١١).

سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل نبي اللَّه ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا اللَّه فواللَّه الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول اللَّه حقًا وأني جئتكم بحق فأسلموا**»، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مراريم قال: «**فأي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام؟**» قالوا: سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا للَّه ما كان ليُسلم. قال: «**يا ابن سلام اخرج عليهم**» فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا اللَّه، فواللَّه الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول اللَّه، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول اللَّه ﷺ.

● وتقدم قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وأخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول اللَّه ﷺ إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد. فقال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: مَهْ مَهْ[٢]. قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**» فتركوه حتى بال. ثم إن رسول اللَّه ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر اللَّه عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول اللَّه ﷺ. قال: فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماءٍ، فشنَّه عليه[٣].

---

(١) مسلم (حديث ٢٨٥).

(٢) مَهْ مَهْ: كلمة للزجر.

(٣) فشنَّه: أي: فصبَّه.

وانظر إلى مـــا رواه مـسلم[١] رحـمه اللَّه من حـديث معـاوية بن الحكم السلمي رضي اللَّه عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول اللَّه ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم. فقلت: يرحمك اللَّه! فـرماني القوم بأبصارهم[٢] فـقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ[٣] !ما شأنكم[٤] تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يصمتونني[٥] لكني سكتُّ. فلما صلى رسول اللَّه ﷺ بأبي هو وأمي! ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تـعليمًا منه. فواللَّه! ما كهرني[٦] ولا ضربني ولا شتـمني. قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلـح فيهـا شيءٌ من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».

● ولما سأل هرقل[٧] أبا سفيان عن رسول اللَّه فقال له: ماذا يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا اللَّه وحده ولا تشركوا به شـيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

وقبل ذلك سـأله هرقل أيضًا فـقال: فهل كنتم تتـهمونـه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وسأله أيضا فهل يغدر؟ قال: لا.

من ثمَّ قال هرقل لأبي سـفيان: (فإن كان مـا تقول حقًا فسـيملك موضع

---

(١)مسلم (حديث ٥٣٧).
(٢)رماني القوم بأبصارهم: أي زجروني بالنظر إليَّ.
(٣)واثكل أمياه: معناها وا فقد أمي إياي فإني هلكت.
(٤)ما شأنكم: أي: ما حالكم وما أمركم.
(٥)يصمتونني: أي: يسكتونني.
(٦)ما كهرني: أي: ما قهرني وما نهرني.
(٧)البخاري (حديث ٧).

قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه).

فانظر إلى آثار حسن الخلق من توحيدٍ وصلاةٍ وصدقٍ وعفافٍ وصلةٍ؟!!

● ولهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم في حُسن الخلق فقد كُلِّلَت به العبادات وزُيِّنت به المعاملات وتوِّجت به العادات فما من عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى إلا وهي مزينة بحسن الخلق وما من معاملة بين الناس إلا وقد جاء فيها الحث على حسن الخلق، وما من عادة من العادات التي أقرها الإسلام وجاء بها إلا وهي مصحوبة بحسن الخلق.

● ففي الصلوات قال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار**»[1] .

وفي رواية أخرى: «**إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة**»[2].

● ومن ثمرات الصلوات ما ذكره الله في كتابه: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

● وفي الصيام قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال النبي ﷺ[3] :«**الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم ـ مرتين..**».

---

(١) البخاري (حديث ٦٣٦) ومسلم (حديث ٦٠٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٦٣٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) البخاري (حديث ١٨٩٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وقال عليه الصلاة والسلام[١]: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

• وفي الحج قال اللّه تعالى: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧].

• وفي الزكاة قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**﴾ [البقرة ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

• وفي المعاشرة الزوجية قال تعالى: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩].

• وفي البيوع ونحوها قال عليه الصلاة والسلام: «**من غشنا فليس منا**»[٢] وقال: «**إن خياركم أحسنكم قضاءً**»[٣].

وهكذا في سائر الأمور[٤].

قال النبي ﷺ: «**إن اللّه كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحدَّ أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»[٥].

---

(١) البخاري (١٩٠٣).

(٢)، (٣) كلاهما صحيح وسيأتي تخريجهما إن شاء الله.

(٤) والمقام لا يتسع للاستفاضة في ذلك.

(٥) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا.

• وانظر إلى فضل حسن الخلق والتأدب مع حديث رسول اللَّه ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

• فالحمد للَّه على هذا الدين القيم الطيب.

• الحمد للَّه على الحنيفية السمحة.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

• **هذا وللأخلاق فقه كما أن للعبادات فقهًا!!**

للشجاعة فقهٌ وللحياء فقهٌ وللكرم فقهٌ ولسائر الأخلاق فقه!!

فقد يظن شخصٌ أنه شجاع مغوار وهو طائش متهور!!!

وقد يظن شخص أنه صادق الحديث قوالٌ بالحق وهو مغتابٌ نمام!!!

قد يبالغ الشخص في اللين وخفض الجناح حتى يصل إلى الاستسلام والضعف والخور!!

والشدة في موطن يحتاج إلى رفق تُعد نوعًا من أنواع التهور والطيش!!

والتراخي في موطنٍ يحتاج إلى حزم يعد نوعًا من أنواع الضعف!!

وقد يصل الكرم بالشخص أحيانًا إلى حد التبذير، ويكون الشخص في عداد المسرفين المبذرين وهو يظن أنه من الكرماء الممدوحين!!

وقد يظن الشخص أنه ينفع أخاه بالثناء الزائد عليه وهو في الحقيقة يقطع عنقه ويذبحه ذبحًا بغير سكين!!!

ومن الناس من تكفيه الإشارة لردعه وزجره ونهيه عما هو فيه!

ومنهم من يحتاج إلى نوع من نوعي البيان، القلم أو اللسان!

ومنهم من لا يصلح معه لزجره إلا الضرب بالسياط!

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...**﴾ [الحديد: ٢٥].

فخصال الناس تختلف وطبائعهم تتنوع وأحوالهم لها اعتبار عند التعامل معهم، وأوضاعهم وظروفهم تحتم علينا نوعًا من التعامل يختلف من شخصٍ إلى شخصٍ آخر. وكي يوفق المرء في التعامل مع الناس عليه أن يعرف الداء وأن يعرف أيضًا الدواء، عليه أن يكون مُلمًا بأكبرِ قدرٍ ممكن من الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه، ومعاملات الرسول ﷺ والناس، ومُلمًا أيضًا بأحوال العباد، ويُنزل الدليل من الكتاب والسنة منزلته الصحيحة، ويعطي كل واقعةٍ ما يليق بها من المعاملة الحسنة معها، وهذا من الحكمة، ومن الحكمة أن تضع الدليل الصحيح في موقعه الصحيح.

فكم من شخص يحمل قدرًا كبيرًا من الكتاب والسنة لكنه لا يعرف كيف ينزل هذا الدليل ولا أين يضع هذه الآية وهذا الحديث!!

مثل ذلك كمثل صيدلي صيدليته كلها دواء، لكن قد يأتيه مريض فيعطيه دواء ليس هو بدواء ذلك الداء، فلا يبرأ المريض، بل يزداد مرضًا إلى مرضه وألمًا إلى ألمه ووجعًا إلى رجعه!

ولكن إذا صُرف الدواء بناءً على وصف طبيبٍ فاهمٍ في طبه وتخصصه، بارع في عمله أصاب الدواء الداء فشفي المريض بإذن الله.

وكذلك حامل الكتاب والسنة عليه أن ينزل كل دليل منزلته وكل تصرفٍ

في موقعـه، وصدق الرسول ﷺ إذ يقـول: «**رب مبلِّغ يبلـغه من هو أوعى له منه**»(١).

وصدق عليـه الصلاة والسـلام إذ يقول: «**من يرد اللَّه به خـيرًا يفـقهـه في الدين**»(٢).

وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:٢٦٩].

وكذلك فاقد الكتاب والسنة كيف يعالج الناس، والدواء ليس بين يديه!!

قد يجـتهـد برأيه فيخطئ برأيـه ويضل! وهذا الغالب، فنصـوص الكتاب والسنة بصائر يستبصر بها العبد، ومناراتٌ يستضاء بها في الظلمات.

● وتنزيل النصوص في منازلها فقـه يؤتيه اللَّه من يشاء وينعم به على من يريد، فقد يكون الشخص على إلمام بكثـير من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، لكنه ينزل النصـوص في غير منازلهـا ويضعها في غـير مواضعـها، وكذلك قد يكون الشخص مُلمًا بأحوال الناس ولكنه لا يدري شيئًا عن كتاب اللَّه وسنة رسـوله ﷺ فلا يدري كيف يتصرف، فيتصرف حينئذ بناء على ما يمليه عليه عقله ويرشده إليه فكره فـلا يكاد يهتدي، بل ولا يهتدي بمعزلٍ عن كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ بحالٍ.

فكان لزامًـا من إلمام بالكتاب والـسنة مع الإلمام بأحوال الناس، ثم سـؤال

---

(١) أخرجه: البـخاري (حديث ٦٧)، ومسلـم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا: وفيه: «ليبلغ الشاهد الغائب فإنه..».

(٢) أخرجه: البخاري (حديث ٧١)، ومـسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعًا.

اللَّه التوفيق في إنزال النصوص منازلها.

والناظر في أحوال صحابة رسول اللَّه ﷺ يرى أن منهم من أوتي علمًا كثيرًا بأحاديث رسول اللَّه ﷺ كأبي هريرة رضي اللَّه عنه ومنهم من أوتي علمًا عظيمًا بالقرآن الكريم كأُبَيّ بن كعب رضي اللَّه عنه وبالحلال والحرام كمعاذ رضي اللَّه عنه فقد قال النبي ﷺ: «**بينا أنا نائم شربت** ـ يعني اللبن ـ **حتى أنظر إلى الرِّيِّ يخرج من ظُفُري** ـ أو أظفاري ـ **ثم ناولت عمر**»، قالوا: فما أولته يا رسول اللَّه قال: «**العلم**». أخرج ذلك البخاري ومسلم في «صحيحيهما».

فأي علم هو الذي أوتيه عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ؟! إنه علم بسياسة الناس، فقد اتسعت الفتوحات في زمنه اتساعًا كبيرًا ومع ذلك فالأحوال كانت مستقرة وهادئة، والعدل سائد والأمن مستقر، وكان ـ رضي اللَّه عنه ـ حائلاً بين المسلمين وبين الفتن كما أشار إلى ذلك حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديثه عن رسول اللَّه ﷺ.

ثم دخلت الفتن بعد مقتل أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه، وأدت هذه الفتن إلى مقتل أمير المؤمنين عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ وهكذا توالت الفتن.

فكان العلم الذي أوتيه عمر كما أسلفنا هو العلم بسياسة الناس وقيادتهم فيقرب إذا احتاج الأمر إلى تقريب، ويباعد إذا احتاج الأمر إلى إبعاد، ويلين إذا احتاج الأمر إلى إلانة، ويشتد حيث يحتاج الأمر إلى شدة، يعطي حيث يُحتاج إلى العطاء، فرضي اللَّه عنه وأرضاه فكان ـ رضي اللَّه عنه ـ موفقًا أيما توفيق ومسددًا أيما سداد وكان حقًا خليفةً بارًا راشدًا ـ رضي اللَّه عنه.

كل هذا بفضل اللَّه، ثم بطول ملازمة عمر لرسول اللَّه ﷺ واقتباسه من

أخلاقه وطريقة تعاملاته مع الناس، ثم الفهم الذي آتاه اللَّه عمر والسداد الذي رزقه اللَّه إياه، والورع الذي منَّ اللَّه عليه به.

فلذلك نرجع فنقول: إنه لا بد ـ للتوفيق في المعاملات مع المؤمنين ـ من إلمام بالكتاب والسنة، والعلم بأحوال الناس، ثم الاجتهاد لإنزال النصوص منازلها الصحيحة، وسؤال اللَّه التوفيق أولاً وآخرًا.

وقد حملني هذا الذي ذكرتُ من فضل حسن الخلق، والحاجة الماسة إلى فقه الأخلاق إلى جمع جملة من النصوص من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب وإتباع ذلك بشيء من الوارد في فقه هذه النصوص، وتنزيل ذلك على واقع الناس في كثير من الأحيان.

● وحرصي زائد، والحمد للَّه ـ على أن أزف للقارئ الكريم كمًا هائلاً من سنة رسول اللَّه ﷺ وسيرته ـ التي وردت بأسانيد صحيحة ـ في ثوب قشيب وسياق جميل ممتثلاً حديث رسول اللَّه ﷺ: «**نضَّر اللَّه امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها**».

● وقد أشرت ـ والحمد لله ـ إلى ما يتم به النفع من مصادر التخريج التي وردت فيها الأحاديث المذكورة، وكذلك الحكم على هذه الأحاديث بما تستحقه صحة أو ضعفًا على وجه الاختصار، فلا معنى ولا كبير فائدة لعزو الحديث إلى الطبراني مثلاً أو إلى أبي نعيم في «الحلية» والحديث في «صحيح البخاري ومسلم» إلا إذا كان في سياق الطبراني فائدة، وفي الغالب فمفاريد الطبراني وغيره من المتأخرين فيها كلام.

● وكذلك كلما وجدت سبيلاً إلى إيراد ما يتعلق بآية من تفسير، سلكت

هـذا السـبيــل، فإنـه يعنـيني بصـورة كـبيـرة جـدًا أن يمتـلئ سمع القـارئ وبصـره وفؤاده بكـلام اللَّه وكـلام رسـول اللَّه ﷺ، ثـم أقـوال أهـل العـلم والفضـل، فـقد نقلت كمًـا طيبًا من الآثار عن الصـحابة العلماء الفـضلاء، والتابعين النجباء وأهل الفقه في الدين، مع ما منَّ اللَّه به علينا في هذا الباب واللَّه المستعان.

● هذا وفي الحقيـقة أنني لم أرد الاستقـصاء في الأبواب التي أوردها إنما فقط أشير إشارات وأُنبه تنبيهـات حتى تتولد عند القارئ ملكة للنظر في فقه الأخلاق ويعرف كيف يتعامـل مع الناس وكيف يستنبط من النصوص وكيف ينزلها على الواقع.

فهي إشـارات وأبحاث ولفـتات لتفـتيح الأذهان وتوسـيع الآفاق وتنمـية المدارك، وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب.

وقد حرصت ـ بتوفيق اللَّه ـ على أن يكون هذا الكتاب سهل التناول أيضًا لعامة المسلمين قريب الفائدة بعيدًا عن التعقيد، مجانبًا للملل.

ثم إنني قد كنت كـتبت على هذا المنوال كتابًا في هذا المضـمار، وإن كان أخص في مـوضوعـه من الكتـاب الذي بين يديَّ الآن، وهذا الكتـاب الذي كنت قد كـتبتـه هو كتـاب «فقه التـعامل بين الزوجين» وهو أحـد أفراد هذا العمل الذي بين يديَّ، فلذلك لم أتـعرض كثيـرًا لما يتعلق بفقه التـعامل بين الزوجين، وأحيل إلى كتابي المشار إليه.

أما الكتاب الذي بين يديَّ الآن فقـد وسمته بـ «**فقه الأخـلاق والمعاملات مع المؤمـنين**» وقد طبع، وللَّه الحمد عدة طبـعات في صورة أجزاء فرأيت أن

أقدمه في هذه الطبعة وقد جمع بعضه إلى بعض في مجلدات حفظًا له وصونًا، فها هو في مجلدين وأسأل اللَّه التمام على خيرٍ ولعله يتبع هذين المجلدين ثالثٌ إن شاء اللَّه.

هذا وقد أدمجت وأدخلت في ثنايا هذين المجلدين كتابًا كان منه فصلٌ في هذه الأجزاء فتوسعت فيه وأودعته في ثنايا هذه المجلدات، ألا وهو كتاب **«أدب التخاطب»** فقد صدر من قبل منفردًا فأودعته هاهنا بحسب ما يتفق مع موضوعات الكتاب.

هذا وأسأل اللَّه العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا الكتاب شافيًا لصدور قومٍ مؤمنين، ومنقذًا لهم من الظلمات، ومقيلاً لهم من العثرات، ورافعا لهم في الدرجات.

وأسأل اللَّه أن ينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتي اللَّه بقلب سليم.

وأسأل اللَّه أن أكون قد وُفقت فيما جمعت، وأحسنت فيما رتبت وسدِّدت فيما نقلت، وأسأل اللَّه سبحانه أن يحسن أخلاقي وأخلاق المسلمين فكما قال القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فأسأل اللَّه أن يجملنا بالخلق الحسن، وأن يكلل مساعينا بالتوفيق والسداد.

ثم ما كان من توفيق في هذا الكتاب فمن اللَّه وحده فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، واللَّه ورسوله بريئان منه، واللَّه أسأل أن يغفر لي زلتي وأن يقيل عثرتي وأن يستر عورتي

ويؤمن روعتي ويسكنني مع أهلي والمؤمنين الفردوس.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبها

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر - الدقهلية - منية سمنود

من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين:

• مراقبة الله عز وجل والعمل ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى •

• فمن أعظم أسباب النجاح في التعاملات مع الناس، بل أعظمها على الإطلاق أن تبني أعمالك وتنشئ تصرفاتك كلها معهم ابتغاء وجه اللَّه وطلبًا لثوابه ومرضاته:

فإذا أعطيتَ تُعطي للَّه، وإذا منعت تمنع للَّه!

وإذا أحببت تحب للَّه، وإذا أبغضت تبغض للَّه!

إذا خاصمت تخاصم للَّه، وإذا حاكمت تحاكم للَّه!

وإذا صبرت تصبر للَّه، وإذا غضبت تغضب للَّه!

وهكذا في شئونك كلها معهم، وبهذا جاءت الأدلة من كتاب اللَّه تبارك وتعالى ومن سنة رسول اللَّه ﷺ، فضلاً عن كون ذلك من البديهيات التي يعرفها كلُّ مؤمن.

ففي الإنفاق والإطعام والعطاء:

• قال اللَّه تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

• وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾ [الليل: ١٨ - ٢١].

• وقال تعالى: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٧٢].

• وقال سبحانه: ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ [الروم: ٣٩].

وفي الإصلاح كذلك بين الناس :

لا تصلح بينهم ليـقال عنك مُصلـح، بل أصلح بينهم ابتغـاء رضوان اللَّه وابتغاء ما عند اللَّه.

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٤].

فعليك أن تتناجى بالخير ابتغاء مرضات اللَّه.

وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات اللَّه.

وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات اللَّه.

ذلك كله حتى تُؤتى الأجر العظيم.

وكذلك في الصبر على أذى الناس :

إذا صبرت لا تصبر ليُقال عنك صابر!

لا تصبر خوفًا على صحتك!

لا تصبر لكون الطرق مغلقة إلا طريق الصبر!

ولكن اصبر ابتغاء وجه ربك، وابتغاء ثواب ربك!

قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾

[الرعد: ٢٢].

وإذا شهدت شهادة فاشهد للَّه :

قال تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ** ﴾ [الطلاق: ٢].

فلا تشهد ليُقال عنك قوالٌ بالحق.

ولكن اجعل شهادتك وكلمتك للَّه سبحانه: طلبًا لثوابه وابتغاء رضوانه.

إذا تعلَّمت فتعلَّم للَّه، وإذا جاهدت فجاهد للَّه، وإذا أنفقت فأنفق للَّه:

فإنك إذا تعلمت ليقال عالم: سعِّرت بك النار، وكذلك إذا جاهدت ليقال مجاهد، وكذلك إذا أنفقت ليُقال عنك منفق، وبهذا جاء الحديث عن رسول اللَّه ﷺ:

● ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جريءٌ. فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالمٌ وقرأت القرآن ليقال هو قارئٌ. فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ وسَّع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركت من سبيلٍ تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه. ثم ألقي في النار**».

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥).

اجعل صلاتك للَّه، ونُسكك للَّه، وحياتك كلها للَّه، ومماتك للَّه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣].

وجاءت نصوص السنة بذلك أيضًا :

قـال النبي ﷺ في بيان السبـعة الذين يُظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجلان تحابا في اللَّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه»[١].

● وقـال النبي ﷺ: «ثلاثٌ من كُنَّ فـيه وجد حـلاوة الإيمان: أن يكون اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهمـا، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»[٢].

● وقال عليه الـصلاة والسلام: «من أحب للَّه وأبغض للَّـه وأعطى للَّه ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان...»[٣].

● وكما قال عليـه الصلاة والسلام: «إنك لن تنفق نفقة تبـتغي بها وجه اللَّه إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك»[٤].

● وفي الحديث كذلك: «إذا أنفق المسلم على أهله ـ وهو يحتسبها ـ كانت له صدقة»[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٦٦٠)، ومسلم (حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ١٦) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا، ومسلم (حديث ٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٨١) بإسناد حسن من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه مرفوعًا وله شاهد عند أحمد (٣/ ٤٤٠) من حديث معاذ الجهني رضي اللَّه عنه مرفوعًا بزيادة: «وأنكح للَّه».

(٤) البخاري (حديث ٥٦)، ومسلم (ص١٢٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٥) البخاري (حديث ٥٣٥١)، ومسلم (حديث ١٠٠٢).

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلِّي يوم لا ظل إلا ظلِّي**».

• وفيه أيضًا[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرسل اللَّه له على مَدْرَجَتِه ملكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في اللَّه عز وجل، قال: فإني رسول اللَّه إليك بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه**».

• وفي «مسند الإمام أحمد»[٣] من طريق أبي مسلم الخولاني رحمه اللَّه قال: أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حَلْقَةٌ فيها كهول من أصحاب النبي ﷺ، وإذا شابٌّ فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى، فتى شاب، قال: قلت لجليس لي: من هذا؟ قال: هذا معاذ بن جبل، قال: فجئت من العشي فلم يحضروا، قال: فغدوت من الغد فلم يجيئوا، فرحتُ فإذا أنا بالشاب يصلي إلى سارية فركعتُ، ثم تحولت إليه، قال: فسلَّم، فدنوتُ منه، فقلت: إني أحبك في اللَّه قال: فدنا إليه قال: كيف قلت؟ قلت: إني لأحبك في اللَّه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يحكي عن ربه يقول: «**المتحابون في اللَّه على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله**» قال: فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٦٦).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٣) أحمد (٥/٢٣٦) وهو صحيح بمجموع طرقه.

ابن جبل فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يحكي عن ربه عز وجل يقول: «**حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، والمتحابون في اللَّه على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله**».

• وفي رواية للترمذي[1] لهذا الحديث مختصرة: «**قال اللَّه عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**».

وإذا أحببت القوم للَّه وفي اللَّه حُشرت معهم يوم القيامة:

• ففي «الصحيحين»[2] من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: «**المرء مع من أحب**».

راقب اللَّه في تصرفاتك مع الناس فأعمالك يراها اللَّه:

• قال النبي ﷺ: «**الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

• وقال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ [طه: ٧].

• وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

• وقال سبحانه: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ**

---

(١) الترمذي (٢٣٩٠) من حديث معاذ وإسنادها حسن.

(٢) البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (ص٢٠٣٤) وقد وقع لأبي وائل شيخان في هذا الحديث فرواه أبو وائل مرة عن أبي موسى ومرة عن ابن مسعود، وكلا الطريقين صحيح وانظر «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١) من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ من ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

﴿اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وإرضاء الناس كلهم غاية لا تدرك، فإنك لا تكاد ترضي هذا حتى يسخط عليك هذا؛ فاجعل رضا اللَّه عنك مطلبًا لك، ومبتغىً تبتغيه، وغايةً تنشدها، حتى لا تندم على أفعال الخير وصنائع المعروف التي تقدمها للناس وخاصة الجاحدين الذين يجحدون المعروف وينكرون الإحسان ويجعلون إحسانك إليهم جزءًا من الواجب لهم عليك والحق المقرر لهم عندك!!!

فلا تُرْضِ الناسَ بسخط اللَّه عليك، بل أطع اللَّه فيهم واتق اللَّه فيهم فإن النبي ﷺ قد قال: «**من أرضى اللَّه بسخط الناس كفاه اللَّه الناس، ومن أسخط اللَّه برضا الناس وكله اللَّه إلى الناس**»[1].

وإذا تركت شيئًا فاتركه للَّه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنك لن تدع شيئًا اتقاء اللَّه جل وعزَّ إلا أعطاك اللَّه خيرًا منه**»[2].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (حديث ١٥٢٢ بتحقيقي) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٨ - ٧٩) من حديث رجلٍ بدوي عن رسول اللَّه ﷺ، وإسناده صحيح.

• وحتى لا تندم •

وكما أسلفنا فعليك أن تحرص غاية الحرص على أن يكون عطاؤك للَّه ومنعك للَّه وأخذك للَّه وحبك للَّه وبغضك في اللَّه وشئونك كلها للَّه، وذلك حتى لا تندم على خيرٍ صنعته، فسجايا الناس تختلف، وطبائعهم تتنوع، فقد تحسن إلى شخص غاية الإحسان ويقابل ذلك بمنتهى الجحود والكفران فحتى لا تُصدم بمعالة الناس السيئة وبجحودهم وكفرانهم عليك أن تخلص الأعمال كلها للَّه.

وأذكرك أخي الكريم بقصة ذلك الرجل الذي تصدق فوقعت صدقته في يد سارق ثم تصدق فوقعت صدقته في يد زانية، ثم تصدق فوقعت صدقته في يد غني، وهو لا يعلم، ومع ذلك كله فإن صدقته تقبَّلها اللَّه عز وجل لما علمه اللَّه من نيته وحرصه على مرضاة ربه وها هي قصته وهذا هو حديثه:

• أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال رجلٌ: لأتصدقن بصدقة، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على سارق. فقال: اللهم لك الحمد. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد، على زانية، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يدي غنيٍّ، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غنيٍّ. فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غنيٍّ. فأُتي فقيلَ له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف**

(١) البخاري (حديث ١٤٢١).

عن سرقتـه، وأما الزانية فلعلها أن تسـتعف عن زناها، وأما الغنيُّ فلعله أن يعـتبر، فينفق مما أعطاه اللَّه» .

● ونحوه ما أخرجه البخاري[1] من حديث معن بن يزيد رضي اللَّه عنهما قـال: بايعـتُ رسـول اللَّه ﷺ أنا وأبي وجـدي، وخطب علـي فـأنكحني وخاصمت إليه. وكان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال: واللَّه ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن**».

وكـمـا أسلفنا فطبـائع النـاس وسـجايـاهم تخـتلف، وإن كـانوا من أهل الإسلام، فكثيرٌ منهم لم يتأدب بآداب الإسلام ولم يتخلق بأخلاق المسلمين:

فمنهم المحسن، ومنهم المسيء!

منهم المصلح، ومنهم المفسد!

منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك كانوا طرائق قددًا.

منهم من يبـحث عن أهل الفـقر والمسكنة والقـلَّة والحاجـة كي يتصـدق عليهم، ومنهم من يبحث عن هؤلاء ليظلمهم ويتسلط عليهم!

منهم من يبـحث عن الأيتام ليكفلهم ويحنو عليـهم ويطعمـهم ويسقـيهم ويكسوهم، ومنهم من يأكل أموال اليتامى ظلمًا!

منهم من يعمر مساجد اللَّه، ومنهم من يسعى في خرابها!

منهم مفاتيح للخير ومغاليق للشر، ومنهم مغاليق للخير مفاتيح للشر!

---

(١) البخاري (حديث ١٤٢٢).

منهم من يشتري مصحفًا للمسجد، ومنهم من يسرق المصاحف من المساجد، بل ويسرق حصير المسجد كذلك!

منهم من يدعو إلى الـلَّه وإلى سنة رسول اللَّه ﷺ، ومنهم من يحارب ذلك وهو يشعر أو لا يشعر!

منهم من يصلح بين الناس، ومنهم من يمشي بينهم بالنميمة والفساد!

منهم من تحسن إليه، ويسيء إليك!

تريد له الستر، ويريد لك الفضيحة!

تريد له الغنى، ويريد لك الفقر!

تحبه، ويبغضك!

تريد حياته، ويريد قتلك!

وكما قال القائل :

علمتُـه الرَّمْـيَ فلما اشتـد ساعده رماني

تدخله بيتك لإكرامه ويدخل بيتك لتتبع العورات!

هذه طوائفُ وفرق!!

وهناك طوائف صالحة نقية تقية، تقابل الإحسان بالإحسان، وتقابل المعروف بالشكر والعرفان.

فهي أخلاقيات قدرها اللَّه بين العباد وقسمها كما تقسم الأرزاق!

وإن كان هؤلاء أهل إسلام ويشملهم مسمى المسلمين!!

ألا ترى إلى قاتل عليٍّ؟!! إنه رجل مسلم يشهد ألا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه.

ألا ترى إلى القائل الذي قال لرسول الله ﷺ: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل[١]؟!! إنه رجل يقول بلسانه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ألا ترى إلى القائل عن قسمة رسول الله ﷺ: هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله[٢]؟! إنه رجل كذلك يشهد ألا إله إلا الله.

ألا ترى إلى بعض قذفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟ إنه مسلم بدري[٣] صحابيٌّ قريبٌ لها وكان أبو بكر يكرمه وينفق عليه!!

فليكن رجاؤك إذا أحسنت إلى الناس ثواب الله، وليكن مطلبك رضا الله عنك حتى لا تندم، وحتى لا تفاجأ بما لا يسرك من تصرفات هؤلاء البشر!!

فاجعل هذا نُصْبَ عينيك لا تخطئه ولا تغفل عنه ولا تشرد بقلبك بعيدًا، فإنك إن أخطأت وغفلت وشردت ضللتَ وما كنت من المهتدين.

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٣٦١٠)، ومسلم (ص٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه: «يا رسول الله اعدل» والقائل رجلٌ من تميم يقال له: (ذو الخويصرة).
ومسلم أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه: «يا محمد اعدل».
والقائل رجل أتى رسول الله ﷺ بالجعرانة (مسلم ١٠٦٣) وعند ابن ماجه ولفظه: «اعدل يا محمد فإنك لم تعدل» (ابن ماجه حديث ١٧٢).

(٢) الحديث في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسمًا فقال رجل: إنها لقسمة ما أُريد بها وجه الله.
وفي رواية أخرى في «الصحيح» أيضًا: «إن هذه القسمة ما عُدل فيها وما أُريد فيها وجه الله» البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (٣/١٠٥) مع النووي.

(٣) هو مسطح بن أثاثة رضي الله عنه.

أصل آخر من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين:

• إنما المؤمنون إخوة •

هذا قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فعلى كل مسلم أن يضع هذا نُصْبَ عينيه عند التعامل مع المؤمنين، عليه أن يضع في الاعتبار أن أهل الإيمان كلهم له إخوان، وذلك حتى ينجح في تعاملاته معهم، فذلك من أصول النجاح، وقد دلت أدلة لا حصر لها من الكتاب والسنة على هذا الأصل، أصل التآخي بين المؤمنين:

• قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

• وقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. [الحجرات: ١٢]

• وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

• وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

• وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

---

(١) البخاري (حديث ١٣)، ومسلم (حديث ٤٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

- وقال ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»(١).
- وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»(٢).
- وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»(٣).
- وقال عليه الصلاة والسلام: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»(٤).
- وقال ﷺ: «**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»(٥).

وقال ﷺ في شأن الغيبة: «**ذكرك أخاك بما يكره**»(٦).

- وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر: «**لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها**»(٧).

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كُربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) بإسناد فيه ضعف، ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كُربة من كربات يوم القيامة، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

(٧) البخاري (٥١٥٢) ومسلم (مع النووي ٣/ ٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

• وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الخدم: «**إخوانكم خولكم**»[(١)].

• وفي البيوع قال ﷺ: «**لا يبع الرجل على بيع أخيه**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**أرأيت إن منع اللَّه الثمرة بم تستحل مال أخيك؟!**»[(٣)].

• وفي الخِطبة قال عليه الصلاة والسلام: «**ولا يخطب على خطبة أخيه**»[(٤)].

• بل وفي المشاكل والمضاربات قال ﷺ: «**إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمن الوجه**»[(٥)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح**»[(٦)].

وكان النبي ﷺ دائم التذكير بهذا الأصل في أقواله وأقضيته بين المؤمنين كما أسلفنا، ومن ذلك أيضًا:

• قوله ﷺ: «**فمن قضيت له بحق أخيه بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار..**»[(٧)].

• وقوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول اللَّه، هذا

(١) البخاري (حديث ٣٠) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٢١٣٩)، ومسلم (حديث ١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٣) البخاري (٢١٩٨)، ومسلم (حديث ١٥٥٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٥١٤٢)، ومسلم (ص١١٥٤) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٥) مسلم (مع النووي ٥/ ٤٧١) كتاب البر والصلة من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٦) البخاري (حديث ٧٠٧٢)، ومسلم (حديث ٢٦١٧).

(٧) أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها».

ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟! قال: «**تأخذ فوق يديه**»[1].

- وقوله ﷺ في شأن ضالة الغنم: «**لك أو لأخيك أو للذئب**»[2].
- وقوله ﷺ في التحلل من المظالم: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه..**»[3].
- وقوله ﷺ: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم..**»[4].

وجاءت جملة نصوص أخر في هذا المعنى أيضًا:

- قال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[5].
- قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[6].
- وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[6].

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٤)، وفي رواية: «تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره» (البخاري ٢٩٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.
وعند مسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.. فذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ وفيه: «ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلومًا لينصره».

(٢) البخاري (حديث ٢٤٢٧)، ومسلم (حديث ١٧٢٢) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا.

(٦) مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

وفي رواية ثالثة: «**المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كُلُّه وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كلُّهُ**»[١].

وجاءت أيضًا نصوص الكتاب العزيز تؤكد أن المؤمنين نفس واحدة:

- قال تعالى: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ [الحجرات:١١] أي: لا تلمزوا إخوانكم.
- وقال تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ [النور:١٢]، أي: بإخوانهم.
- وقال سبحانه: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ**﴾ [النور:٦١]. قال بعض أهل العلم: على إخوانكم.

فأثبتت هذه النصوصُ الأُخوةَ بين المؤمنين، ولهذه الأخوة مستلزمات، منها كما أسلفنا أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه[٢]، فكما يحب لنفسه الربح يحب لأخيه الربح، وكما يحب أن يُستر عليه فليحب كذلك أن يُستر على أخيه، وكما يدعو لنفسه يدعو لأخيه، وإذا رأى أن يشتد على أخيه فيشتد على أخيه من أجل مصلحة أخيه ويأخذ على يديه إن رآه يظلم الناس... إلى غير ذلك من مستلزمات الأخوة والتوفيق بالله وهو المستعان.

(١) هذه الرواية عند مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) وانظر إلى هذه الخصلة النبيلة من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وحاول واجتهد أن تكون كذلك مع إخوانك ومع المسلمين.

أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد صحيح عن ابن بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عزَّ وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلِّي لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة. أخرجه الطبراني «المعجم الكبير» (١٠٦٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٢١ ـ ٣٢٢).

أصل ثالث من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين:

● كثرة الاطلاع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والإلمام بأكبر قدر ممكن من ذلك ●

فكما لا يخفى على اللبيب، أن أحسن الكلام كلام اللَّه عز وجل قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ [الزمر: ٢٣].

وأن أصدق الحديث كتاب اللَّه، قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ [النساء: ١٢٢].

و«**خير الهدي هدي محمد ﷺ**»[1]، كما قال النبي ﷺ.

وكذلك فرسولنا ﷺ لا ينطق عن الهوى ﴿**مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣، ٤]، فأكثِرْ من حَمْلِ الكتاب والسنة ففيهما وفي حَمْلهما والفقه فيهما الخير كل الخير، أكثِرْ من حَمْلهما فبهما تستضيء في طريقتك وفي مسالكك وفي تعاملاتك.

فكم من حديث تحسم به مشكلة بين المسلمين!

وكم من آية يُدفع بها شر عظيم عنك، بل وعن عموم المسلمين!

وكم من حديث تتخلق به مع الناس؛ فيجلب لك محبة الخالق ثم محبة الخلق!

كم من آية تقرؤها فترقق قلبك لفعل أشياء شتى من أبواب المعروف والبر!

وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

وصدق رسوله ﷺ إذ يقول: «**من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين**»[١].

وهذا كله فضلاً عن الأجر الأخروي المدخر لك:

• فإن اللَّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١].

• وقال النبي ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[٢].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**نضَّر اللَّه امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلّغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»[٣].

وأسوق إضافة إلى الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف ـ أثرًا واحدًا فقط: يبين فضل العلم بالكتاب والسنة، وفضل الفقه في الدين، وكيف أثَّر ذلك في طائفة كبيرة من الناس! وعمل ما لم تعمله السيوف! وكيف رجع الألوف إلى الحق بعد الضلال قبل القتل والقتال:

• أخرج النسائي في «الخصائص» بسند حسن[٤] عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي رضي اللَّه عنه: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك، قلت: كلا، قال: فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا: مرحبًا

---

(١) البخاري (حديث ٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أبو داود (٢/ ١٥٣) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا بإسناد حسن.

(٣) صحيح ومعناه متواتر، وانظر «سنن أبي داود» (حديث ٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦).

(٤) النسائي في «الخصائص» حديث (١٨٥).

بك يا ابن عباس فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول اللَّه ﷺ وابن عمه؟

قالوا: ثلاث. قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهن فإنه حكَّم الرجال في أمر اللَّه وقال اللَّه تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [يوسف: ٤٠]. ما شأن الرجال والحكم؟

فقلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا سلبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم؟

قلت: هذه اثنان فما الثالثة؟

قالوا: إنه محا نفسه عن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب اللَّه ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلت: أما قولكم: حكَّم الرجال في أمر اللَّه، فأنا أقرأ عليكم في كتاب اللَّه أن قد صيَّر اللَّه حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم فأمر اللَّه الرجال أن يحكموا فيه قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾ [المائدة: ٩٥] الآية.. فأنشدتكم باللَّه تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من

الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟!! وأنتم تعلمون أن اللَّه تعالى لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال اللَّه عز وجل: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥] فأنشدتكم باللَّه حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟. أَخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم؛ أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟

فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم: ليست بأمنا، فقد كفرتم لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٦] أنتم تدورون بين ضلالتين فأْتُوا منهما بمخرج.

قلت: فخَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي اللَّه عنه: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول اللَّه ﷺ**» فقال المشركون: لا واللَّه ما نعلم أنك رسول اللَّه لو نعلم أنك رسول اللَّه لأطعناك، فاكتب محمد بن عبد اللَّه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**امح يا علي: رسول اللَّه، اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللَّه**» فوالله لرسول اللَّه ﷺ خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة.

خَرَجْتُ من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقاتلوا

على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار.

• وقـد ورد نحو هذا عن علي رضي اللَّه عـنه عند أحمـد في «المسند»[1] بإسناد حسن أيضًا من طريق عبيد اللَّه بن عـياض بن عمرو القاري قال: جاء عبد اللَّه بـن شداد فدخل على عائشـة رضي اللَّه عنها ونحن عندها جلوس مَرْجِعَه من العراق ليالي قـتل علي رضي اللَّه عنه، فقالت له: يا عبد اللَّه بن شداد، هـل أنت صادقي عـما أسـألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القـوم الذين قتلهم علي رضي اللَّه عنه.

قال: وما لي لا أصدقك؟

قالت: فحدِّثني عن قصتهم

قال: فإن عليًا رضي اللَّه عنه لما كاتب معاويةَ وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميصٍ ألبسكه اللَّه تعالى واسمٍ سمَّاك اللَّه تعـالى به ثم انطلقت فحكَّـمتَ في دين اللَّه، فلا حكم إلا للَّه تعـالى، فلما أن بلغ عليًا رضي اللَّه عنه ما عتبوا عليـه وفارقوه عليه فأمر مؤذنًا فأذَّن أن لا يدخل على أميـر المؤمنين إلا رجل قد حـمل القرآن، فلما آن امـتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فـوضعه بين يديه فجعل يصكه بيـده ويقول: أيهـا المصـحف حدِّث الناس، فناداه النـاس فقـالوا: يا أميـر المومنين، ما تسأل عنه إنما هو مـداد في ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب اللَّه، يقول اللَّه تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِه

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ أن كاتبت معاوية كتب علي ابن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول اللَّه ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا فكتب رسول اللَّه ﷺ: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» فقال سهيل: لا تكتب بسم اللَّه الرحمن الرحيم فقال: «كيف نكتب؟» فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «فاكتب محمد رسول اللَّه» فقال: لو أعلم أنك رسول اللَّه لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد اللَّه قريشًا. يقول اللَّه تعالى في كتابه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم عليٌّ عبدَ اللَّه بنَ عباسٍ رضي اللَّه عنه، فخرجت معه حتى إذا توسَّطْنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب اللَّه ما يعرف به هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ **قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٨] فرُدُّوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب اللَّه.

فقام خطباؤهم فقالوا: واللَّه لنواضعنه كتاب اللَّه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله.

فواضعوا عبد اللَّه الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفةَ.

فبعث علي رضي اللَّه عنه إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم

فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن اللَّه لا يحب الخائنين.

فقالت له عائشة رضي اللَّه عنها: يا ابن شداد فقد قتلهم؟!

فقال: واللَّه ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة.

فقالت: آللَّه؟

قال: آللَّه الذي لا إله إلا هو لقد كان.

قالت: ما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه يقولون: ذو الثدي وذو الثدي؟

قال: قد رأيته وقمت مع علي رضي اللَّه عنه عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك.

قالت: فما قول علي رضي اللَّه عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟

قال: سمعته يقول: صدق اللَّه ورسوله.

قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟

قال: اللهم لا.

قالت: أجل صدق اللَّه ورسوله، يرحم اللَّه عليًا رضي اللَّه عنه، إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق اللَّه ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث.

* * *

أصل أصيل من أصول النجاح في المعاملات مع المؤمنين:

• سؤال الرب جل وعلا التوفيق وحسن الخلق •

فالمهتدي من هداه اللَّه:

• قال أهل الإيمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

• وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

• وقال تعالى في الحديث القدسي: «.. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[1].

والموفَّق من وفقه اللَّه:

قال نبي اللَّه شعيب ﷺ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

والصبور من صبَّره اللَّه:

• قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

والمثبَّت من ثبته اللَّه:

• قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

• وقال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤].

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه تبارك وتعالى.

• وكل النعم من اللَّه: ﴿مَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ﴾ [النحل: ٥٣].

فحسن الخلق من اللَّه:

• قـال النبي ﷺ: **«اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**[١].

• وورد أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء: **«اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»**[٢].

• وفـي روايـة[٣]: **«اللهم إني أعـوذ بك من منكـرات الأخلاق والأعـمـال والأهواء»**.

• وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: **«اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»**[٤].

• فسَلِ اللَّهَ يا عبد اللَّه أن يوفقك فـي تعاملاتك مع المؤمنين للخير، وأن يُحبب فيك العباد، قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[٥] [طه: ٣٩].

وَسَلِ اللَّه أن يُحسن أخلاقك، وأن يلهمك الصواب، ويرزقك الرشد.

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٥٧) من حديث علي رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (حـديث ١٣٨٤) من حديث قطبة بن مالك رضي اللَّه عنه مرفوعًا وهو صحيح لشواهده.

وأخرجه أيضًا الحاكم في «المستـدرك» (١/ ٥٣٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وانظر ابن حبان (٢٤٢٢).

(٣) هي عند الترمذي (٣٥٩١) وقال الترمـذي: هذا حديث حسن غريب قلت: وفي الرواية المشار إليها عند الترمذي ضعف لكن يشهد لها ما قبلها.

(٤) أحمد في «المسند» (٦/ ٦٨) بإسناد صحيح عن عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

(٥) قال بعض أهل العلم: كان كل من يرى موسى يحبه.

فكم من كلمةٍ تخرج منك يُصلح اللَّه بها بين طوائف من المسلمين!

وكم من كلمة تصدر، تتسبب في قطع أرحام وإفساد ذات البين!

فانتبه وسلِ اللَّهَ الوفيق والهداية على الدوام.

أمور تجلب المودة والمحبة مع شيء من فقهها وفوائدها :

وها هي أمور تجلب المودة والمحبة بين العباد، فحتى يسمع الناسُ منك وحتى يلينوا لك وحتى يقبلوا شفاعاتك، وحتى يطمئنوا إلى بيوعك وشرائك وحكمك وقضائك، وحتى يشكروا لك معروفك وإحسانك ينبغي أن يتوافر فيهم جانب وقدر من الحب لك والتوقير والإجلال، وكما قال الرسول ﷺ: «**إن آل أبي .... ليسوا بأوليائي إنما وليي اللَّه وصالح المؤمنين**» وفي زيادة: «**ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلالها**»[1] أي: سأصلها بصلتها.

فالرحم كالجلد اليابسة، إذا بُلَّت، أصبحت لينة فيسهل عليك تشكيلها، فإذا وصلت أرحامك وأحسنت إليهم لانت لك قلوبهم وسهل أمرهم عليك واستمعوا لحديثك، أما إذا كنت قاطعًا للرحم ولم تبلها ـ أي: لم تصلها ـ فلا يكاد أحدٌ من أرحامك يستمع لك ولا يصغي لقولك.

وكذلك غير الأقارب إذا رأوا منك الود والمحبة لهم والحرص عليهم والشفقة والحنو أحبوك، ومن ثمَّ نجحت في تعاملاتك معهم بإذن اللَّه.

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٩٠) من حديث عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول اللَّه ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخص فقال: «يا بني كعب بن لؤي .. فذكر الحديث وفيه: «فإني لا أملك لكم من اللَّه شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها» (مسلم حديث ٢٠٤).

وها هي طائفة من الأمور التي تجلب المودة والمحبة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فمن ذلك ما يلي:

• الإيمان بالله والعمل الصالح •

وهذا يجلب لك محبة الله عز وجل ومن ثمَّ يوضع لك القبول في الأرض، دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم:٩٦]، أي: محبة في قلوب العباد، على قول كثير من المفسرين.

• ويشهد لذلك حديث أبي هريرة[١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحبَّ الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحبّ فلانًا فأحبوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض**».

• وفي رواية مسلم[٢]: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

فاجتهد في أن ترضي الله عنك، واجتهد في العمل بطاعته واجتناب

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٠).
(٢) مسلم (حديث ٢٦٣٧).

معاصيه فـالله الذي يقذف الحبَّ في قلوب العباد لك، وهو الذي يكف أذى العباد عنك.

• قال تعالى: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٣].

• وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم** ﴾ [الفتح: ٢٤].

• وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٩٠].

فأصلح ما بينك وبين ربك يصلح الله ما بينك وبين العباد.

واحـذر أن تتسلط عليك ذنوبُك فـتفـشل في التـعامل مع الناس بسـبب ذنوبك، وقد قـال تعالى: ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى: ٣٠].

• إفشاء السلام •

ومن الأمور التي تجلب المحبة وتنشـر المودة بين الناس: إفشاء السلام أي: نشره وإظهـاره والإكثـار منه، ومن ثم جاءت النصـوص عن رسول الله ﷺ تحث على ذلك وتبين أثره وفضله:

• قال البراء بن عازب رضي الله عنهـما: أمرنا رسول الله ﷺ بسـبع: بعيادة المريض، واتبـاع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضـعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسِم. أخرجه البخاري ومسلم[1].

• وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) البخاري مع «الفتح» (١١/١٨)، ومسلم مع النووي (١٤/ ٣٠).
(٢) مسلم (حديث ٥٤).

رسـول اللَّه ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حـتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحـابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**».

• وعند البخاري في «الأدب المفرد»[١] منْ حديث أنس قال: قال رسول اللَّـه ﷺ: «**إن السلام اسم من أسماء اللَّه تعالى وضـعه اللَّه في الأرض، فأفشوا السلام بينكم**».

• وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما أن رجلاً سـأل رسول اللَّه ﷺ: أي الإسلام خيـر؟ قال: «**تطعم الطعـام وتقـرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

• وبيَّن رسول اللَّه ﷺ أن من حق المسلم على أخيه أن يسلم عليه، ففي «صحـيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة رضي الـلَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قـال: «**حق المسلم علـى المسلم ست**» قيل: ما هن يـا رسول اللَّه؟ قال: «**إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللَّه فشمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه**».

• وفي «الصحـيحين»[٤] من حديث أبي سعـيد الخدري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يا رسول اللَّه ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها، فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريـق يا رسول اللَّه، قال: «**غض البـصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

---

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩) وإسناده صحيح.
(٢) البخاري (حديث ٢٨)، ومسلم (حديث ٣٩).
(٣) مسلم (ص١٧٠٥).
(٤) البخاري (مع الفتح ١١/٨)، ومسلم (١٤/١٠٢ مع النووي).

وأولى الناس بالله: من بدأهم بالسلام كما قال النبي ﷺ[١] :

• وكان النبي ﷺ يُسلم على الصبيان كما في «الصحيحين»[٢] من حديث أنس رضي الله عنه.

• وكان يسلم على النساء أيضًا[٣] ففي «سنن الترمذي» و«الأدب المفرد» للبخاري[٤] بإسناد حسن لشواهده من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مرَّ بي وأنا في جوارٍ أتراب فسلَّم علينا.

• وكذلك إذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فإن النبي ﷺ سلَّم على مجلس فيه مثل هذه الأخلاط[٥].

• وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرةٌ أو أكمةٌ فتفرقوا يمينًا وشمالاً ثم التقوا سلَّم بعضهم على بعض[٦].

ومما يجلب المودة والمحبة أيضًا: أن ترسل سلامك إلى الناس، وما أظن هذا يكلفك شيئًا.

وقد جاءت بذلك السُّنة :

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٨٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام» وإسناده صحيح.

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ٣٢)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١).

(٣) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة فإن الله لا يحب الفساد.

(٤) الترمذي (٧/ ٤٧٥ مع التحفة)، والبخاري (في الأدب المفرد ١٠٤٨).

(٥) انظر البخاري (مع الفتح ٨/ ٢٣٠)، ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٧).

(٦) ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ٢٤٥) وله شاهد عند أبي داود (٥/ ٣٨١) ولفظه: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا» وقد روي هذا موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه ومرفوعًا إلى رسول الله ﷺ.

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام**».

قلت (القائل عائشة): وعليه السلام ورحمة اللَّه.

• وفي «مسند الإمام أحمد»[2] بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني لأرجو إن طال بي عُمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام**».

ولهذا الفضل العظيم والثواب الجزيل للسلام فإن أعظم ما يحسدنا عليه اليهود هو السلام والتأمين.

• روت أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[3].

فالسلام كما تقدم اسم من أسماء اللَّه، وإفشاؤه فيه ذكرٌ للَّه، وكثرة إفشائه تعني كثرة ذكر اللَّه، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وكم دُفع من شرٍّ بسبب كلمة: السلام عليكم!

وكم حلَّ من خيرات وبركاتٍ بسبب كلمة: السلام عليكم!

وكم وصلت من أرحام بكلمة: السلام عليكم!

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٥٨١)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ٢١١).

(٢) أحمد (٢/ ٢٩٨).

(٣) ابن ماجه (حديث ٨٥٦)، وابن خزيمة (حديث ٥٧٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٨) بإسناد حسن.

وفي المقابل كم حل من نكدٍ وبلاءٍ، وبؤسٍ وشقاءٍ وقطيعة رحم، وإدبارٍ وتنافرٍ بسبب ترك كلمة: «السلام عليكم».

فعليك بها، أَكْثِرْ منها، سلِّم على الصغير والكبير والغني والفقير والرجل والمرأة[١] ومن عرفت ومن لم تعرف، بل وسلِّم على الأموات كذلك[٢]، وتأكد أن في ذلك خيرًا إن شاء اللَّه.

وهذه صيغ من صيغ السلام:

• أخرج أبو داود في «سننه»[٣] من حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: **«السلام عليكم»** فردَّ عليه السلام ثم جلس فقال النبي ﷺ: **«عشر»** ثم جاء آخر فقال: **«السلام عليكم ورحمة اللَّه»** فرد عليه فجلس فقال: **«عشرون»** ثم جاء آخر فقال: **«السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»** فرد عليه فجلس فقال: **«ثلاثون»**[٤].

• وفي «الصحيحين»[٥] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«خلق اللَّه آدم وطوله ستون ذراعًا ثم قال: اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيُّونك، تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة اللَّه، فزادوه: ورحمة اللَّه»**.

---

(١) إلا إذا خشيت الفتنة من إلقاء السلام على فتاة.

(٢) من ذلك (السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين..).

(٣) أبو داود (حديث ٣٧٩) بإسناد صحيح.

(٤) فماذا يضيرك يا عبد اللَّه أن تقول في سلامك: «السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته» حتى تغنم ثلاثين حسنة!! ما إخاله ولا أظنه يشق عليك هذا الأمر، ولكن الموفق من وفقه اللَّه، والمهتدي من هداه اللَّه!!

(٥) البخاري (حديث ٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي ذر رضي الله عنه في قصة إسلامه قال: فأتيته (أي: رسول الله ﷺ) **فإني لأول الناس حيَّاه بتحية الإسلام**، قال: قلت: السلام عليك يا رسول الله، قال: «**وعليك السلام من أنت؟**».

• وفي «سنن أبي داود»[٢] عن عمر أنه أتى النبيَّ ﷺ وهو في مشربة له فقال: السلام عليكم يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟

• **وقد شرعت للسلام آداب، منها:**

• قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦].

• وقول النبي ﷺ: «**يُسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**»[٣]، وفي رواية أخرى: «**يسلم الراكب على الماشي**»[٤].

وقد تكون هناك موانع شرعية تمنع من إلقاء السلام، بل ومن ردِّه، كأن يكون عدم الرد كي ينزجر العاصي عن معصيته ويقلع المذنبُ عن ذنبه.

• وفي حديث كعب بن مالك الآتي قريبًا.. قال: وآتي رسولَ الله ﷺ فأسلِّم عليه، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟!

• وأخرج أبو داود[٥] من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال:

---

(١) مسلم (مع النووي ١٦/ ٣١).

(٢) أبو داود (٥/ ٣٨٢) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٤).

(٤) البخاري (١١/ ١٥ مع الفتح)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٤٠).

(٥) أبو داود (٥/ ٨) بإسناد حسن لغيره، فله شاهد عند البخاري في «الأدب المفرد» =

قدمت على أهلي وقد تشققت يداي فخلَّقوني بزعفران فغدوت على النبي ﷺ فسلمت عليه فلم يرد عليَّ وقال: **«اذهب فاغسل هذا عنك»**.

● وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل فقلت: أتوب إلى اللَّه ماذا أذنبت؟ قال: **«ما هذه النمرقة»**؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: **«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال: لهم أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه الصورة»**.

● وأخرج البخاري وأبو داود[٢] بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ أتى فاطمة رضي اللَّه عنها فوجد على بابها سترًا[٣] فلم يدخل، قال: وقلما كان يدخل إلا بدأ بها فجاء عليٌّ رضي اللَّه عنه فرآها مهتمة فقال: مالك؟ قالت: جاء النبي ﷺ إليَّ فلم

= (١٠٢٠) وانظر إلى هذا الفقه، فرسول اللَّه ﷺ لم يرد على عمار السلام، وأيضًا كما سبق وسيأتي لم يرد على كعب بن مالك السلام، وألان القول لرجل قال فيه النبي ﷺ: «بئس أخو العشير»!

مع أن البون بعيدٌ وشاسع بين عمار وكعب بن مالك وبين هذا الرجل الذي قال له الرسول ﷺ: «بئس أخو العشير».

فإذا كنت ترى أن في صاحبك إيمانًا وأنه يتحمل هجرانك ويفهمه على وجهه الصحيح، ويفهم أنك لا تريد له إلا الخير فحينئذ قد يجوز لك في بعض الأحيان أن تشتد عليه من أجل مصلحته ونفعه، وانظر إلى أثر ابن عمر في قصة فاطمة، وكذلك أثر عائشة اللذين أوردناهما أعلاه.

وإذا كنت ترى أن الرجل شريرٌ مفسد وسيفسد في الأرض إذا هجرته أو تركت إلقاء السلام عليه فحينئذ لك أن تداريه وتتقيه وتتقي شره.

وعلى اللَّه قصد السبيل.

(١) البخاري (حديث ٥٩٥٧)، ومسلم (ص١٦٦٩).

(٢) أبو داود (حديث ٤١٤٩) واللفظ له، وأخرجه البخاري أيضًا (٢٦١٣).

(٣) في رواية البخاري: سترًا موشيًا.

يدخل فأتاه عليٌّ رضي اللَّه عنه فقال: يا رسول اللَّه، إن فاطمة اشتد عليها أنك جئتها فلم تدخل عليها! قال: «**وما أنا والدنيا وما أنا والرقم؟!**» فذهب إلى فاطمة فأخبرها بقول رسول اللَّه ﷺ، فقالت: قل لرسول اللَّه ﷺ ما يأمرني به، قال: «**قل لها فلترسل به إلى بني فلان**».

وقد يكون المانع شرعيًا من وجه آخر:

• ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رجلاً مرَّ ورسول اللَّه ﷺ يبول فسلَّم فلم يرد عليه.

• وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث أبي الجهيم الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جملٍ فلقيه رجلٌ فسلَّم عليه فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم ردَّ عليه السلام.

وقد يكون في إلقاء السلام على رجل شرير دفعٌ لشرِّه:

• وقد قال النبي ﷺ في شأن رجلٍ: «**بئس أخو العشير**»[3] فلما قدم ألان له النبي ﷺ القول.

وبالجملة ففي باب إفشاء السلام أو تركه ينبغي أن تراعي المصالح الشرعية

---

(١) مسلم مع النووي (٤/ ٦٤).

(٢) البخاري (مع الفتح ١/ ٤٤١)، ومسلم (معلقًا ٤/ ٦٤ مع النووي).
وفي «سنن أبي داود» من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن عن حضين بن المنذر أبي ساسان عن المهاجر بن قنفذ أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول فسلَّم عليه فلم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال: «إني كرهت أن أذكر اللَّه تعالى ذكره إلا على طهر»، أو قال: «على طهارة» ورجاله ثقات، وكل ما يشوبه عنعنات بعض المدلسين ولكن لا أراها تضر في هذا الموطن لأن الحسن إنما يروي عن تابعي فلا إخاله يُسقط أحدًا في مثل هذا الموطن، واللَّه أعلم.

(٣) في «الصحيحين» وسيأتي سياقه وتخريجه إن شاء اللَّه وسيأتي لهذا الباب مزيدٌ إن شاء اللَّه.

العامة، فإفشاء السلام، والإكثار منه، والسلام على الصغير والكبير والرجل والمرأة والقريب والبعيد ومن عرفت ومن لم تعرف هو الأصل بين المسلمين.

أما إذا وُجدت مصلحة شرعية من وراء ترك السلام فحينئذ نقف مع المصلحة الشرعية ويُترك إلقاء السلام، بل ويترك الرد، وينبغي أن يكون هذا بقَدَر، أعني ترك إلقاء السلام أو ترك الرد وحسب الحاجة ولا يتوسع فيه، واللَّه أعلم.

وقد كانت المصافحة أيضًا في أصحاب النبي ﷺ :

وذلك فيما أخرجه البخاري[1] من طريق قتادة قال: قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم.

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٥٤)، لكن مصافحة الرجال للنساء كما هو معلوم محرمة، لحديث: «لئن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له».

وإسناده حسن، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢١١ - ٢١٢) من حديث معقل بن يسار رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وانظر أيضًا «السلسلة الصحيحة» للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه اللَّه (حديث ٢٢٦).

● وفي «الصحيحين» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت، فذكرت بيعة رسول اللَّه ﷺ للنساء وامتحانه لهن، وفيها: ولا واللَّه ما مست يد رسول اللَّه ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام، قالت عائشة: واللَّه ما أخذ رسول اللَّه ﷺ على النساء قطّ إلا بما أمره اللَّه تعالى، وما مست كف رسول اللَّه ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن كلامًا». لفظ مسلم (مع النووي ١٣/ ١٠).

والحديث أيضًا بلفظ قريب عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٦٣٦).

● وفي «مسند الإمام أحمد» (٦/ ٣٥٧) بإسناد صحيح عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت النبي ﷺ في نساء نبايعه فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك باللَّه شيئًا... الآية قال: «فيما استطعتن وأطقتن»، قلنا: اللَّه ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول اللَّه ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة». وأخرجه الترمذي (١٥٩٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

• وقال ابن مسعود رضي اللَّه عنه: علمني رسول اللَّه ﷺ التشهد وكفي بين كفيه[١].

• وصحح[٢] بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرقا»**.

• وفي البخاري[٣] من حديث عبد اللَّه بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب.

• وقال كعب بن مالك[٤] في قصته وتوبة اللَّه عليه، قال: دخلت المسجد فإذا برسول اللَّه ﷺ جالس فقام إليَّ طلحة بن عبيد اللَّه يهرول حتى صافحني وهنأني..

• النهي عن الهجران فوق ثلاث •

ونهى النبيُّ ﷺ عن الهجران فوق ثلاث:

• ففي «الصحيحين»[٥] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصدُّ هذا ويصدُّ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**.

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٦٥)، ومسلم (ص٣٠٢ ترتيب محمد فؤاد).
(٢) منهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه اللَّه كما في «السلسلة الصحيحة» (٥٢٥) وانظر تخريج الحديث هناك.
(٣) البخاري (حديث ٦٢٦٤).
(٤) صحيح وسيأتي تخريجه إن شاء اللَّه.
(٥) البخاري (مع الفتح ١١/ ٢١)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ١١٧).

• وفي رواية: «**فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(١)].

• وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال**».

• وأخرج أبو داود[(٣)] بإسناد حسن من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يكون لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلَّم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يرد عليه فقد باء بإثمه**».

• وأخرج الإمام أحمد[(٤)] بإسناد صحيح عن هشام بن عامر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال، فإن كان تصادرا فوق ثلاث فإنهما ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما وأولهما فيئًا فسبقه بالفيء كفارته فإن سلَّم عليه فلم يرد عليه ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان، فإن ماتا على صرامهما لم يجتمعا في الجنة أبدًا**».

• وفي رواية أخرى عند أحمد عقب هذه الرواية من طريق هشام أيضًا عن رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ماداما على صرامهما، وأولهما فيئًا يكون سبقه بالفيء كفارةً له، وإن سلَّم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا**».

---

(١) البخاري (٦٠٧٧).
(٢) البخاري (٦٠٧٦).
(٣) «عون المعبود» (١٣/٢٥٧).
(٤) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠).

لكن إن كانت هناك حاجة شرعية تدعو إلى الهجران فوق ثلاث فلا بأس بالهجران فوق الثلاث ما دامت الحاجة شرعية والمقصد منها مقصدًا شرعيًا صحيحًا ليس فيه انتصار للنفس ولا إشباع للشهوة ولا الحقد على مسلم من المسلمين.

فمثلاً إذا كان هناك رجل متلبسًا بالمعصية ولا يقلع عنها، ورأيت أن في هجرانه فوق الثلاث مصلحة شرعية كي يرجع عن غيِّه وفساده ويُقلع عن معاصيه فلا بأس بالهجران في هذه الحالة، وقد هجر النبيُّ ﷺ كعبَ بن مالك ومرارةَ بن الربيع وهلالَ بن أمية خمسين ليلة.

● أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عبد اللَّه بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يُحدِّث حين تخلَّف عن تبوك: ونهى رسولُ اللَّه ﷺ عن كلامنا... وآتي رسول اللَّه ﷺ فأسلِّم عليه فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام أم لا؟ حتى كملت خمسون ليلة وآذن النبي ﷺ بتوبة اللَّه علينا حين صلى الفجر.

● وعلى المرء أن ينتبه لهذا انتباهًا شديدًا فإن حظوظ النفس والشهوات تتدخل في هذا الباب تدخلاً شديدًا، فقد يكون الشخص حاقدًا على شخص لأمورٍ دنيوية محضة ويزين له الشيطان سوء عمله ويزين له أن هذا الهجران إنما هو في اللَّه وللَّه فيقع حينئذ في المحذور الذي نهى عنه رسول اللَّه ﷺ ألا وهو الهجران فوق ثلاث.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٨٧).

• الهـدية •

للهدية عظيم الأثر فـي استجلاب المحـبة وإثبات المودة وإذهاب الضـغائن وتأليف القلوب.

وهي دليل على الـحب وصفاء القلوب، وفيها إشعار بالتقدير والاحترام، ولذلك فقد قبل النبي ﷺ الهدية، قبلها من المسلم والكافر، وقبلها من المرأة كما قبلها من الرجل، وحث النبي ﷺ على التهادي وعلى قبول الهدايا.

فكم من ضغينة ذهبت بسبب هدية!!

وكم من مشكلة دُفعت بسبب هدية!!

وكم من صداقة ومحبة جُلبت بسبب هدية!!

وها هي جملة نصوص عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللكافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أو كراهيتها وكراهية قبولها. وباللَّه التوفيق.

• أخرج البـخاري[١] رحمه اللَّه تعالى من حـديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[٢].

• وفي «الصحـيحين»[٣] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قـال: كان رســول الـلَّه ﷺ إذا أُتي بطعـام سأل عنه: أهـدية أم صدقـة؟ فإن قـيل:

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٨٥)، وقـد أعله بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.

(٢) معنى يثيب عليها أي: يجازي المُهدي بهدية أيضًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٦)، ومسلم (حديث ١٠٧٧).

«صدقة»، قال لأصحابه: «**كُلُوا**» ولم يأكل، وإن قيل: «هدية» ضرب بيده ﷺ فأكل معهم.

● وكان الأنصار يهـدون لرسول اللَّه ﷺ ففي «الصـحيح»[١] من حـديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت لعروة: ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول اللَّه ﷺ نار، فقلت: يا خالة، مـا كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان التـمر والماء، إلا أنه قد كان لرسـول اللَّه ﷺ جيرانٌ من الأنصار كانت لهم منائح[٢] وكانوا يمـنحون رسولَ اللَّه ﷺ من ألبانهم فيسقينا.

● وأخرج الإمام أحمد[٣] بإسناد حسن من حديث عبد اللَّه بن بسر رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة.

● وفي «سنن أبي داود»[٤] بإسناد حسن عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قدمتْ على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له فيها خاتم من ذهب فيه فصٌّ حبشيٌّ، قـالت: فأخذه رسول اللَّه ﷺ بعودٍ مُعْـرِضًا عنه أو ببعض أصابعه ثم دعـا أمامة بنت أبي العاص بنت ابنتـه زينب فقال: «**تحلي بهـذا يا بنية**».

* * *

---

(١) البخاري (٢٥٦٧).

(٢) المراد بها هنا النوق أو الشياه.

(٣) أحمـد في «المسند» (٤/ ١٨٩)، وله شاهد يصح به فـي قصة إسـلام سلمان عند أحـمد (٥/ ٤٤١).

(٤) أبو داود (٤٢٣٥)، وابن ماجه (حديث ٣٦٤٤).

الحث على الهدية ولو بالقليل:

وحثَّ النبيُّ ﷺ على الإهداء ولو بالقليل:

- فقال عليه الصلام والسلام: «**يا نساء المسلمات لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارتها**[1] **ولو فِرْسِنَ شاة**»[2]. والفِرْسِن: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي ﷺ حثَّ المرأة على الإهداء لجارتها والجود بما تيسر عندها، وإن كان هذا المُهدَى قليلاً فهو خير من العدم، وهو دليلٌ على المودة، وفي الحديث أيضًا حثٌّ للمُهْدَى إليها على قبول الهدية وإن قلَّتِ الهـدية فهي دليل على تقدير المهديةِ للمُهدى إليها.

- وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**تهادوا تحابوا**»[3].

الحث على قبول الهدية:

- وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»[4] بإسناد صحيح عن عبد اللَّه (وهو ابن مسعود) عن النبي ﷺ قال: «**أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية**[5] **ولا تضربوا المسلمين**».

---

(١) وقد تطلق الجارة على الضُّرة أحيانًا، وهي هنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضُّرة أيضًا، واللَّه أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٥٩٤)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهده.

(٤) البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ١٥٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤)، وأبو يعلى (٩/ ٢٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٥٥).

(٥) ذكر فريقٌ من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأقضية.

قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها:

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير.

• ففي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قـــال: «**لو دعـيت إلى ذراعٍ أو كُـرَاعٍ لأجـبتُ، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كُـراعٌ لقبلتُ**».

والكراع من الدابة: ما دون الكعب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه[٢]: وخصَّ الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقيـر والخطير لأن الذراع كانت أحبَّ إليه من غيرها، والكـراع لا قيمة له.

إذا رددت الهدية فبين سبب ردها جبرًا للخاطر[٣]:

وكذا إذا ردَّ هدية علَّل سبب الرد جبرًا لخاطر المُهدي.

• ففي «الصـحيحين»[٤] من حديث الصعب بن جـثامة رضي اللَّه عنه أنه أهدى لرسول اللَّه ﷺ حمارًا وحـشيًّا، وهو بالأبواء أو بودَّان، فـردَّه عليه فلما رأى ما في وجهه قال: «**أما إنَّا لم نردَّه عليك إلا أنَّا حُرُمٌ**».

قال الحافظ ابن رحجر رحمه اللَّه: وفـيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحل من الهدية.

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٦٨).

(٢) «فتح الباري» (٥/٢٣٦).

(٣) إذا كان الخـاطر يُجبـر بذلك، أما إذا كان الخـاطر يُكسر ببـيان سبب الرد فـلا تبين واللَّه أعلم.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٣)، ومسلم (حديث ١١٩٣).

قبول الهدية من النساء[١] :

وكان النبي ﷺ يقبل الهدية من النساء كذلك.

● ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: أهدت أم حُفيد خالة ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطًا وسمنًا وأَضُبًّا فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن وترك الأَضُبَّ تقذرًا.

● **قلت**: وفيه من الفقه أن المُهدي إذا أهدى هدية ورُدَّ منها شيءٌ لعلة فلا يحزن ويلتمس العذر لمن ردَّ الهدية أو جزءًا منها ما دامت العلة واضحة.

● وأخرج الإمام أحمد[٣] بإسناد حسن من حديث عبد اللَّه بن بسر رضي اللَّه عنه قال: كانت أختي تبعثني إلى رسول اللَّه ﷺ بالهدية فيقبلها.

لا ترجع في هبتك:

وشيءٌ سيئٌ أن تهدي ثم تعود في هديتك وترجع في هبتك، فأولى لك أن لا تهدي أصلاً أفضل من أن تهدي وترجع في هديتك فقد قال النبي ﷺ: «**العائد في هبته كالكلب يرجع في قيئه**»[٤].

إياك أن تُهدي ثم تَمُنَّ:

وكذلك لا تُهْدِ ثم تمنَّ على من أهديت له، فإن اللَّه سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ**

---

(١) ومحل ذلك إذا أمنت الفتنة كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء اللَّه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٧٥)، ومسلم (ص١٥٤٤).

(٣) أحمد «المسند» (٤/ ١٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٨٩)، ومسلم (١٦٢٢) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾

[البقرة: ٢٦٣ ، ٢٦٤].

فلا تُعْطِ الأعطيات وتهب الهبات وتقدم الصدقات ثم تتبع ذلك بالمن فالمن يبطل ثواب الصدقات وثواب الهدايا فضلاً عما يُدخر للمنان من العذاب.

• قال النبي ﷺ[1]: «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول اللَّه ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، مَن هُم يا رسول اللَّه؟ قال: «**المسبِلُ، والمنان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**».

• وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا: «**المنان الذي لا يُعطي شيئًا إلا منَّه**».

الهدية من أحد الزوجين للآخر:

وللهدية من أحد الزوجين للآخر أثر طيب في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود، ومن ثمَّ قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ [النساء: ٤]، أي: إن طيبت المرأة نفسها وأعطت زوجها شيئًا من صداقها فلا حرج على الزوج في قبوله والأكل منه، فليأكل هنيئًا مريئًا.

وبالنظر إلى الآية الكريمة، نرى ـ واللَّه أعلم ـ أن الزوجة إذا أهدت إلى الزوج تهدي إليه شيئًا من الصداق، ليس كل الصداق، وذلك حتى تُبقي لنفسها شيئًا تتصرف فيه عند احتياجاتها الخاصة بها، واللَّه أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وكـذلك للهدية من الزوج لزوجـته عـظيم الأثر في جلب مودتهـا ودفع الوساوس عنها وإثبات محبتـها، وهي دليل على التراحم وخاصة إذا صحبت بالكلمات الطيبة والعبارات المُريحة والابتسامات الصادقة.

وإذا كان عندك هديةٌ واحدة فلمن تهديها ؟

تهديها للأقرب فالأقرب، قرابة النسب وقرابة الجوار:

● فهـا هي ميمـونة زوج النبي ﷺ كان لهـا وليدة (أي: أمـة من الإماء) فأعـتقتـها فقـال لها النبي ﷺ: «**أمـا إنك لو أعطيـتيـهـا أخوالك كـان أعظم لأجرك**»[1].

فمع أنـها أعتـقت الأمة فـهي ـ بلا شك إن شاء اللَّه ـ مـأجورة لعـتقـها الرقبة، ولكن هنا فاق أجر الهدية أجر العتق لقول النبي ﷺ: «**ولو وصـلت بها بعض أخوالك كان أعظم لأجرك**».

فالهـدية في بعض الأحيـان تفوق الصـدقة في الأجـر، وذلك إذا وقعت موقعها في التأليف والوصل وابتغاء الأجر والثواب.

● وأخرج البـخاري[2] من حديث عائشـة رضي اللَّه عنها قالت: قلت: يا رسول اللَّه إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**».

● فيستفاد من هذين الحديثين أن القريب يُقدَّم على الغريب، وأن الأقارب إذا استووا في درجة القرابة قُـدِّم الأقرب بابًا، وهذا كله إذا كان هؤلاء محل احتياج، واللَّه أعلم.

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٩٥).

قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم[١] :

وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين :

• ففي «الصحيح»[٢] من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ تبوك، وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلةً بيضاء وكساه بُردًا.

• وفي «الصحيحين»[٣] كذلك أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها.

• وأهدى أُكيدر دومة الجندل إلى النبي ﷺ حُلة[٤].

• وانظر ترجمة مارية رضي الله عنها (أم إبراهيم عليه السلام وسرِّية رسول الله ﷺ) في «الإصابة» فقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ.

• وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر ورد الله يده وكبته الله أهداها هذا الكافرُ هاجرَ رضي الله عنها[٥].

وكذلك فالإهداء للمشركين جائز :

قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم

(١) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل.
(٢) البخاري (حديث ٣١٦١)، ومسلم (حديث ١٣٩٢).
(٣) البخاري (حديث ٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) البخاري معلقًا (٢٦١٦)، ومسلم متصلاً (ص١٩١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٥) البخاري (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هاجر إبراهيم بسارة فأعطوها آجر فرجعت فقال: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة؟!». =

مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

● وفي «الصحيحين» من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها، قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول اللَّه ﷺ فاستفتيت رسول اللَّه ﷺ قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[١].

● وأهدى عمر حلة لأخٍ له مشرك بمكة قبل أن يُسلم أخوه[٢].

لكن إذا كان هذا الكافر سيتقوى بهذه الهدية على المسلمين ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذ لا يُهْدَى إليه، ولا كرامة.

● وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح[٣] من طريق مجاهد أن عبد اللَّه بن عمرو ذُبحت له شاة في أهله فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه**».

وهناك هدايا لا تُرد:

● منها: الطيب؛ ففي «صحيح البخاري» من حديث أنس رضي اللَّه عنه

= والحديث مطوَّل في مواطن أُخر من «الصحيح».

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠) (٥٩٧٨) وهناك قال ابن عيينة فأنزل اللَّه تعالى فيها: ﴿لا ينهاكم اللَّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين..﴾ [الممتحنة: ٨-٩] وأخرجه مسلم (٣/ ٤١).

(٢) انظر البخاري (٢٦١٩).

(٣) الترمذي (حديث ١٩٤٣)، وأبو داود (٥١٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ١٠٥).

أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب[١].

● وصح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**من عُرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح**»[٢].

موانع الإهداء ومتى لا تُقبل الهدية:

فهـذه النصوص التي قدمناها نـصوصٌ تحث على الإهداء وقبـول الهدية، ولكن قد تأتي موانع تمنع من الإهداء وتمنع من قبول الهدية.

ألا ترى أن ملكة سبأ أهدت لسـليمان عليه السلام هدية فـردَّها سليمان، مع أن إبراهيم عليه السـلام قبل هاجر لما أُهديت إلى زوجته، وقـد قبل نبينا محمد ﷺ الهدية، فلِمَ قبل نبينا ﷺ الهدية وردَّها سليمان عليه السلام؟!

ردَّها سليمان عليه السلام لما كانت رشوة عن الدين، فالمرأة أرسلت الهدية إلى سليـمان كي يقـرها على عـبادتـها للشـمس ويسكت عنهـا، ولم يكن لسليمان ذلك، وخـاصة أنه في مركز قوة واستـغناء، فمن ثمَّ ردَّها لما كانت رشوة في الدين.

● قـال اللَّه تعـالى: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم**

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

● وقد ورد في البـاب حديث ابن عمر عـند الترمذي (٢٧٩٠) مرفـوعًا: «ثلاث لا ترد الوسائد واللبن والدهن» يعني به الطيب، وقال الترمـذي: (هذا حديث غريب) وقال أبو حاتم في «العلل» (٢/٣٠٨): هذا حديث منكر.

قلت: وله شاهد آخر في إسناده ضعف شديد، فلا يصح به، واللَّه أعلم.

بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٥ ـ ٣٧].

فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذ.

وكذلك إذا كانت الهدية للأمراء والوزراء والمسئولين[١] كي يعطوك شيئًا ليس من حقك أو يتجاوزوا لك عن شيءٍ لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه فحينئذ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية، وقد استعمل النبي ﷺ لفظًا شديدًا في الزجر في هذا الباب:

●ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: «ابن اللتبية» على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي. قال: «**فهلا جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاءٌ، أو بقرةً لها خوارٌ، أو شاةً تَيْعَرُ** ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه ـ: **اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثًا**.

●ومن ثمَّ روى البخاري معلقًا[٣] عن عمر بن عبد العزيز: كانت الهدية في زمن رسول الله ﷺ هدية واليوم رشوة.

---

(١) كالقضاة والشُّرط ونحوهم.

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٣) معلقًا (مع الفتح ٥/ ٢٦٠)، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وصله ابن سعد بقصة فيه، فروى من طريق فرات بن مسلم قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئًا يشتري به فركبنا معه فتلقاه غلمان الدبر بأطباق تفاح فتناول واحدة فشمها ثم ردَّ الأطباق فقلت له في ذلك فقال: لا حاجة لي فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية؟ فقال: إنها لأولئك هدية، وهي للعمال بعدهم رشوة.

• وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»[1] بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: السحت الرشوة في الدِّين. قال سفيان: يعني الحكم.

• وأخرج أبو داود[2] وغيره بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنه قال: «لعن رسول اللَّه ﷺ الراشي والمرتشي».

وكذلك إذا كانت الهدية شيئًا مسروقًا أو شيئًا محرمًا فلا تقبل لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان.

• وفي «مسند الإمام أحمد»[3] أن المغيرة بن شعبة صحب قومًا من المشركين فوجد منهم غفلة فقتلهم وأخذ أموالهم فجاء بها إلى النبي ﷺ فأبى رسول اللَّه ﷺ أن يقبلها.

وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط، فإذا عرف من عادته هذا فلك ـ واللَّه أعلم ـ أن تتوقف في قبول هديته.

---

(١) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٦٤)، وانظر «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (مع التحفة ٤/ ٥٦٧)، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥).
قال كثير من أهل العلم: إن الراشي هو معطي الرشوة والمرتشي هو آخذها والرائش هو الذي يسعى بينهما، وقالوا: الرشوة ما يُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به.
انظر ما ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذي» وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»، وكذلك الخطابي في «معالم السنن» وغيرهم.

(٣) «المسند» (٤/ ٢٤٦) من طريق أبي معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن المغيرة بن شعبة به.
وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال، لكن للحديث شاهد في البخاري ففيه (٢٧٣١، ٢٧٣٢).. وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء».

وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ**﴾ [الروم: ٣٩]، وهذا في مثل هذا الموطن، في رجل يهدي وينتظر من المهدي إليه أضعاف ما يقدمه له.

أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدَّين عليك، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي، اعتذارٍ لا يكسر له خاطرًا ولا يشوش عليه فكرًا.

وكذلك إذا كان المهدي منَّانًا يمنُّ بهديته ويتحدث بها فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف.

وكل هذا يقدر بقدره والأصل استحباب الهدية واستحباب **قبولها والإثابة** عليها.

وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخصٍ سفيه يستعملها في معصية اللَّه عز وجل وفي الفساد في الأرض، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [النساء: ٥].

وكذلك فأثناء هديتك انتبه هل ستُصْلح في باب وتُفسد في باب آخر أم أن الهدية كلها خير، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد:

● قال النعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما[1]: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهدَ رسولَ اللَّه ﷺ، فأتى رسول اللَّه

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (حديث ١٦٢٣).

ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول اللَّه. قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا. قال: «**فاتقوا اللَّه واعدلوا بين أولادكم**». قال: فرجع فردَّ عطيته.

• وأخرج عبد الرزاق[1] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: إذا أسلفت رجلاً سلفًا فلا تقبل منه هدية كُراع ولا عارية ركوب دابة.

• وأخرج أيضًا[2] من طريق سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنه كان لنا جار سمَّاك فأقرضته خمسين درهمًا، وكان يبعث إليَّ من سمكه، فقال ابن عباس: حاسبه، فإن كان فضلاً فرُدّ عليه، وإن كان كفافًا فقاصصه.

• وأخرج أيضًا[3] بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دين فأكلت عليه فاحسبه له ما أكلت عنده. إلا أن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك.

وثمَّ جملة آثار أُخر في هذا الباب، وفي أسانيد كثير منها مقال[4].

• **قلت**: لكن إذا أقرضت رجلاً مبلغًا من المال وردَّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك فلا مانع من قبوله، وذلك لما في «الصحيحين»[5] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كان لرجلٍ على

---

(١) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥٠).

(٢) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥١) وهو صحيح أيضًا، وأخرجه البيهقي (٥/ ٣٥٠).

(٣) عبد الرزاق في (المصنف ١٤٦٤٩).

(٤) انظرها في «مصنف عبد الرزاق» (١٤٢/٥)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (٣٤٩/٥).

(٥) البخاري (حديث ٢٣٩٣)، ومسلم (حديث ١٦٠١).

النبي ﷺ سنٌّ[١] من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال ﷺ: «**أعطوه**» فطلبوا سنَّه فلم يجدوا إلا سنًّا فوقها[٢]، فقال: «**أعطوه**»، فقال: أوفيتني أوفى اللَّه بك، فقال النبي ﷺ: «**إن خياركم أحسنكم قضاءً**».

• وفي «الصحيحين»[٣] أيضًا من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد وكان لي عليه دين فقضاني وزادني.

وأيضًا ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا فقد يقترض شخصٌ من شخص مالاً ويحل وقت السداد ولا يطيق المدين السداد؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته وحتى يصبر عليه فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا، نعم إنه يجوز قبولها ما لم يشترط لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة.

• وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري[٤] رحمه اللَّه من طريق أبي بردة قال: أتيت المدينة فلقيت عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه فقال: ألا تجيء فأطعمك سويقًا وتمرًا وتدخل في بيت؟ ثم قال: إنك في أرضٍ الرِّبا بها فاشٍ، إذا كان لك على رجلٍ حقٌّ فأهدى إليك حِمْلَ تبن أو حمل شعيرٍ أو حِمْلَ قَتٍّ فإنه ربا.

وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة، ومحل ذلك - كما هو معلوم - عند أمن الفتنة، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة، وتقع المرأة في قلب الرجل

(١) يعني جمل له سنٌّ معين.
(٢) وفي رواية أخرى: لا نجد إلا سنًّا أفضل من سنِّه.
(٣) البخاري (حديث ٢٣٩٤)، ومسلم (ص١٢٢٢ ، ١٢٢٣).
(٤) البخاري (حديث ٣٨١٤).

ويقع في قلبها ويحدث من وراء ذلك المحرم، فحينئذ تمنع الهدية لا لكونها حرامًا، ولكن سدًا للذريعة الموصلة إلى الحرام فاللَّه لا يحب الفساد.

ولا ينبغي أن تحرج أحدًا وتحمله على الإهداء لك، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدى، ولكن إن أُهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة ولا إشراف نفسٍ بورك لك فيه، ولتحرص على أن تكون نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك، وانظر إلى هذا الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه»، وانظر فيه إلى حرص النبي ﷺ على تطييب نفس المعطي:

● أخرجه البخاري[1] من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: أن النبي ﷺ قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين. فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم: «**معي من ترون، وأحب الحديث إليَّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإمَّا المال، وقد كنت استأنيت**» - وكان النبي ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلةً حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام في المسلمين فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال: «**أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين. وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء اللَّه علينا فليفعل**». فقال الناس: طيبنا يا رسول اللَّه لهم. فقال لهم: «**إنا لا ندري من أذن منكم فيه ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤهم**». ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا.

---

(١) البخاري (حديث ٢٦٠٧، ٢٦٠٨).

• وقال النبي ﷺ[1]: «**إن هذا المال خضرةٌ حلوة[2] فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع**».

• وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث معاوية رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنما أنا خازن فمن أعطيته عن طيب نفسٍ فيبارك له فيه ومن أعطيته عن مسألةٍ وشرهٍ كان كالذي يأكل ولا يشبع**».

• وفيه[4] أيضًا من حديث معاوية كذلك: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تلحفوا في المسألة فواللَّه لا يسألني أحدٌ منكم شيئًا فتُخْرِج له مسألته منِّي شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته**».

وإذا أهدى رجلٌ هديةً لرجل من أجل مصلحة ما أو من أجل أن يُهدي إليه في موطن مشابه فلم يثب منها فله أن يرجع في هبته:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (حديث ١٤٧٢)، ومسلم (حديث ١٠٣٥) من حديث حكيم بن حزام رضي اللَّه عنه ولفظه: سألت رسول اللَّه ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرةٌ حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع. اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يا رسول اللَّه، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي اللَّه عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه. ثم إن عمر رضي اللَّه عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا. فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول اللَّه ﷺ حتى توفي.

(٢) قال النووي رحمه اللَّه: شبهه في الرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد.

وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء.

(٣) مسلم (حديث ١٠٣٧).

(٤) مسلم (حديث ١٠٣٨).

• قال عمر[١] رضي اللَّه عنه: من وهب هبةً لذي رحم فهي جائزة، ومن وهب هبة لغير ذي رحم فهو أحق بها ما لم يثب منها.

• وصـح[٢] عن ابن عمر رضي اللَّه عنهمـا أنه قال: هو أحق بها ما لم يرض منها.

• وفي رواية[٣] عنه أيضًا: من وهب هبة لوجه الثواب فلا بأس أن يرد.

• وصح[٤] عن سعيد بن المسيب أنه قال: من وهب هبة لغير ذي رحم فله أن يرجع ما لم يثبه[٥].

• الإحسان والعفو عن الناس •

وهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

• قال اللَّه تبـارك وتعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

فإذا قذفك شخص بمسبة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من اللَّه ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

---

(١) ابن أبي شيبة (المصنف ٦/ ٤٧٢) بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف ٦/ ٤٧٤).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف ٦/ ٤٧٥).
(٤) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٤٧٥).
(٥) ويظهـر لي ـ واللَّه أعلم ـ أنه يدخل في هذا ما يـسميـه العامـة (النقوط) للعـروسين أو أحدهما، فالناس يهدونه وينتظرون رده لهم في مناسبات مشابهة، واللَّه أعلم.

إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه :

● فإن اللَّه يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴾ [الحج:٣٨].

● إن اللَّه سبحانه وتعالى قد قد قال في كتابه الكريم: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠] هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه اللَّه!! فكيف بالذي ترك حقه كله للَّه؟!

فالزم جانب العفو فإن العفو من شِيَم المحسنين:

قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

● وقال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التغابن: ١٤].

● وقال تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: ٤٠].

● وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللَّه عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه اللَّه**».

● وقد صح عن رسول اللَّه، أنه قال: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم..**»[٢].

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥ ، ٢١٩) وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٨٠)، والحديث صحيح لشواهده.

• وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله عز وجل من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى**»[(١)].

والعفو والإحسان من شيم رسول الله ﷺ :

• أخرج البخاري[(٢)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

• وفي «سنن الترمذي»[(٣)] من طريق أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.

• العدل والفضل •

وقد أمر الله سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن قال الله عز وجل: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ**

---

(١) أحمد في «المسند» (٢/١٢٨) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه (٤١٨٩) وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٢) البخاري (حديث ٤٨٣٨).

(٣) صحيح وله شواهد، وقد أخرجه الترمذي (٢٠٨٥ مع تحفة الأحوذي) وسيأتي لهذا مزيد في ثنايا هذا الكتاب.

لا يُحبُّ الظَّالمينَ ﴿٤٠﴾ ولَمَن انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمه فأُوْلَئكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبيلٍ ﴿٤١﴾ إنَّمَا السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ في الأَرْضِ بغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ ﴿٤٢﴾ ولَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إنَّ ذَلكَ لَمنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٠ ـ ٤٣].

• فقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ : عدلٌ.

• وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه﴾: إرشاد إلى الإحسان والعفو.

• وقوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

• وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إنَّ ذَلكَ لَمنْ عَزْمِ الأُمُو﴾ فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

• وكذلك في قـوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فيهَا أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بالْعَيْنِ وَالأَنفَ بالأَنف وَالأُذُنَ بالأُذُن وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] كل هذا عدلٌ.

• وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ به فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو.

• وكذلك قوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّه لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [النساء: ١٤٨]: عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

• وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَديرًا﴾ [النساء: ١٤٩]: إرشاد إلى العفو والإحسان.

• وأيضًـا قوله تعـالى: ﴿ذَلكَ وَمَنْ عَاقَبَ بمثْلِ مَا عُوقبَ به ثُمَّ بُغيَ عَلَيْه لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]: عدلٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠] فيه إرشاد إلى العفو.

فهنيئًا له، من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

هنيئًا له، من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

هنيئًا له، من ملك نفسه عند الغضب ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز.

كل هذا خير!

• ولك أن تنتصر بقدر مظلمتك •

وليس معنى أخذ الشخص حقَّه أحيانًا بقدر مظلمته أنه ظالم للناس؛ بل هو محق إذا لم يتجاوز في الظلم والاعتداء، بل واللَّه يدافع عنه.

• قال تعالى مثنيًا على أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠].

• وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وأذكر هنا واقعة حدثت لرسول اللَّه ﷺ في مرض موته:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: لددناه[2] في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «**ألم أنهكم أن تلدوني؟**» قلنا: كراهية المريض للدواء،

---

(١) حديث (٥٧١٢)، ومسلم (حديث ٢٢١٣).

(٢) اللدود هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فمِّ المريض.

فقال: «**لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم**».

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر**»!!!

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها تنتصر من أم المؤمنين زينب رضي اللَّه عنها أمام رسول اللَّه ﷺ لما شعرت أن رسول اللَّه ﷺ يقرّها على هذا الانتصار:

• أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: أرسل أزواجُ النبي ﷺ فاطمةَ، بنت رسول اللَّه ﷺ، إلى رسول اللَّه ﷺ، فاستأذنتْ عليه ـ وهو مضطجع معي في مرطي ـ فأذن لها، فقالت: يا رسول اللَّه، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدلَ في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتةٌ. قالت: فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**أي بنية، ألست تحبين ما أُحبُّ؟**» فقالت: بلى. قال: «**فأحبِّي هذه**» قالت: فقامت فاطمة حين سمعتْ ذلك من رسول اللَّه ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول اللَّه ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول اللَّه ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل[(٢)] في ابنة أبي قحافة! فقالت فاطمة: واللَّه لا أكلمه فيها أبدًا. قالت عائشة: فأرسل أزواجُ النبي ﷺ زينبَ بنت جحشٍ، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني[(٣)] منهن في المنزلة عند رسول اللَّه ﷺ، ولم أر امرأةً قط

(١) مسلم (حديث ٢٤٤٢).

(٢) قال بعض العلماء: أي يطلبن منك العدل في المحبة القلبية.

(٣) تساميني: أي: تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة. مأخوذ من السموّ. وهو الارتفاع.

خيرًا في الدين من زينب، وأتقى للَّه، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقةً، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى اللَّه تعالى. ما عدا سورةً[(١)] من حَدٍّ[(٢)] كانت فيها تسرع منها الفيئة[(٣)].

قالت: فاستأذنتْ على رسول اللَّه ﷺ - ورسول اللَّه ﷺ مع عائشة في مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول اللَّه ﷺ. فقالت: يا رسول اللَّه، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعتْ بي[(٤)]، فاستطالت عليَّ، وأنا أرقب رسول اللَّه ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول اللَّه ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها[(٥)] حين[(٦)] أنحيت عليها[(٧)]. قالت: فقال رسول اللَّه ﷺ وتبسم: «**إنها ابنةُ أبي بكرٍ**».

• وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ [الشورى: ٣٩].

• وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ** ﴾ [الحج: ٦٠].

---

(١) سورة من حد: هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حدٍّ. وفي بعضها: من حدة. وهي شدة الخلق وثوراته.

(٢) الفيئة: الرجوع. ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلُق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع. أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا، ولا تصرّ عليه.

(٣) ثم وقعت بي: أي: نالت مني بالوقيعة فيّ.

(٤) لم أنشبها: أي: لم أمهلها.

(٥) حين: في بعض النسخ: حتى - بدل حين. وكلاهما صحيح. ورجح القاضي: حين.

(٦) أنحيت عليها: أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

(٧) أثخنتها: أي: قمعتها وقهرتها.

● وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق، ومن ثمَّ شُرع القصاص في الدنيا، بل وكما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فكم من ظالم إذا تُرِك يتمادى في ظلمه وفي غيِّه وفي شره وفساده!!

وكذلك العفو لا يُندب إليه ولا يُرشد إليه في كل الأوقات؛ فقد يفهم العفو عند قومٍ من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور!!

وقد يفهم الصفح على أنه استسلام للظلم، ومن ثمَّ يتمادى الظالم في ظلمه والطاغي في طغيانه والباغي في بغيه!!

ألا ترى أن اللَّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[الحجرات: ٩].

قد يفهم شخصٌ قصة أبي بكر مع مسطح على غير وجهها ويختلط عليه الأمر فمسطح كما هو معلوم رمى أم المؤمنين عائشة وقذفها بالفاحشة.

وأنزل اللَّه براءة عائشة، وكُذِّب مسطح وسائر من رماها!

ثم إن أبا بكر قال: واللَّه لا أنفق على مسطح بعد اليوم!

ثم أنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فقال أبو بكر حينئذ: واللَّه لا أمنع النفقة عن مسطح أبدًا!

فهذا عفوٌ من أبي بكر، وهذا صفحٌ من أبي بكر.

ولكن متى هذا العفو؟! وعن من هذا الصفح؟!

إنه بعد تبرئة عائشة في قرآنٍ يتلى في المحاريب وفي كل مقام[1].

إنه بعد تكذيب مسطح!!

إنه بعد انكسار مسطح!! وبعد إقراره بالخطأ على نفسه ونزول القرآن بتخطئة وتكذيب من رمى عائشة رضي اللَّه عنها.

فالعفو هنا له وجه، وأي وجه، إن وجهه قوي واضح.

أما قوم آخرون فيفهمون الأمر على غير وجهه! يظلمون الناس ويستمرون على ظلمهم ويصفون الناس بأنهم يثأرون لأنفسهم!!

---

(١)انظر حديث الإفك بتمامه في البخاري (حديث ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) ففيه من حديث عائشة رضي اللَّه عنها: فلما أنزل اللَّه في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه - وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره -: واللَّه لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل اللَّه: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] قال أبو بكر: بلى واللَّه إني أحب أن يغفر اللَّه لي، فرجع إلى النفقة التي كانت ينفق عليه، وقال: واللَّه لا أنزعها منه أبدًا.

• يتمادون في الظلم والغي ويطلبون العفو من الناس!

كأنهم يقولون للناس: اصبروا على ضربنا لكم، واصبروا على أذانا، واصبروا على سرقتنا لأموالكم وانتهاكنا لأعراضكم!! فشتان ما بين عفوٍ وضعفٍ وخَوْرٍ واستسلام!

فافهم واعقل بارك اللَّه فيك.

والنفس لا تطيق الظلم ولا تتحمله في كل الأوقات كما أسلفنا، ولا من كل الأشخاص، فرسولنا صلوات اللَّه وسلامه عليه تغير موقفه مع هند عن موقفه مع وحشي بن حرب قاتل حمزة، مع أن وحشيًّا قد أسلم، وهند قد أسلمت.

• في «الصحيحين»[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: جاءت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول اللَّه، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يُذلُّوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ أن يُعزُّوا من أهل خبائك، قال: «**وأيضًا والذي نفسي بيده**».

• وفي «صحيح البخاري»[2] من طريق جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد اللَّه بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد اللَّه بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم. وكان وحشي يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره

---

(١) البخاري (حديث ٣٨٢٥)، ومسلم (ص ١٣٣٩).
(٢) البخاري (حديث ٤٠٧٢).

كأنه حَميت، قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال: وعبيد اللَّه معتجز بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد اللَّه: ياوحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا واللَّه، إلا أني أعلم أن عدي ابن الخيار تزوج امرأة يقال لها: أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلامًا بمكة فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد اللَّه عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين ـ وعينين جبلٌ بحيال أُحُد بينه وبينه وادٍ ـ خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباعٌ فقال: هل من مبارز؟ قال فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد اللَّهَ ورسولَه ﷺ؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته حتى خرجت من بين وَرِكيه، قال: فكان ذاك العهدَ به. فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام. ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول اللَّه ﷺ رُسُلاً، فقيل لي: إنه لا يهيج الرُّسُلَ، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول اللَّه ﷺ، فلما رآني قال: «**أنت وحشي**»، قلت: نعم. قال: «**أنت قتلت حمزة؟**» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: «**فهل تستطيع أن تُغيِّبَ وجهك عني؟**» قال: فخرجت. فلما قبض رسول اللَّه ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلِّي أقتله فأكافئ به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائمٌ في ثلمة جدارٍ كأنه جملٌ أورق ثائر الرأس،

قال: فرميتـه بحربتي. فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كـتفيه. قال: ووثب رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال: قـال عبـد اللَّه بن الفضل: فـأخبـرني سليمـان بن يسار أنه سـمع عبد اللَّه بن عـمر يقول: «فقالت جاريةٌ على ظهـر بيتٍ: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود».

وها هو مَثَلٌ طيبٌ رائعٌ لبيـان أثر العفو، وفيه بُعد نظرٍ من رسول اللَّه ﷺ في شأن رجل كافر لكن يُتوقع منه الخيـر، ها هي قصته فانظرها، وانظر إلى أثر العفو عن رجلٍ يعرف قيمة العفو، عن رجل له شيم ومبادئ وقيم:

• ففي «الصـحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي الـلَّه عنه قال: بعث رسول اللَّه ﷺ خيلاً قِبَل نجدٍ. فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أُثالٍ. سيد أهل اليمامة. فربطوه بسـاريةٍ من سواري المسجد. فخرج إليه رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد خيرٌ، إنْ

---

(١) البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (حديث ١٧٦٤).

وفي فعل رسـول اللَّه ﷺ ـ ذلك الفعل الرشيد ألا وهو ربط ثمامـة في المسجد من الفقه مـا لا يخفى، وذلك ـ واللَّه أعلم ـ حـتى يستـمع ثمـامة إلى القـرآن الذي يُتلى ويرى الصلوات وحال المسلمين فيـها وينظر إلى أخلاق المسلمين عن قرب بعـيدًا عن النقولات الكاذبة والتشويشات التي يشوش بهـا أهل الكفر وأهل الإسراف على المسلمين، وكذلك بعيدًا عن الأراجيف والشائعات فإذا رآهم وعـرف حقيقتهم ورآهم في صلواتهم، وسمع قول المؤذن: اللَّه أكبـر اللَّه أكبر، وقول المؤذن: لا إله إلا اللَّه، ورأى صـفوف المسلمين، ورأى توقـير المسلمين لرسـول اللَّه ﷺ، وتوقيرهم بعـضهم لبعض وشفـقة الرسول ﷺ عليهم، إلى غير ذلك مما يراه الداخل عليهم والمختلط بهم، فحينئذ يُسلم وينشرح صدره للإسلام للصورة الطيبة التي رآها منهم.

وهذا واللَّه أعلم كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٦].

تقتل تقتل ذا دمٍ، وإن تنعم تنعم على شـاكرٍ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركـه رسول اللَّه ﷺ حتى كان بعـد الغد، فقال: «**ما عندك ياثمـامة؟!**» قال: مـا قلت لك. إن تنعم تنعم على شـاكرٍ، وإن تقتـل تقتل ذا دمٍ. وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول اللَّه ﷺ حتى كان من الغد. فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟!**» فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شـاكرٍ، وإن تقتل تقتل ذا دمٍ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**».

فانطلق إلى نخلٍ قـريبٍ من المسجد. فاغـتسل. ثم دخل المسجـد فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محـمدًا عبده ورسوله. يا محـمد! واللَّه ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إلى من وجهك! فقـد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، واللَّه مـا كان من دينٍ أبغض إليَّ من دينك! فـأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، واللَّه! مـا كان من بلدٍ أبغض إلي من بلدك، فـأصبح بلدك أحب البلاد كلهـا إليَّ، وإن خيلك أخـذتني وأنا أريد العمرة، فـماذا ترى؟ فـبشـره رسـول اللَّه ﷺ، وأمره أن يعـتمر. فلمـا قدم مكة قـال له قائلٌ: أصبـوت[1]؟ فقـال: لا. ولكني أسلمت مع رسول اللَّه ﷺ. ولا، واللَّـه لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ حتى يأذن فيها رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) صبوت: أي: خرجت من دينك الذي كنت عليه.

ومن هذا الباب[١] : دعاء الرسول ﷺ على أقوام ودعاؤه لأقوام:

● أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَدِم الطفيل بن عمرو على الرسول ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إن دوسًا عصت وأبتْ، فادع اللَّه عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: «**اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وأْتِ بهم**».

● وفي «صحيح مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول اللَّه ما أكره، فأتيت رسول اللَّه ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول اللَّه إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع اللَّه أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم اهْدِ أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي اللَّه ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعها وعجلتْ عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله.

● وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليهم، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**».

● وقال عليه الصلاة والسلام[٥]: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بأبي**

---

(١) باب الانتصار والمؤاخذة بقدر المظلمة أو العفو.
(٢) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٦)، ومسلم (مع النووي ١٦/٧٧).
(٣) مسلم (١٦/٥١ مع النووي). (٤) مسلم (مع النووي ١٢/٢١١).
(٥) البخاري (مع الفتح ١/٣٤٩)، ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٠).

جهل وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط».

وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منهم من دعا على القوم ومنهم من دعا لهم.

• قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

فدعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه لما رأى أن لا جدوى في بقائهم، بل رأى أن في بقائهم إضرارًا بأهل الصلاح وإضلالاً للعباد، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ** ﴾ [هود: ٣٦].

• وكذلك نبي اللَّه موسى ﷺ قال: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [يونس: ٨٨].

• أما الخليل إبراهيم ﷺ فقد قال: ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

• وعيسى عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة: ١١٨].

وكذلك أصحاب نبينا ﷺ ورضوان اللَّه عليهم تجاوزوا أحيانًا عن من ظلمهم وجهل عليهم وأحيانًا دعوا على من ظلمهم:

• فأبو بكر ـ كما تقدم ـ عفا عن مسطح مع قذف مسطح لابنته عائشة رضي اللَّه عنها وتبرئة اللَّه لها.

● وهذا عمر يتجاوز عن جهل الجاهل:

● أخرج البـخاري[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهـما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبـانًا. فقال عـيينة لابن أخيـه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمـير، فاستأذن لي عليـه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عبـاس: فاستأذن الحر لعيينة، فـأذن له عمر، فلما دخل عليه قـال: هي يا ابن الخطاب، فواللَّه ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيـننا بالعدل. فغضب عـمر حتى هَمَّ به، فـقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن اللَّه تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. واللَّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب اللَّه.

أما دعاؤهم على من ظلمهم:

● فهذا سعد بن أبي وقاص يدعو على رجل افترى عليه الكذب، وافترى عليه ووصفه بما ليس فيه:

● أخرج البخاري[٢] من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي اللَّه عنه، فعـزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي! فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي! قال أبو إسحاق: أما أنا واللَّه فإني كنت أصلي بهم صـلاة رسول اللَّه ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخرين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل

(١) البخاري (حديث ٤٦٤٢). (٢) البخاري (حديث ٧٥٥).

معه رجُلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا. حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجلٌ منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما واللَّه لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعةً فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتون، أصابتني دعوة سعد!!

قال عبد الملك[1]: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن.

• وهذا سعيد بن زيد رضي اللَّه عنه يدعو على أروى بنت أويس لما ادَّعت عليه أنه أخذ شيئًا من أرضها ظُلمًا:

• أخرج الإمام مسلم[2] في «صحيحه» من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويسٍ ادعت على سعيد بن زيدٍ أنه أخذ شيئًا من أرضها. فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيدٌ: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه[3] إلى سبع أرضين»**. فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبةً فعَمِّ بصرها واقتلها في أرضها.

قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت.

---

(١) الرواي عن جابر بن سمرة. (٢) مسلم (ص١٢٣١).
(٣) طوَّقه: أي: جُعل طوقًا في عنقه.

● وفي رواية لمسلم أيضًا: اللهــم إن كانت كاذبةً، فأعم بصــرها، واجعل قبرها في دارها.

قال: فرأيتهــا عمياء تلتمس الجدر. تقول: أصابتني دعــوة سعيد بن زيد. فبــينما هي تمشي في الدار مــرت على بئر في الدار، فوقــعت فيــها. فكانت قبرها.

فانظر عمن ســتعفو؟ وهل عفوك عنه يجلب الإصــلاح؟ أم أن عفوك عنه سيزيده عتوًا وفسادًا وظلمًا وتطاولاً وبغيًا على العباد؟!

فإذا كان عفوك عنه سيجلب الصلاحَ وسيــخمد الفتنة وسيكون سببًا لدفع الشر والفــساد؛ فاسلك حــينئذٍ ســبيل الكاظمين الغيظ والــعافين عن الناس، فاللَّه يحب المحسنين.

أما إذا كان العفو سيزيد الشخص عتـوًا وظلمًا وفسادًا وبغيًا على العباد، فـعليك حينئـذٍ أن تأخـذ بالقصــاص، وأن تردع البــاغي وأن ترد الظالم عن ظلمه، وتوقف المفسد عن فساده فاللَّه لا يحب المفسدين.

وقد جاءت سنة رسول اللَّه ﷺ بهذا وبذاك، ومن يُرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين.

فعلى الشخص أن يعرف متى يعفو ؟ ومتى يؤاخذ ؟

متى يصفح ؟ ومتى ينتصر بقدر مظلمته ؟

ويسأل اللَّه التوفيق والسداد في كل الأحوال.

ولك أن تأخذ بقدر مظلمتك كما أسلفنا ، ولكن :

• إياك أن تأخذ أكثر من مظلمتك •

• أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم**».

أي: إن إثم السُّباب الواقع من اثنين مختصٌّ بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له.

• وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ [الشورى: ٤٠].

• وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ**﴾ [الحج: ٦٠] فأُذن للمظلوم في الانتصار بقدر مظلمته ولا يتعداها.

• وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾ [الإسراء: ٣٣].

ومن هنا تظهر فائدة العفو جليةً واضحةً فالمظلوم لا يستطيع في كثيرٍ من الأحيان أن يضبط المظلمة وقدرها بدقة، فمن ثمَّ قد يتجاوز عند انتصاره فيزيد في الانتصار لنفسه عن المظلمة التي ظُلمها! فيقع في الإثم إن تجاوز قدر المظلمة التي ظلمها، فحينئذ تظهر فائدة العفو، ففضلاً عن كونه لم يوقع نفسه في الإثم، فقد نال بعفوه الأجر، واللَّه أعلم.

• ما على المحسنين من سبيل •

ولا لوم ولا توبيخ على مُحسنٍ من المحسنين إذا ذهبت إليه تطلب منه شيئًا فأعطاك الميسور، وإن كان الميسور قليلاً فلا يُعاتَب، فهو محسن يفعل خيرًا فليشكر على هذا الخير، حتى ولو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة فهو أولاً وأخيرًا محسنٌ وما يفعله ليس بواجب عليه، ومن ثمَّ فلا يُتوجه إليه بلومٍ ولا

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٧).

بعتاب، وكذلك المؤمنون الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ليس عليهم حرج، ولا على الضعفاء ولا على المرضى كذلك إذا تخلفوا عن الجهاد والخير قال اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

فإذا ذهبت إلى شخصٍ تسأله شفاعة أو تطلب منه مالاً أو تسأله عونًا لك على مسألتك فقدَّم ما عنده أو لم يُقدِّم إلا الكلمة الطيبة فلا لوم عليه ولا عتاب، فافهم ذلك واتهم نفسك قبل أن تتهم الناس وأدِّبْ نفسك قبل أن تلوم الناس.

• إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه ذلك •

وهذا له عظيم الأثر في نفس المؤمن ثم هو من الأمور التي تجلب المودة وتزيد في المحبة وقد أمر بذلك النبي ﷺ.

• أخرج ابن السني[1] في «عمل اليوم والليلة» بإسناد صحيح من حديث المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه ذلك**».

• اشفعوا فلتؤجروا •

• والشفاعة، وفيها الوساطة، سببٌ طيبٌ في توطيد أواصر المحبة ففيها جلب للمودة بين طالب الشفاعة والشافع والمشفوع إليه، ومن ثمَّ حث اللَّه

(١) ابن السني في «عمل اليوم والليلة (رقم ١٩٦) وللحديث شاهد فيه المبارك بن فضالة، وهو: مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات، ولفظه: أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه إني أحب فلانًا قال: «فأخبرته؟» قال: لا. قال: «قم فأخبره» قال: فقال: إني أحبك في اللَّه يا أخي فلان، قال: فأحبك اللَّه الذي أحببتني له. أخرجه ابن السني (١٩٧).

سبحانه وتعالى عليها في كتابه الكريم ما دامت شفاعة حسنة ليس فيها إضرار بأحد ولا سلبٌ لحقوق أحد ولا تعدٍّ على حدٍّ من حدود اللَّه ولا تعطيل لحد.

أما إذا حالت الشفاعة عند السلطان دون إقامة الحدود فهي حينئذ حرام، وكذلك إذا كان في الشفاعة تضييع لحقوق أقوام فهي حرام، قال اللَّه تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا**﴾ [النساء: ٨٥].

- وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «**اشفعوا فلتؤجروا وليقض اللَّه على لسانه نبيه ما شاء**».

ففي الحديث الحث على الشفاعة، وإن لم تُقبل فالشافع مأجور، وقد شفع النبي ﷺ، ومع فضله وكونه سيد ولد آدم إلا أن شفاعته لم تقبل عند امرأة من النساء كانت أَمَةً فأُعْتِقت، ومع ذلك لم يُثرِّب عليها رسول اللَّه ﷺ:

- ففي «صحيح البخاري» من حديث ابن عباس[٢] رضي اللَّه عنهما أن زوج بريرة كان عبدًا يُقال له: مُغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: «**يا عباس، ألا تعجب من حُبِّ مُغيث بريرة، ومن بُغض بريرة مغيثًا**»، فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**»، قالت: يارسول اللَّه تأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**»، قالت: لا حاجة لي فيه[٣].

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٢٨)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٢٨٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٩/ ٣٢٤): وفيه جواز مخالفة المشير فيما =

أما الحدود إذا وصلت إلى الحاكم فلا شفاعة فيها لقول النبي ﷺ لأسامة لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت: «**أتشفع في حدٍّ من حدود اللَّه يا أسامة**»[١].

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود اللَّه فقد ضاد اللَّه...**»[٢].

وقال القاضي عياض[٣] رحمه اللَّه تعالى: وأما المصرون على فسادهم المشتهرون في باطلهم فلا يشفع فيهم ليزجروا عن ذلك.

● **قلت**: فجديرٌ بمن طُلبت منه شفاعة أن لا يبخل بها، بل يشفع ولا يتردد وإن ظن أن شفاعته سترد فهو مأجور على كل حال إن شاء اللَّه.

= يشير به في غير الواجب، واستحباب شفاعة الحاكم في الرفق بالخصم حيث لا ضرر ولا إلزام ولا لوم على من خالف وغضب ولو عظم قدر الشافع، وترجم له النسائي «شفاعة الحاكم في الخصوم قبل فصل الحكم ولا يجب على المشفوع عنده القبول».

ويؤخذ منه أن التصميم في الشفاعة لا يسوغ فيما تشق الإجابة فيه على المسئول، بل يكون على وجه العرض والترغيب، وفيه جواز الشفاعة قبل أن يسألها المشفوع له لأنه لم ينقل أن مغيثًا سأل النبي ﷺ أن يشفع له، كذا قيل، وقد قدمت أن في بعض الطرق أن العباس هو الذي سأل النبي ﷺ في ذلك، فيحتمل أن يكون مغيث سأل العباس في ذلك ويحتمل أن يكون العباس ابتدأ ذلك من قبل نفسه شفقة منه على مغيث ويؤخذ منه استحباب إدخال السرور على قلب المؤمن، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة نفع اللَّه به: فيه أن الشافع يؤجر ولو لم تحصل إجابته، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع لم تمتنع الشفاعة.

(١) البخاري (حديث ٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (حديث ٣٥٩٧) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

وقد رأى بعض أهل العلم أن الشفاعة في الحدود جائزة ما لم تبلغ السلطان فإذا بلغت السلطان فلا شفاعة حينئذ (انظر «سنن البيهقي» ٨/ ٣٣).

(٣) كما نقل ذلك عنه الحافظ (١٠/ ٤٦٦).

• **قلت**: ومن أبواب الشفاعة التوسط لشخص لكي يعمل في عملٍ أو يوظَّف في وظيفةٍ من الوظائف، فهذه الوساطة محمودة والوسيط مأجور إذا كان يشفع في وظيفة غير مشبوهة ولا محرمة، وكذلك إذا لم يكن المشفوع فيه لن يأخذ حقَّ أحد ولن يتقلد منصبًا ليس له بكفؤ، وأن لا ترجع الشفاعة بضررٍ على أحدٍ من المسلمين.

• التعفف عما في أيدي الناس •

وهذا باب عظيم لجلب محبة الناس فالزهد فيما بأيديهم يُحببهم فيك، ويرفع من شأنك عندهم، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس فيحملهم على ازدرائك، بل والسخرية منك واحتقارك فالناس يحبون من يعطيهم[1]، ومن ثمَّ جاءت النصوص تحث على التعفف وقصر النظر عما في أيدي الناس.

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه: ١٣١].

• وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول اللَّه ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعفّه اللَّه، ومن يستغن يُغنه اللَّه، ومن يتصبر يصبره اللَّه، وما أعطي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**».

---

(١) نعم فالناس يحبون من يعطيهم ولا يوقرون من يأخذ منهم، وذلك أن الناس جبلوا على حب المال، قال تعالى: ﴿وتحبون المال حبًا جمًا﴾ فإذا نازعت الناس فيما يحبون كرهوك واستثقلوك.

(٢) البخاري (حديث ١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

● وقد ورد حديث في إسناده مقال: «ازهد في الدنيا يحبك اللَّه، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

● وفي «الصحيحين»[1] من حديث حكيم بن حزام رضي اللَّه عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «**يا حكيم، إن هذا المال خضرةٌ حُلوة، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفسٍ لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع. اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**»[2] قال حكيمٌ: فقلت: يا رسول اللَّه، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي اللَّه عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه. ثم إن عمر رضي اللَّه عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا. فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيمٍ أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول اللَّه ﷺ، حتى توفي.

● وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[3]: «**وأهل الجنة ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مُقسطٌ متصدق موفَّق، ورجل رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».

● وقال النبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنَّعه اللَّه بما آتاه**»[4].

---

(١) البخاري (حديث ١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٣).

(٢) وفي «صحيح مسلم» (١٠٣٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا: «.. واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة..».

(٣) مسلم (حديث ٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللَّه عنه.

(٤) مسلم في «صحيحه» (حديث ١٠٥٤) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما.

● وقد قال النبي ﷺ[١]: «**ليس الغنى عن كثرة العرض[٢] ولكن الغنى غِنى النفس**».

أي ليس الغنى بما أُوتي الشخص من عرض الحياة الدنيا وأحوالها ومتاعها، فمهما أوتي ابن آدم ـ إذا كانت نفسه لا تشبع ـ لا يُعدُّ غنيًّا ما دام لم يقنع بما آتاه اللَّه فهو دائم التطلع، أما إذا كانت نفسه قانعة راضية دائمًا فهذا هو الغني إذ ليس له حاجة فيما في أيدي الآخرين واللَّه أعلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه[٣]: (فغني النفس الذي لا يستشرف إلى المخلوق، فإن الحر عبدٌ ما طمع، والعبد حرٌّ ما قنع، وقد قيل: أطعت مطامعي فاستعبدتني، فكره أن يتبع نفسه ما استشرفت له لئلا يبقى في القلب فقرٌ وطمع إلى المخلوق، فإنه خلاف التوكل المأمور به وخلاف غنى النفس).

● وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه**».

● وفي «صحيح البخاري»[٥] من حديث الزبير بن العوام رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف اللَّه بها وجهه خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**».

---

(١) البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) العرَض هو ما ينتفع به من متاع الحياة الدنيا.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٣٢٩).

(٤) البخاري (حديث ١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢).

(٥) البخاري (حديث ١٤٧١).

• وفي «سنن أبي داود»[1] بإسناد صحيح من حديث سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«المسائل كدوح يكدح[2] بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان أو في أمرٍ لا يجد منه بُدًا»**.

---

(1) أبو داود (حديث ١٦٣٩).

(2) فالعمل ليس بعيب، إنما المذموم مدّ الرجل يده للناس وأن يجعل يده هي السفلى دائمًا، وهو مستطيع للكسب والارتزاق بإذن اللَّه.

وها هم أنبياء اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليهم وأهل الفضل وأهل الصلاح كانوا يعملون ويرتزقون.

فما بعث اللَّه نبيًا إلا رعى الغنم كما قال رسول اللَّه ﷺ قالوا: وأنت يا رسول اللَّه؟ قال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (أخرجه البخاري حديث ٢٢٦٢).

وقد كان زكريا عليه السلام نجارًا، كما قال النبي ﷺ أخرجه مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٣٧٩).

وأيضًا قال اللَّه لداود عليه السلام: ﴿اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وها هو سليمان النبي الكريم يقف متفقدًا الطير وسائلاً عن المتخلف منهم فيقول: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

وأيضًا يراقب الجن وهي تعمل وهو متكئ على عصاه، قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

وقد أوحى اللَّه تعالى إلى نوح عليه السلام: ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال اللَّه جل ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ..﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال عمر رضي اللَّه عنه: «ألهاني الصفق بالأسواق».

وقال أبو هريرة رضي اللَّه عنه: «وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق» البخاري (٢٠٤٧)، ومسلم (٢٤٩٢).

وكان خباب بن الأرت يعمل قينًا (أي: حدادًا).

أخرجه البخاري (٢٢٧٥)، ومسلم (مع النووي ١٧/١٣٨).

وأرسل النبي ﷺ إلى أُبي بن كعب طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه (مسلم ٢٢٠٧). =

● وأخرج أبو داود[1] من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة؟**» فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا.

● وفي «الصحيحين»[2] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لحمٍ**».

● وأخرج الإمام أحمد[3] بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال عمر: يا رسول اللَّه سمعت فلانًا يقول خيرًا، ذكر أنك أعطيته دينارين، قال: «**لكن فلان لا يقول ذلك، ولا يثني به، لقد أعطيته ما بين العشرة إلى المائة**» - أو قال: **إلى المائتين - وإن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيها إياه فيخرج بها متأبطًا وما هي لهم إلا نار**».

= وقال اللَّه تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].
وقال عبد الرحمن بن عوف رضي اللَّه عنه: «دلوني على السوق» (البخاري ٢٠٤٩).
وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].
وكان أبو مسعود البدري يحمل على ظهره ويأتي بمال يتصدق به لما نزلت آية الصدقة (البخاري حديث ١٤١٥)، ومسلم (٧/ ١٠٥).
إلى غير ذلك من الأدلة في هذا الباب، وكلها تدل على أن الأنبياء وأهل الفضل والصلاح كانوا يلتمسون أبواب الرزق ويطرقونها ويتقون مسألة الناس - بل كانوا يتصدقون، فقد علموا أن اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى.

(١) إسناده صحيح وله طرق عن ثوبان (وهو عند أبي داود ١٦٤٣).

(٢) البخاري (حديث ١٤٧٤)، ومسلم (حديث ١٠٤٠).

(٣) «المسند» (٣/ ١٦).

قال عمر: يا رسـول اللّه فَلِمَ تعطيهم؟ قال: «**إنهم يأبون إلا أن يسـألوني، ويأبى اللّه لي البخل**».

● وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث عوف بن مالك رضي اللّه عنه قال: كنا عند رسول اللّه ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً. فقال: «**ألا تبايعون رسول اللّه؟**» وكنا حديث عهد ببيعة. فقلنا: قد بايعناك يا رسول اللّه! ثم قال: «**ألا تبايعون رسول اللّه؟**» فقلنا: قد بايعناك يا رسول اللّه! ثم قال: «**ألا تبايعون رسـول الـلّه؟**» قال: فبـسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الـلّه! فعلام نبايـعك؟ قال: «**على أن تعبـدوا اللّه ولا تشركوا به شيئًا. والصلوات الخمس. وتطيعوا** (وأسرَّ كلمة خفية) **ولا تسألوا الناس شيئًا**» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدًا يناوله إياه.

● وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي اللّه عنه قال: تحملت حمالةً[٣]. فأتيت رسول اللّه ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها**». قال: ثم قال: «**يا قبيصة! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجلٌ تحـمل حمالةً فـحلَّت له المسألة حـتى يصيبـها ثم يمسك**[٤]. **ورجلٌ أصابتـه جائحةٌ اجتـاحت ماله**[٥] **فحلَّت له المسـألة حتى يُصيب قـوامًا من**

(١) مسلم (حديث ١٠٤٣).
(٢) الحديث عند مسلم (حديث ١٠٤٤).
(٣) تحملت حمالة: الحمالة هي المال الذي يتحمله الإنسان، أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين: كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك.
(٤) حتى يصيبها ثم يمسك: أي: إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين، ثم يمسك نفسه عن السؤال.
(٥) ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله: قال ابن الأثير: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأمور وتستأصلها، وكل مصيبة عظيمة. واجتاحت أي: أهلكت.

عيشٍ[١] (أو قال: سدادًا من عيشٍ)[٢]. ورجلٌ أصابته فاقةٌ[٣] حتى يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحجا من قومه[٤]: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ. فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيشٍ (أو قال: سدادًا من عيشٍ) فما سواهن من المسألة، يا قبيصة! سحتًا يأكلها صاحبها[٥] سحتًا».

أما إذا جاءك مالٌ من شخص، وكان مصدره حلالاً، وليس برشوة في الدين، ولم تكن نفسك مشرفة متطلعة لهذا المال فحينئذ يجوز لك أخذه، بل يستحب لما في «الصحيحين»[٦] من حديث عمر رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال: **«خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مُشرف ولا سائل[٧] فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك».**

أما إذا كنت تظن أن مصدر المال حرام فلا تقبله حينئذ.

---

(١) قوامًا من عيش: أي: إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة.

(٢) سدادًا من عيش: القوام والسداد، بمعنى واحد. وهو ما يغني من الشيء وما تسدّ به الحاجة. وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد. ومنه: سداد الثغر، وسداد القارورة، وقولهم: سداد من عوز.

(٣) فاقة: أي: فقر وضرورة بعد غنى.

(٤) حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: هكذا هو في جميع النسخ: «حتى يقوم ثلاثة»، وهو صحيح. أي: يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته فاقة. والحجا، مقصور، وهو العقل. وإنما قال ﷺ: «من قومه»، لأنهم من أهل الخبرة بباطنه. والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه.

(٥) سحتًا يأكلها صاحبها: هكذا هو في جميع النسخ: «سحتًا». وفيه إضمار. أي: أعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا. والسحت هو الحرام. قال ذلك النووي.

(٦) البخاري (حديث ١٤٧٣)، ومسلم (حديث ١٠٤٥).

(٧) قال شيخ الإسلام «مجموع الفتاوى» (١٨/٣٢٨): فالسائل بلسانه وهو ضد المتعفف، والمشرف بقلبه وهو ضد الغني.

قال الحافظ ابن حجر[1] رحمه اللَّه: والتحقيق في المسألة أن من علم كون ماله حلالاً فلا ترد عطيته، ومن علم كون ماله حرامًا فتحرم عطيته، ومن شك فيه فالاحتياط رده وهو الورع، ومن أباحه أخذ بالأصل، قال ابن المنذر: واحتج من رخص فيه بأن اللَّه تعالى قال في اليهود: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ [المائدة:٤٢]. وقد رهن الشارع درعه عند يهودي مع علمه بذلك، وكذلك أخذ الجزية منهم مع العلم بأن أكثر أموالهم من ثمن الخمر والخنزير والمعاملات الفاسدة.

● وفي «صحيح مسلم»[2] من طريق ابن السعدي المالكي أنه قال: استعملني[3] عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه على الصدقة فلما فرغت منها وأديتها إليه أمر لي بعُمالة[4] فقلت: إنما عملت للَّه وأجري على اللَّه، فقال: خُذ ما أُعطيت فإني عملت على عهد رسول اللَّه ﷺ فعمَّلني[5]، فقلت مثل قولك، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**إذا أُعطيت شيئًا من غير أن تسأل فكُل وتصدَّق**».

وانظر إلى أثر التعفف عما في أيدي الناس وإكرام اللَّه للعفيف، فهذا عبدالرحمن بن عوف يقدم إلى المدينة فيؤاخي الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع فيعرض عليه سعد إحدى زوجتيه وأن يُشاطره ماله فيتعفف عبد الرحمن عن هذا فما هي إلا أيام حتى يأتي عبد الرحمن وعليه أثر صفرة وقد تزوج، ثم بعد ذلك يصبح ابن عوف من كبار الأثرياء.

---

(١) «الفتح» (٣/ ٣٩٦).　　(٢) مسلم (٧٢٢).
(٣) أي: جعلني عاملاً على الصدقة أجمعها لبيت المال.
(٤) أي: أجرة العمل.
(٥) أي: أعطاني عمالتي وأجرة عملي.

● أخرج البخاري[١] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعدٌ ذا غنىً، فقال لعبد الرحمن: أُقاسمك مالي نصفين وأزوجك. قال: بارك اللَّه لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فما رجع حتى استفضل أقطًا وسمنًا، فأتى به أهل منزله. فمكثنا يسيرًا - أو ما شاء اللَّه - فجاء وعليه وضرٌ من صفرةٍ فقال له النبي ﷺ: «**مهيم؟**» قال: يا رسول اللَّه تزوجت امرأةً من الأنصار. قال: «**ما سقت إليها؟**» قال: نواة من ذهبٍ - أو وزن نواةٍ من ذهبٍ - قال: «**أولم ولو بشاة**».

وكما أسلفنا فشاء اللَّه أن يكون عبد الرحمن بن عوف من الأثرياء:

● فعند ابن أبي عاصم في «السنة»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**»، قال: فباع عبد الرحمن بن عوف حديقة بأربع مائة ألف فقسمها في أزواج النبي ﷺ.

وإسناده حسن لشواهده.

● ومن شواهده ما أخرجه الترمذي[٣] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أمركن مما يهمني من بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون**»، قال: ثم تقول عائشة (أي: لأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف إذ هو الراوي عنها): فسقى اللَّه أباك من سلسبيل الجنة - تريد عبد الرحمن ابن عوف. وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بمال بيعت بأربعين ألف.

---

(١) البخاري (حديث ٢٠٤٩).
(٢) ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤١٤).
(٣) الترمذي (حديث ٣٧٤٩)، وانظر سائر الشواهد في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (تأليفي).

وها هو أيضًا أبو مسعود البدري رضي اللَّه عنه لما نزلت آية الصدقة يذهب إلى الأسواق فيحمل على ظهره ويأتي بالأجور يتصدق بها، وما هي إلا مدة يسيرة حتى أصبح أبو مسعود من الأثرياء:

● فأخرج البخاري[١] من طريق شقيق بن سلمة قال: كنت جالسًا مع أبي مسعودٍ وأبي موسى وعمارٍ، فقال أبو مسعودٍ: ما من أصحابك أحدٌ إلا لو شئت لقلتُ فيه غيرك، وما رأيت منك شيئًا منذ صحبت النبي ﷺ أعيب عندي من استسراعك في هذا الأمر! قال عمار: يا أبا مسعود، وما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئًا منذ صحبتما النبي ﷺ أعيب عندي من إبطائكما في هذا الأمر! فقال أبو مسعود - وكان موسرًا -: يا غلام هاتِ حُلَّتين، فأعطى إحداهما أبا موسى والأخرى عمارًا وقال: روحا فيه إلى الجمعة.

ومن عجيب أمر بعض الناس أنهم يخرجون في أسفارهم بدون زاد ويزعمون أنهم متوكلون على اللَّه ثم هم يسألون الناس ويمدون الأيدي!!

● أخرج البخاري في «صحيحه»[٢] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل اللَّه تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ [البقرة: ١٩٧][٣].

---

(١) البخاري (حديث ٧١٠٥، ٧١٠٦، ٧١٠٧).

(٢) البخاري حديث (١٥٢٣)، وعقبه بقوله: رواه ابن عيينة عن عكرمة مرسلاً، لكن قد أشار الحافظ ابن حجر إلى من وصله (انظر «فتح الباري» ٣/ ٣٨٤).

(٣) قال فريق من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التقوىٰ﴾: أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك.

• حقًا إنهم بشر •

والمؤمنون بشرٌ يصدر منهم ما يصدر من البشر.

فأبوهم آدم عليه السلام عصى فعصت ذريتُه، وجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته!

خلقوا ضعفاء كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

فإذا صدر من أحدهم زلة فلا تسقطه تمامًا بهذه الزلة، بل اعرف له فضله ومنزلته ومكانته، وأعنه على أن يُصلح نفسه ويقيل عثرته!!

فهاهم أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ خير الناس! وخير أمة أُخرجت للناس! وخير قرنٍ من القرونِ! ومع ذلك صدرت منهم هفواتٌ، وزلاتٌ لكن هذه الهفوات والزلات لم تخرجهم من عداد أهل الفضل والصلاح ولم تزحزحهم عن طريق المتقين، بل هي هفوات مغمورة في بحور فضائلهم ومحيط مناقبهم!

ها هي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها لا تعرف أم المؤمنين خديجة ولم ترها ولم تعاشرها، ومع ذلك تأخذها الغيرة منها وتحملها هذه الغيرة على أن تتكلم فيها.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين لما كانت أسمعه يذكرها.

• وتقول أم المؤمنين عائشة(٢) : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة

---

(١) البخاري (٣٨١٧)، ومسلم (٢٤٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٧).

على رسـول اللَّه ﷺ فعرف استئذان خـديجة فارتاع لذلك فقال: «**اللهم هالة!**» قالت: فغرتُ، فقلتُ: ما تذكر من عـجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك اللَّه خيرًا منها؟!

فانظر إلى وصفها لأم المؤمنين خديجة بقولها: عجوز من عجائز قريش!

وانظر كذلك إلى قولها: حمراء الشدقين ـ أي: عجوز كبيرة جدًا حتى إن أسنانها قد سقطت من الكبر، ولم يبق لشـدقيها بياض شيء من الأسنانِ إنما بقي فيهما حُمرة لثاتها.

• وها هي أم المؤمنين عائشـة رضي اللَّه عنها في نفسهـا من أمير المؤمنين عليٍّ رضي اللَّه عنه شيء[(١)]، فلما ذكرت وفاة رسولِ اللَّه ﷺ ومرض موته قال: فخرج النبيُّ ﷺ يُهادى بين رجلين: بين عباس ورجلٍ آخر!!

فسبحان اللَّه كيف أضربت عن ذكر عليٍّ! وهي تعرف عليًّا رضي اللَّه عنه تمام المعرفة حـتى قال ابن عباس للتـابعي: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ إنه عليٌّ![(٢)].

(١) ظني ـ واللَّه أعلم ـ أن هذا الشيء منذ حديث الإفك، فأم المؤمنين عائشة كانت تتوقع من عليٍّ رضي اللَّه عنه دفاعًا قويًا عنها أمام أهل الإفك، ودفاعًـا قويًا عنها لما استشار رسولُ اللَّـه ﷺ، فصدر من أمير المؤمنين عليٍّ رضي اللَّه عنه أقل من الـذي توقعته عائشة مع عشمها الزائد فيه فتـأثرت رضي اللَّه عنها ممن تتوقع منه مزيد دفاع، يوضح ذلك ما ورد في حديث الإفك (كما عند البخاري ٤١٤١).
وفيه قالت (أي: عائشة): ودعا رسول اللَّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويـستشيرهما في فراق أهله قالت: فأمـا أسامة فأشار على النبيِّ ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه؛ فـقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيرًا، وأما عليٌّ، فـقال: يا رسول اللَّه ﷺ لم يُضيِّق اللَّه عليك والنساءُ سـواها كثيرٌ وسلِ الجارية تصدقك.

(٢) أخرجه البـخاري (حديث ٤٤٤٢)، ومسلم (حديث ٤١٨) من حـديث عائشة رضي اللَّه =

● وها هي أم المؤمنين عائشة أيضًا لا تريد أن يتشاءم الناس بأبيها بعد رسول اللَّه ﷺ فتُعَلِّلُ امتناعها من إبلاغ أبي بكر بالصلاة بالناس لما قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»[١]، تتعلل بقولها: إنَّ أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يُسْمِعِ الناس من البكاء.

وهي في الحقيقة كما أشارت[٢] أرادت أن لا يتشاءم الناسُ بأبي بكر بعد رسولِ اللَّه ﷺ.

● وها هو سعد بن عبادة ـ رضي اللَّه عنه ـ مع فضله وكرمه وصلاحه تحتمله الحميَّةُ في حديث الإفك[٣]، فيقول قولاً غير لائق به وبفضله وبمنزلته، ففي حديث الإفك قالت عائشة رضي اللَّه عنها: فقام رسولُ اللَّه ﷺ من يومه فاستعذر من عبدِ اللَّه بن أُبيٍّ ـ وهو على المنبرِ ـ فقال: «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني عنه أذاه في أهلي، واللَّه ما علمتُ على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيرًا، وما يدخل على أهلي إلا معي**» قالت: فقام سعد بن معاذٍ ـ أخو بني عبد الأشهل ـ فقال: أنا يا

= عنها، قالت: لما ثقل رسولُ اللَّه ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيتي فأذنَّ له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر، قال عبيد اللَّه: (راوي الحديث عن عائشة رضي اللَّه عنها) فأخبرت عبد اللَّه بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد اللَّه بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تُسم عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو عليٌّ.

(١) البخاري (حديث ٦٧٨)، ومسلم (حديث ٤٢٠).

(٢) في «صحيح مسلم» (ص ٣١٣) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: لقد راجعتُ رسولَ اللَّه ﷺ في ذلك. وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبدًا. وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحدٌ إلا تشاءم الناس به. فأردت أن يعدل ذلك رسولُ اللَّه ﷺ عن أبي بكر.

(٣) البخاري (حديث ٤١٤١)، ومسلم (١٧/ ١٠٢) مع النووي.

رسول اللَّه أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام رجلٌ من الخزرج - وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج. قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحميَّةُ - فقال لسعد: كذبت لعمر اللَّه، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

● وأخرج البخاري[1] من حديث جابر - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**اهتز العرشُ لموت سعد بن معاذ**» فقال رجلٌ لجابر: فإن البراء يقول: اهتز السرير، فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن! سمعتُ النبي ﷺ يقولُ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**».

فانظر كيف تسرب إلى البراء القولُ بأن الذي اهتز هو السرير وليس العرش، وذلك للضغائن التي كانت بين الحيين الأوس والخزرج!!

فأراد الخزرجيون صرف الفضيلة عن سيد الأوس، وقالوا: إن الذي اهتز هو السرير وليس العرش، وتسرب هذا القول إلى البراءِ فحكاه رجلٌ عنه؟!! فقام جابر رضي اللَّه عنه بالدفاع عن فضل سعد بن معاذ مع أن جابر رضي اللَّه عنه خزرجي وقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»!!

● وانظر إلى هذه الرواية التي يرويها المقداد عن نفسه وتأملها، فقد رواها مسلم[2] عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد[3]، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) البخاري (حديث ٣٨٠٣)، وأخرجه مسلم مختصرًا (حديث ٢٤٦٦).
(٢) مسلم (حديث ٢٠٥٥).
(٣) الجهد بفتح الجيم، هو الجوع والمشقة.

فليس أحدٌ منهم يقبلنا(١)، فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي ﷺ: «**احتلبوا هذا اللبن بيننا**» قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسانٍ منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه. قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلةٍ، وقد شربت نصيبي، فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم، ما به حاجةٌ إلى هذه الجرعة(٢)، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني(٣)، وعلمت أنه ليس إليها سبيلٌ، قال: ندمني الشيطان، فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك، وعليَّ شملةٌ، إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلتُ: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: «**اللَّهُمَّ أطعم من أطعمني، واسق من أسقاني**» قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ. وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول اللَّه ﷺ، فإذا هي حافلةٌ(٤)، وإذا هن حفلٌ

(١) فليس أحد منهم يقبلنا: هذا محمول على أنَّ الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به.

(٢) ما به حاجة إلى هذه الجرعة: هي بضم الجيم وفتحها، حكاهما ابن السكيت وغيره، والفعل منه جَرِعتُ.

(٣) وغلت في بطني: أي: دخلت وتمكنت منه.

(٤) حافلة: الحفل في الأصل الاجتماع: قال في «القاموس»: الحَفل والحفول والحفيل الاجتماع، يقال حفل الماء واللبن حفلاً وحفولاً وحفيلاً، إذا اجتمع، وكذلك يقال: =

كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة[١]، فجئت إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أشربتم شرابكم الليلة؟**» قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، اشرب. فشرب ثم ناولني، فقلتُ: يا رسول اللَّه، اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت[٢] أن النبي ﷺ قد روي، وأصبت دعوته، ضحكتُ حتى أُلْقيت إلى الأرض، قال فقال النبي ﷺ: «**إحدى سوآتك**[٣] **يا مقداد**» فقلت: يا رسول اللَّه، كان من أمري كذا وكذا. وفعلت كذا. فقال النبي ﷺ: «**ما هذه إلا رحمةٌ من اللَّه**[٤] **أفلا كنت آذنتني، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها**» قال: فقلتُ: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك، من أصابها من الناس.

كان بعضهم يحب المال ويجتمع له:

• قال اللَّه تعالى في أصحاب نبيه ﷺ الذي شهدوا أُحدًا: ﴿**مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ [آل عمران: ١٥٢].

= حفله إذا جمعه، ويقال للضرع المملوء باللبن: ضرع حافل، وجمعه: حُفَّل، ويطلق على الحيوان كثير اللبن: حافلة: بالتأنيث.

(١) رغوة: هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرها، ثلاث لغات مشهورات، ورغاوة بكسر الراء، وحكي ضمها، ورغاية بالضم، وحكي الكسر، وارتغيت شربت الرغوة.

(٢) فلما عرفت .. إلخ، معناه أنه كان عنده حزن شديد خوفًا من أن يدعو عليه النبي ﷺ، لكونه أذهب نصيب النبي ﷺ وتعرض لأذاه، فلما علم أن النبي ﷺ قد روي وأجيبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه، لذهاب ما كان به من الحزن، وانقلابه مسرورًا بشرب النبي ﷺ وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه، وجريان ذلك على يد المقداد، وظهور هذه المعجزة.

(٣) إحدى سوءاتك: أي: أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي؟

(٤) ما هذه إلا رحمة من اللَّه: أي: إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته، وإن كان الجميع من فضل اللَّه. قاله عبد الباقي نقلاً عن النووي.

• وأخرج البخاري ومسلم[١] رحمهما اللَّه من حديث عمرو بن عوف أن رسول اللَّه ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين، يأتي بجزيتها. وكان رسـول اللَّه ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمر عـليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين، فسـمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول اللَّه ﷺ حين رآهم، ثم قال: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قـدم بشيءٍ من البحرين؟**» فقالوا: أجل يـا رسول اللَّه، قال: «**فأبـشروا وأمِّلوا ما يسـركم فواللَّه مـا الفقر أخـشى عليكم ولكني أخشى عليـكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتْهم**».

وانظر إلى هذه الواقعة وتبيَّن ما فيها:

• أخرج الإمـام أحمـد[٢] بإسنادٍ صـحيحٍ من حـديث بريدة - رضي اللَّه عنـه - أنه مرَّ على مجلسٍ وهم يتناولون من عليٍّ فـوقف عليهم، فقال: إنه قد كـان في نفسي علـى عليٍّ شيءٌ، وكان خـالد بن الوليد كـذلك فبعـثني رسـول اللَّه ﷺ في سريّة عليها عليٌّ وأصبنا سبـيًا، قال: فأخذ عليٌّ جاريةً من الخمس لنفسه، فقال خالد بن الوليد: دونك، قال: فلما قدمنا على النبيِّ ﷺ جعلت أحـدثه بما كان ثم قلت: إن عليًّـا أخذ جارية من الخـمس قال: وكنت رجلاً مكبـابًا، قال: فرفعت رأسي، فـإذا وجه رسول اللَّه ﷺ قــد تغيَّر، فقال: «**من كنت وليه فعليٌّ وليه**».

---

(١) البخاري (حديث ٤٠١٥)، ومسلم (حديث ٢٩٦١).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/٣٥٨)، وانظر مزيدًا من تخريجـه في كتابنا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

بل وقد فرَّ منهم قوم من القتال، بل ومن فضلائهم، ولكن اللَّه قد عفا عنهم:

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

[آل عمران: ١٥٥].

• أخرج البخاري[1] من طريق عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد اللَّه بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد؟ قال: نعم، فقال: تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: اللَّه أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك: أمَّا فِرارُه يوم أُحد فأشهد أن اللَّه عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول اللَّه ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**إن لك أجر رجلٍ ممن شهد بدرًا وسهمَه**»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، بعث رسولُ اللَّه ﷺ عثمانَ، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمان**» فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

وقد أقيمت الحدود على عدد منهم: قُطعت أيدي أُناسٍ، وجُلدَ أُناس، ورُجم آخرون.

---

(١) البخاري (حديث ٣٦٩٨).

بل وبعضهم قد وقع في يمين كذب من أجل عَرَضٍ من أعراض الحياة الدنيا الفانية:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦، ١٠٧] جاء في تفسيرها وفي سبب نزولها ما يلي:

● قال الإمام البخاري رحمه الله[١]: وقال لي عليٌّ بن عبد الله: حدثنا يحيى ابن آدم حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن أبي القاسم عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خرج رجلٌ من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدَّاء. فمات السهميُّ بأرض ليس بها مسلمٌ، فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوَّصًا من ذهب، فأحلفهما رسولُ الله ﷺ، ثم وُجد الجامُ بمكة فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦].

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٧٨٠)، وأبو داود (٣٦٠٦)، والترمذي (٣٠٦٠).

وهؤلاء أيضًا أهل فضل وخير وصلاح صدرت منهم أمور:

• فأبو ذر - رضي اللَّه عنه - الذي قال عنه رسول اللَّه ﷺ[1]: «**ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت الغبراءُ من ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر**».

أبو ذر يسبُّ رجلاً فيعيره بأمِّه فيقول له الرسولُ ﷺ: «**إنك امرؤ فيك جاهليّة**» فيقول أبو ذر: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «**نعم**»!!

وها هو الحديثُ بذلك، أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه، قال: كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمُّه أعجميَّة، فنلت منها فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: «**أسابيت فلانًا**»، قلتُ: نعم، قال: «**أفنلت من أمّه؟**» قلتُ: نعم، قال: «**إنك امرؤ فيك جاهليّة**»، قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «**نعم**».

وأبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه، أفضل هذه الأمة وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، يغاضب الأضياف ويقول لهم: كُلوا لا هنيئًا، ويسبُّ ولده، وينال منه غاية النيل لتقصيره في حق الأضياف.

• أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه عنهما: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول اللَّه ﷺ قال مرةً: «**من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعامُ أربعة، فليذهب بخامس، بسادس**»، أو كما قال. وإن أبا بكر جاء بثلاثة. وانطلق نبي اللَّه ﷺ بعشرة، وأبو بكرٍ بثلاثة، قال: فهو وأنا وأبي وأمي - ولا أدري

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٢) عن أبي الدرداء بإسناد صحيح لغيره، وانظر: «المنتخب» لعبد بن حميد - بتحقيقي حديث (٢٠٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٣) البخاري (٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم (حديث ٢٠٥٧).

هل قال: وامـرأتي وخادمٌ بين بيتنا وبيت أبي بكر ـ قـال: وإن أبا بكر تعشى عنـد النـبي ﷺ، ثم لبث حتى صـليت العشاء، ثم رجع فلبـث حتى نعس رسول اللَّه ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء اللَّه، قالت له امرأتُه: ما حبسك عن أضيافك، أو قالت: ضيفك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء. قد عرضوا عليهم فغلبـوهم، قال: فذهبت أنا فاختبأت، وقال: يا غنثر، فجدَّع وسبَّ، وقال: كلوا، لا هنيئًا. وقال: واللَّه، لا أطعمه أبدًا، قال: فايم اللَّه، مـا كنا نأخذ من لقمـةٍ إلا ربًا من أسفلها أكثـر منها، قال: حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكرٍ فإذا هي كما هي أو أكثـر، قال لامرأته: يا أخت بـني فراسٍ، ما هذا؟ قـالت: لا، وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرارٍ، قال: فأكل منها أبو بكرٍ، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منهـا لقمةً، ثم حملها إلى رسول اللَّه ﷺ فأصبحت عنده، قال: وكان بيـننا وبين قومٍ عقدٌ فمضى الأجلُ، فعرفنا اثنا عـشر رجلاً، مع كل رجلٍ منهم أناسٌ، اللَّه أعلمُ كم مع كل رجلٍ، إلا أنه بعث معهم فأكلوا منها أجمعون، أو كما قال.

● **وأبونا آدم عليه الصـلاة والسلام،** ومعه زوجته أمنا حـواء عليها الصلاة والسلام يخدعهـا إبليس بالأمانيّ الكاذبة، ويقول له: ﴿**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾ [طه: ١٢٠].

فيطمع آدم عليـه السلام في الخلود، ثم يقسم له إبليس على صـحة كذبه ومُدَّعاه كما قال تعالى: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٢١].

فيُقدم آدم وزوجته على الأكل من الشـجرة كما قال تعالى: ﴿**فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [طه: ١٢١].

وكما قال سبحانه: ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**﴾ [الأعراف: ٢٢].

فهكذا فعل آدم وزوجه عليهما السلام طمعًا في الخلود في الدنيا!!.

وذريتهما كذلك، قال النبيُّ ﷺ: «**يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب المال وطول العمُر**»[(١)] .

• وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل**»[(٢)].

• **ونوحٌ ﷺ تأخذه الشفقة على ولده**، إذ هو والد قال تعالى: ﴿**وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾ [هود:٤٥] فيقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود:٤٦].

• **وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام**، يقول فيه اللَّه سبحانه: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ**﴾ [هود:٧٤].

• **ويوسف ﷺ يقول للسجين**: ﴿**اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ [يوسف: ٤٢].

وإخوته قبل ذلك يقولون: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [يوسف:٨].

• **وموسى الكليم عليه الصلاة والسلام** ﴿**أَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ومع أن الخضر قال له: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ**

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٢١)، ومسلم (حديث ١٠٤٧) من حديث أنس.

(٢) البخاري (حديث ٦٤٢٠)، ومسلم (حديث ١٠٤٦).

منْهُ ذكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ووعده موسى ذلك بقوله: ﴿سَتَجِدُني إن شَاءَ اللَّهُ صَابرًا وَلا أَعْصي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، ومع ذلك يقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جئْتَ شَيْئًا إمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] فيأخذها عليه الخضر ويذكرها بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إنَّكَ لَن تَسْتَطيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] ثم يقع في نفسه ما وقع فيه ويقول للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكيَّةً بغَيْر نَفْسٍ لَّقَدْ جئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] فيقول الخضر مُذكرًا للمرة الثانية، ومشتدًا في التذكير: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إنَّكَ لَن تَسْتَطيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

فيقول موسى: ﴿إن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْني قَدْ بَلَغْتَ من لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، ثم يسأل موسى أيضًا بعد ذلك ويتعقب بقوله: ﴿لَوْ شئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْه أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

• **بل ونبيُّنا صلوات ربي وسلامه عليه** سيد الناس يوم القيامة[١] وأول شافع وأول مشفع[٢]، وأول من يدخل الجنة عليه الصلاة والسلام[٣]، وصاحب المقام المحمود[٤]، والحوض المورود، يقول اللَّه سبحانه وتعالى في

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٤٠)، ومسلم (حديث ١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع» (حديث ٢٢٧٨).

(٣) أخرج مسلم (حديث ١٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال رسول اللَّه ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرْتُ لا أفتح لأحد قبلك».

(٤) قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [الإسراء: ٧٩].
وأخرج البخاري (٤٧١٨) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه اللَّه المقام المحمود.

شأنه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠].

- ويقول هو عن نفسه عليه الصلاة والسلام: **«إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر»**[١] .

- ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس: ١، ٢].

فحقًا إن الجميع بشرٌ يعتريهم ما يعتري البشر، فإذا كان أهل الفضل والصلاح أولو العزم من الرسل وسائر الأنبياء، ثم أهل العلم والفضل والصلحاء يعتريهم ما يعتري البشر، فغيرهم من أهل الإيمان من باب أولى، ثم غيرهم من عموم الناس من باب أولى وأولى.

- فالناس يحبون من أحسن إليهم، ويكرهون من يسيء إليهم!

- يحبون من يسترهم! ويكرهون من يفضحهم!

---

(١) أخرج مسلم (٢٦٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه، قال: كان عند أم سليم يتيمةٌ. وهي أم أنس، فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة، فقال: «آنت هيه؟ لقد كبرت، لا كبر سنك» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: ما لَكِ؟ يا بنية؟! قالت الجارية: دعا على نبي الله ﷺ أن لا يكبر سني، فالآن لا يكبر سني أبدًا. أو قالت: قرني[١] . فخرجت أم سليم مستعجلةً تلوث خمارها[٢] ، حتى لقيت رسول الله ﷺ، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما لكِ يا أم سليم؟» فقالت: يا نبي الله، أدعوت على يتيمتي؟ قال: «وما ذاك يا أم سليم؟» قالت: زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها، قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «يا أم سليم، أما تعلمين أن شرطي على ربي، أني اشترطت على ربي فقلتُ: إنما أنا بشرٌ، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحدٍ دعوت عليه من أمتي، بدعوة ليس لها بأهلٍ، أن تجعلها له طهورًا، وزكاةً وقربةً يقربه بها منه يوم القيامة».

---

(١) قرني: قال القاضي: السن والقرن واحد. يقال: سنه وقرنه، مماثله في العمر، فكأنه قال لها: لا طال عمرك لأنه أصل قرنها.

(٢) تلوث خمارها: أي: تديره على رأسها.

• يحبون المشفق الحنون عليهم، ويكرهون الجلف الجافي الغليظ!.

• يحبون من يتمنى لهم الخير، ويكرهون من يتمنى لهم الشر!

• يحبون من يدعو لهم، ويكرهون من يحسدهم!!

• يحبون المتواضع لهم، ويكرهون المتعالي المستكبر عليهم!!

• يحبون من وصلهم وواساهم، ويكرهون من قطعهم وعاداهم!!

• يحبون من يهدي لهم ويُسلم عليهم، ويكرهون ويبغضون من يسرقهم ويجفوهم!!

• يحبون من يثني عليهم، ويكرهون من يذمُّهم!!

• يحبون من يذكرهم بما فيهم من خير وصلاحٍ، وبما في آبائهم من ذلك الخير والصلاح!!

• فعلى الشخص أن يتعامل مع الناس على ما تقتضيه بشريتهم فلهم طاقات وقدرات، ولهم مشاعر وأحاسيس ويحتاجون إلى جبر الخاطر، ويحتاجون إلى دفع الشكوك عنهم وتطييب نفوسهم، وإقالة عثراتهم، وستر عوراتهم.

فعليك برحمة العباد وعليك بالستر عليهم، وعليك بإقالة عثراتهم، وعليك بإنزالهم منازلهم.

* * *

• جبر الخواطر وتطييبها •

وجبر خـواطر الناس التي كُسرت باب طيب من أبواب المواسـاة وتخفيف المصائب عن العـباد، وله أدلته من كتـاب اللَّه ومن سنة رسوله ﷺ، ومـن الأدلة عليه ما يلي:

• قـول اللَّه تبارك وتعـالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [النساء:٨].

وذلك عند قسـمة الميراث إذا حـضر القسمـة الأقارب والفقـراء والمساكين الذين لا حظَّ لهم في الميـراث ولا مال لهم، فطيِّب خاطـرهم بجزء من المال أو جزء من التركـة تعطيهم إياه يبارك اللَّهُ لك ويعـوضك اللَّه خيرًا ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ:٣٩].

فيا ليت الناس ينتبهون عند تقسيم الميراث لمثل هذا الأدب الكريم!

• **ومن باب جبر الخاطر** أيضًا قوله تعالى: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة:٢٤١].

فخاطر المطلقة مكسور لكونهـا طُلِّقت، فعوِّض هذا الكسر بشيء من المال تخفيفًا عن أحزانها.

• **وذكـر بعض أهل العلم أن خـاطر إبراهيم ﷺ قـد جُبـر،** لما أصابـه ما أصابه من قلة المؤمنين به، ومن قذفه في النار إلى غير ذلك ـ جُبر خاطره بأن جعل اللَّه كلمة التوحـيد في عقبه وجعل الرسل من بعده من ذريتـه كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف:٢٨].

• **وكـذلك جبـر خـاطر يوسف ﷺ** لما ألقي في غـيابات الجب، ألقـاه

إخوته، ثم دخل السجن بعد اتهامه وهو بريء، جبر خاطره مع من تسببت في سجنه فقالت: **﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾**

[يوسف: ٥١، ٥٢].

• **وكذلك جبر خاطره مع إخوته** الذين ألقوه في البئر لما جاءوا ذليلين منكسرين قائلين: **﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾** [يوسف: ٨٨].

• **ومن جبران الخاطر أيضًا:** ما أخرجه أحمد والترمذي[1] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه بإسناد صحيح أن أمةً سوداء أتت رسول اللَّه ﷺ ورجع من بعض مغازيه، فقالت: إني نذرت إن ردك اللَّه صالحًا أن أضرب عندك بالدف فقال: «**إن كنت فعلت فافعلي، وإن كنت لم تفعلي فلا تفعلي**»، فضربت.. الحديث.

نماذج أخر من تطييب الخواطر:

وإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا أو تمنع آخر من شيء فكلِّل ذلك بالكلمات الطيبة، وليكن منعك أو عطاؤك مصحوبًا بالخُلُق الحسن والثناء الجميل:

• فاللَّه عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾** [الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦)، والترمذي (٣٦٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة.

• وانظر إلى الكلمات الطيبة والثناء العطر وجبر الخاطر في حديث رسول اللَّه ﷺ لأصحابه الثلاثة الكرام لما قضى بينهم في شأن ابنة حمزة، كما في «صحيح البخاري»[1] من حديث البراء رضي اللَّه عنه، قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة.. فذكر الحديث، وفيه: فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمِّ يا عمِّ، فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك حمِّليها، فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفر.

قال عليٌّ: أنا أخذتها وهي بنت عمي!

وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي!

وقال زيدٌ: ابنة أخي!

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال ﷺ: **«الخالة بمنزلة الأم»**.

وقال ﷺ لعلي: **«أنت مني وأنا منك»!!**

وقال ﷺ لجعفر: **«أشبَهْتَ خَلقي وخُلُقي»!!**

وقال ﷺ لزيد: **«أنت أخونا ومولانا»!!**

فانظر إلى تطييب الخاطر في قوله عليه الصلاة والسلام: **«أنت مني وأنا منك»!**

وفي قوله ﷺ لجعفر: **«أشبهت خلقي وخُلُقي»!!**

وفي قوله ﷺ لزيد: **«أنت أخونا ومولانا»!!**

• ويأتي الخصمان يختصمان إلى رسول اللَّه ﷺ في قضية ذات أهمية، فبين يدي الحكم يطمئنهما ﷺ بقوله: **«والذي نفسي بيده لأقضين بينكما**

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٥١).

بكتاب اللَّه جلَّ ذِكْرُهُ»[١]!! وهذا حتى تطمئن قلوبهما ويعلما أن الحكم إنما

(١) البخاري (حديث ٦٨٢٨)، ومسلم (حديث ١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد ابن خالد الجهني رضي اللَّه عنهما أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه[١]. فقال الخصم الآخر: وهو أفقه منه[٢]: نعم، فاقض بيننا بكتاب اللَّه، وائذن لي. فقال رسول اللَّه ﷺ: «قل» قال: إن ابني كان عسيفًا[٣] على هذا[٤] فزنى بامرأته. وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت[٥] منه بمائة شاة ووليدة. فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللَّه، الوليدة والغنم ردٌّ[٦] وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام. واغد يا أنيس[٧] إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها».
قال: فغدا عليها، فاعترفت فأمر بها رسول اللَّه ﷺ فرجمت.

(١) أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه: معنى أنشدك أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي، وقوله: «بكتاب اللَّه» أي: بما تضمنه كتاب اللَّه.

(٢) وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه. ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها، ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى: ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات:١] بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك اللَّه، فإنه من جفاء الأعراب.

(٣) عسيفًا: العسيف هو الأجير، وجمعه عسفاء كأجير وأجراء وفقيه وفقهاء.

(٤) على هذا: يشير إلى خصمه، وهو زوج مزنية ابنه، وكان الرجل استخدمه فيما تحتاج إليه امرأته من الأمور، فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(٥) فافتديت: أي: أنقذت ابني منه بفداء مائة شاة ووليدة، أي: جارية: وكأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

(٦) الوليدة والغنم رد: أي: مردودة، ومعناه يجب ردها إليك، وفي هذا أن الصلح الفاسد يرد. وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

(٧) واغد يا أنيس: قال الإمام النووي رضي اللَّه تعالى عنه: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيعرفها بأن لها عنده حد القذف فتطالب به أو تعفو عنه. إلا أن تعترف بالزنى فلا يجب عليه حد القذف بل يجب عليها حد الزنى، وهو الرجم لأنها كانت محصنة، فذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنى، فأمر النبي ﷺ برجمها، فرجمت، ولا بد من هذا التأويل لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حد الزنى، وهذا غير مراد، لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقر به الزاني استحب أن يلقَّن الرجوع.

هو حكم اللَّه فيستقبلانه بالرضا والطاعة، وإن لم يكن هذا القسم بمطرد لكن إن احتيج إليه فُعل.

• **وهكذا تعلَّم من النبي ﷺ أصحابه رضي اللَّه عنهم فيقضون بالحق الذي يرونه ويطيبون الخواطر:**

• **وها هو أبو بكر رضي اللَّه عنه:** ترسل إليه فاطمة رضي اللَّه عنها تسأله ميراثها من رسول اللَّه ﷺ ، وأبو بكر قد سمع حديث النبي ﷺ: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»، فيقول أبو بكر رضي اللَّه عنه: .. وإني واللَّه لا أغير شيئًا من صدقات رسول اللَّه ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول اللَّه ﷺ.. فمع هذا الحكم والقضاء من أبي بكر رضي اللَّه عنه إلا أنه يتبعه بالقول الطيب الذي قاله لعلي رضي اللَّه عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللَّه ﷺ أحبُّ إليَّ من أن أصل قرابتي[1] !!!

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٧١١)، ومسلم (حديث ١٧٥٩) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء اللَّه على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر : إن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعني مال اللَّه - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل»، وإني واللَّه لا أغيِّر شيئًا من صدقات رسول اللَّه ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول اللَّه ﷺ.
فتشهد عليٌّ ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك - وذكر قرابتهم من رسول اللَّه ﷺ وحقهم فتكلم أبو بكر فقال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللَّه ﷺ أحبُّ إليَّ من أن أصل قرابتي».

• **وها هو أمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه يطيب خاطر ولده عبد اللَّه بن عمر، لكن ليس على حساب الحقِّ**، فلما جاءه الناس وهو بين يدي الموت لما طُعن فقالوا: «أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول اللَّه ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد اللَّه بن عمر وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له..»[1].

فابن عمر فقط إنما يشهد مجلس اختيار الخليفة بعد عمر، وذلك نوع من أنواع المواساة له، ولكن ليس له من الأمر شيء، ذلك لأن هناك من أهل الفضل وأهل السبق إلى الإسلام وأهل البذل والعطاء والفداء من هو أحق منه، فهو وإن كان ابن عمر - لكن ليس له من الأمر شيء، هكذا قال عمر العادل المنصف رضي اللَّه عنه.

• **وانظر إلى الاعتذار اللطيف المُكلل بالمودة والمحبة،** لكنه اعتذار عن القتال اعتذارٌ صدر من أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما لعلي رضي اللَّه عنه، فقد كان من أمر الحروب بين عليٍّ ومعاوية رضي اللَّه عنهما ما كان، وكان عليٌّ يلوم من تخلف عن القتال معه ضد معاوية، وكان من الذين أمسكوا عن الاشتراك في المعارك أسامة بن زيد، وأسامة هو أسامة بن زيد مولى رسول اللَّه ﷺ فهو متداخل مع آل بيت رسول اللَّه ﷺ فلا جرم أن يجد عليٌّ في نفسه شيئًا تجاه أسامة لتخلفه عن الاشتراك معه في القتال، أما أسامة في نفسه فقد كان قتل رجلاً في المعارك بعد أن قال الرجل: لا إله إلا اللَّه، فلامه الرسول ﷺ أشد اللوم، وما زالت هذه تحيك في صدر أسامة، يحيك

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٠٠).

في صدره أن قـتل رجلاً بعـد أن قال: لا إله إلا اللّـه، فمن ثمَّ اعـتذر عن القتال مع عليٍّ رضي اللَّه عنه ضد معـاوية ومن معه، فمعاوية رضي اللَّه عنه ومن معه يشهدون أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ﷺ؛ فالشاهد أن أسامـة لا يرى الاشتراك في القـتال، ولكن كيف اعـتذر إلى عليٍّ رضي اللَّه عنه، أرسل إليـه يعـتذر إليـه ويُعلمـه أنه من أحب الناس إليـه، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء إلا أنه لا يرى قتال المسلم.

●ففي «صحـيح البخاري»[1] من طريق حرملة قـال: أرسلني أسامة إلى عليٍّ وقال: إنه سيسألك الآن فيقـول ما خلَّف صاحبك؟ فقل له: يقول لك لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معه فيه ولكن هذا أمر لم أَرَهُ!!!

●فاجتـهد يا عبد اللَّه في أن تجبر كل خـاطرٍ قد كُسر إما بكلمـة طيبة أو بهدية أو بزيارة في اللَّه أو بأي نوع تراه سببًا في تخفف المصائب عن إخوانك وجبر خواطرهم، وانتقِ الألفاظ الجميلة واخـتر العبارات الطيبة عند الاعتذار ولك في ذلك الأجر والثواب واللَّه لا يضيع أجر المحسنين.

* * *

(١) البخاري (حديث ٧١١٠).

• مراعاة أحاسيس الناس ومشاعرهم وقدراتهم •

وللناس أحاسيس ومشاعر وقدرات يجب أن تُراعى، وتوضع في الاعتبار عند التعامل معهم، وقد جاء من الأدلة على ذلك ما لا يكاد يُحصى، فعليك أخي الكريم أن تراعي هذا ففيه النفع لك في دينك وفي دنياك وفي معاملتك مع الناس.

وها هي طائفة من الأدلة في هذا الباب، والحمد للَّه على نعمة الإسلام، ذلك الدِّين الذي يكفل لك النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة إن تمسكت به وامتثلت شرائعه:

• أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث مالك بن الحويرث رضي اللَّه عنه، قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول اللَّه ﷺ رحيمًا رفيقًا فلما ظن أنَّا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمَّن تركنا بعدنا فأخبرناه قال: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومُروهم..**» الحديث.

فانظر إلى مراعاة رسول اللَّه ﷺ لأحوال الشباب، ونظره ﷺ في حالهم وفطنته صلوات اللَّه وسلامه عليهم لاشتياقهم إلى أهليهم فمن ثم أمرهم بالرجوع إلى أزواجهم.

• ومن هذا قول النبيِّ ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال: لا يتبعني رجل قد ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولَمَّا يبنِ، ولا آخر قد بنى بنيانًا ولَمَّا يرفع**

---

(١) البخاري (حديث ٦٣١)، ومسلم (حديث ٦٧٤).

سقوفها، ولا آخر قد اشترى غنمًا أو خلفات وهو منتظر ولادها، قال: فغزا فأُدني للقرية حين صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللَّهم احبسها عليَّ شيئًا، فحبست» أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

وهذا النبي هو يوشع بن نون عليه السلام كما في «مسند الإمام أحمد» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس**».

فهذا النبي الكريم الذي غزا يعرف أن العقد على المرأة مدعاة إلى التفكير فيها وفي جماعها ومن ثمَّ أراد أن لا ينشغل أحد المجاهدين بالتفكير في زوجته المعقود عليها، كيف هي؟ ومتى أبني بها؟ ومتى أرجع إليها؟

وكذلك الذي رفع أعمدة بيتٍ يفكر في سقفه متى سيُسقف؟، ومتى سيُسكن؟! فحتى يتفرغ الناس للجهاد وينشغلوا بالقتال، منع النبيُّ خروجَ مَن هذه حالُهُ معهم.

• **ومن ذلك أيضًا:** قول النبي ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان**»[2].

---

(١)البخاري (حديث ٣١٢٤)، ومسلم (حديث ١٧٤٧).

(٢)أخرجه مسلم (حديث ٥٦٠)، وأبو داود (حديث ٨٩) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

قلت: والأخبثان المراد بهما البول والغائط.

قال الخطابي: إنما أمر النبي ﷺ أن يبدأ بالطعام لتأخذ النفس حاجتها منه فيدخل المصلي في صلاته وهو ساكن الجأش لا تنازعه نفسه شهوة الطعام فيعجله ذلك عن إتمام ركوعها وسجودها وإيفاء حقوقها، وكذلك إذا دافعه البول فإنه يصنع به نحوًا من هذا الصنيع، =

• وقوله ﷺ[1]: «**إذا وُضع العَشاءُ وأقيمت الصلاةُ فابدأوا بالعَشاء**».

• وفي رواية أخرى في «الصحيحين»[2]، كذلك من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء ولا يعجل حتى يفرغ منه**».

• وفي «الصحيحين»[3] أيضًا من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا قُدِّم العشاء فابدأوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم**».

ومن مراعاة أحوال الناس أيضًا:

• ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه كان يأمر المؤذن في الليلة الباردة أو المطيرة أن يؤذن فيقول: «**ألا صلوا في الرحال**»[4] :

• أخرج البخاري ومسلم[5] من طريق عبد اللَّه بن الحارث قال: خطبنا ابن عباسٍ في يوم ردغٍ فلما بلغ المؤذن: «حي على الصلاة» فأمره أن يُنادي: الصلاة في الرِّحال، فنظر القومُ بعضُهم إلى بعضٍ، فقال: فعل هذا من هو خير منه وإنها عزمة.

= وهذا إذا كان في الوقت فضل يتسع لذلك، فأما إذا لم يكن فيه متسع له ابتدأ بالصلاة ولم يعرج على شيء سواها.

(١) أخرجه البخاري (٦٧١)، ومسلم (٥٥٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٦٧٣)، ومسلم (حديث ٥٥٩).

(٣) البخاري (حديث ٦٧٢)، ومسلم (حديث ٥٥٧).

(٤) الرحال المراد بها البيوت والمساكن.

(٥) البخاري (مع الفتح ٢/ ٩٧)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٢٠٦).

● وفي «الصحيحين»[١] أيضًا من طريق نافع قال: أذن ابن عمر في ليلة باردة بضجنان، ثم قال: صلوا في رحالكم فـأخبرنا أن رسول اللَّه ﷺ كـان يأمر مؤذنًا يؤذن ثم يقول على إثره: «**ألا صلُّوا في الرِّحال في الـليلة الباردة أو المطيرة في السفر**».

ومن ذلك: تصرف النبي ﷺ مع عثمان رضي اللَّه عنه، فلما كان عثمان رجلاً حييًا قـد يمنعه حياؤه من بيان حاجته وشرح حـالته فمن ثمَّ جمع النبي ﷺ ثيابه وتأهب لاستقبال عثمان رضي اللَّه عنه:

● ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عائشة وعثمان رضي اللَّه عنهما: أن أبا بكر اسـتأذن على رسـول اللَّه ﷺ وهو مـضطجعٌ على فراشـه، لابسٌ مرط[٣] عائشة، فأذن لأبي بكرٍ وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف. ثم اسـتأذن عمـر، فأذن له وهو علـى تلك الحال فـقضى إليـه -حاجتـه، ثم انصرف، قال عثـمان: ثم استأذنتُ عليه فجلـس، وقال لعائشة: «**اجـمـعي عليك ثيـابك**»، فقضيت إليه حاجتي ثم انـصرفت، فقالت عائشة: يا رسول اللَّه، مالي لم أرَكَ فـزعتَ لأبي بكر وعمر رضي اللَّه عنـهما، كمـا فزعت لعثمان؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن عثمان رجلٌ حييٌّ، وإني خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال، أن لا يبلغ إليَّ في حاجته**».

ومن ذلك مراعاة النبي ﷺ لغيرة عُمَر:

● ففي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ١١٢)، ومسلم (٥/ ٢٠٥).
(٢) مسلم (حديث ٢٤٠٢).
(٣) المرط هو الكساء من الصوف.

النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة أو أتيت الجنة فأبصرت قصرًا فقلتُ: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردتُ أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك**» قال عمر ابن الخطاب: يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي يا نبي اللَّه أو عليك أغَارُ[1]؟!!.

• **ومن ذلك**: ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنهما، قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مالٍ ولا مملوكٍ ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير - التي أقطعه رسول اللَّه ﷺ - على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول اللَّه ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار، فدعاني، ثم قال: «إخْ إخْ»، ليحملني خلفه، **فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته - وكان أغير الناس - فعرف رسول اللَّه ﷺ أني قد استحييت، فمضى**، فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسولُ اللَّه ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفرٌ من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: واللَّه لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكرٍ بعد ذلك بخادمٍ تكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

• **ومن ذلك**: مراعاة النبي ﷺ لمشاعر عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن أُبي بن

(١) البخاري (حديث ٥٢٢٦)، ومسلم (حديث ٢٣٩٤).
(٢) البخاري (حديث ٥٢٢٤).

سلول لما مات أبوه عبد اللَّه بن أُبي، فـفي «صحيح مسلم»[1] عن ابن عـمر رضي اللَّه عنهما، قال: لما توفي عبد اللَّه بن أُبيٍّ ابن سلول جاء ابنه عبد اللَّه ابن عبد اللَّه إلى رسول اللَّه ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليـه، فقام رسول اللَّه ﷺ ليصلي عليـه، فقام عمر فأخـذ بثوب رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا رسـول اللَّه، أتصلي عليه وقد نهاك اللَّه أن تصلـي عليه؟ فقـال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنما خـيرني الـلَّه، فقـال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيد على سبعين**» قال: إنه منافقٌ!! فصلـى عليه رسولُ اللَّه ﷺ وأنزل اللَّه عـزَّ وجلَّ: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ**﴾ [التوبة: ٨٤].

فعـبد اللَّه بن أُبيّ ابن سلول رئيس المنافـقين بالمدينة وكبـيرهم، هو الذي تولى كبر حديث الإفك وقذف أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها.

وهو الذي قـــال: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**﴾ [المنافقون: ٨] وفعل جملة أفاعليل وكبائر، وكان يجبر إماءه على الزِّنا!

ومع ذلك كله فلما مـات جاء ولده إلى رسول اللَّه ﷺ يطلب مه قميصه لوالده الذي مات كي يُكَفَّن فيه، فأعطاه الرسـول إياه، وكساه به، ونفث فيه من ريقه.

فولده عبد اللَّه بن عبد اللَّه مؤمن فلم يكسر الرسول ﷺ خاطره، ما دام أنه ليس هناك معصية.

● **ومن ذلـك**: قـول النبيِّ ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فإنهـم قد أفضوا إلى ما**

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٠٠).

قدَّمُوا»[١]، فلماذا لا يُسبُّ الأموات؟!

لأنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا، ولهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا.

ولأن في سبهم أيضًا أذىً للأحياء من أقاربهم[٢]، وإشعالاً للفتن في كثير من الأحيان، إذ الشخص ينتصر لقريبه ولأبيه ولأمه ولأخته وأخيه ولصديقه وحميمه.

إذن فلا فائدة في السباب لما في السباب من جرح للشعور وأذىً للأحياء.

ولما قال فرعون لموسى: ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى**﴾ قال: ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى**﴾.

لكن إن كان الميت سنَّ سننًا سيئةً وشرَّع تشريعاتٍ باطلةً وأفسد في الأرض، فلابد حينئذٍ من بيان حاله حتى لا يُتَّبع ولا يُتأسى به، وقد ذُكر في كتاب اللَّه فرعون وهامان وقارون، وذُكر أيضًا أبو لهب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ [القصص:٨] وقال سبحانه في شأن قارون: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ**﴾ [القصص:٨١] وفي شأن أبي لهب: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد:١].

- وقال النبيُّ ﷺ: «**رأيت عمرو بن لُحيٍّ يجرُّ قُصْبَهُ في النار، وكان أول من سيَّب السوائب**»[٣].

---

(١) البخاري (حديث ١٣٩٣) من حديث عائشة.

(٢) عند الترمذي (١٩٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء» وفي إسناده خلاف.

(٣) البخاري (٣٥٢١) عن أبي هريرة وانظر أيضًا البخاري (حديث ١٢١٢)، ومسلم (ص ٦١٩).

• وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قال: مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**وجبتْ**» ، ثم مرُّوا بأخرى فأثنوْا عليها شرًّا، فقال: «**وجبتْ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: ما وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا فوجبتْ له النارُ، أنتم شهداء اللَّه في الأرض**».

ومن مراعاة المشاعر أيضًا: ترك ذكر ما يتعلق بالجماع أمام محارم الزوجة وأقاربها: وذلك باب من أبواب الحياء ينبغي أن يراعى وذلك حتى لا تُحرج أقارب الزوجة وتخدش كرامتهم.

• ولذلك قال عليٌّ رضي اللَّه عنه كما في «الصحيحين»[٢]ـ: كنت رجلاً

---

(١) البخاري (حديث ١٣٦٧)، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨).
قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩):
وقال القرطبي في الكلام على حديث «وجبت»: يحتمل أجوبة:
الأول: أن الذي كان يحدث عنه بالشر كان مستظهرًا به فيكون من باب: لا غيبة لفاسق، أو كان منافقًا. ثانيها: يحمل النهي على ما بعد الدفن، والجواز على ما قبله ليتعظ به من يسمعه. ثالثها: يكون النهي العام متأخرًا فيكون ناسخًا، وهذا ضعيف.
وقال ابن رشيد ما محصله: إن السب ينقسم في حق الكفار وفي حق المسلمين، أما الكافر فيمنع إذا تأذى به الحي المسلم، وأما المسلم فحيث تدعو الضرورة إلى ذلك كأن يصير من قبيل الشهادة، وقد يجب في بعض المواضع، وقد يكون فيه مصلحة للميت، كمن علم أنه أخذ ماله بشهادة زور ومات الشاهد فإن ذكر ذلك ينفع الميت إن علم أن ذلك المال يرد إلى صاحبه.
قال: ولأجل الغفلة عن هذا التفصيل ظن بعضهم أن البخاري سها عن حديث الثناء بالخير والشر، وإنما قصد البخاري أن يبين أن ذلك الجائز كان على معنى الشهادة، وهذا الممنوع هو على معنى السبِّ، ولما كان المتن قد يشعر بالعموم أتبعه بالترجمة التي بعده. وتأوَّل بعضُهم الترجمة الأولى على المسلمين خاصة. والوجه عندي حمله على العموم إلا ما خصصه الدليل، بل لقائل أن يمنع أن ما كان على جهة الشهادة وقصد التحذير يسمى سبًا في اللغة. وقال ابن بطال: سب الأموات يجري مجرى الغيبة، فإن كان أغلب أحوال المرء الخير ـ وقد تكون منه الفلتة ـ فالاغتياب له ممنوع، وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة له، فكذلك الميت، ويحتمل أن يكون النهي على عمومه فيما بعد الدفن، والمباح ذكر الرجلِ بما فيه قبل الدفن ليتعظ بذلك فساق الأحياء، فإذا صار إلى قبره أمسك عنه لإفضائه إلى ما قدَّم.
(٢) البخاري (حديث ٢٦٩)، ومسلم (حديث ٣٠٣).

مـذَّاءً[١]، وكنت أستحـيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته، فـأمرتُ المقداد بن الأسود، فسأله فقال: «**يغسل ذَكَرَهُ**».

وإذا وجدت مـصلحة شـرعيّـة في السؤال عـما يتـعلق بالجمـاع فلا بأس بالسؤال والاستفسار عن ذلك.

● ومن ذلك: أن عمرو بـن العاص كان يسأل زوجة ابنه عـن حالها مع زوجها، قال عبد اللَّه بن عمرو[٢] رضي اللَّه عنهما: أنكحني أبي امرأةً ذات حسب فكان يتعاهد كنَّته فيسـألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولـم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليـه ذكر للنبي ﷺ فقال: «**القني به**» فلقيته بعد فقال: «**كيف تصوم؟**» قلت: أصوم كل يوم، قال: «**وكيف تختم؟**» قلت: كل ليلة، قال: «**صم في كل شهر ثلاثةً، واقرأ القرآن في كل شهر**». قال: قلتُ: أطيق أكثر من ذلك، قال: «**صم ثلاثة أيام في الجـمعـة**». قال: قلتُ: أطيق أكـثر من ذلك، قال: «**افطر يومـين وصمْ يومًا**». قال: قلتُ: أطيق أكثر من ذلك، قال: «**صمْ أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يومٍ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً**». فليتني قَبِلْتُ رخصةَ رسولِ اللَّـه ﷺ، وذلك أني كبرت وضعـفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهـار والذي يقرؤه يعرضه من النهـار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحـصى وصام مثلهن، كراهية أن يترك شـيئًا فارق النبي ﷺ عليه.

(١) مذَّاءً أي: كثيـر المذي، والمَذي ماءٌ أبيض رقيق لزج يخرج عند شهوة ولا يخرج مـتدفقًا ولا يتبعـه فتور ولا تنقضي بخـروجه الشهوة، وقد لا يحس الرجـل بخروجه، وهو في الرجال والنساء، وقال بعض العلماء: إنه في النساء أكثر.

(٢) البخاري (حديث ٥٠٥٢).

قال أبو عبد الله [البخاري]: وقال بعضُهم: في ثلاثٍ أو في سبعٍ وأكثرهم على سبع.

وعلى الشخص أن يفهم أساليب الناس وطريقة الخطاب معهم ومدلولات ألفاظهم ومخارج أقوالهم وأن يكون قوي الملاحظة في ذلك.

• فاللَّه سبحانه وتعالى يقول في شأن أهل النفاق: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

• ويقول سبحانه: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٠].

فليس كل أحدٍ يعبر عما في نفسه صراحة، صحيحٌ: أن منهم من يصرِّح بما في نفسه، ومنهم من يكتم ما في نفسه، ويظهر ذلك على وجهه، ومنهم من يكتم ما في نفسه، لكن الألفاظ تخرج رغمًا عنه تنم عما في نفسه من خير أو شرٍّ أو حب أو بغضٍ أو غضب أو ارتياح، فعلى المرء أن يكون قوي الملاحظة في ذلك.

فكان الصحابةُ يعرفون الغضب في وجهِ رسولِ اللَّه ﷺ:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث علي رضي اللَّه عنه، قال: **أهدى إليَّ النبيُّ ﷺ حلة سيراء فلبستها فرأيت الغضب في وجهه فشققتها بين نسائي.**

• **ومن ذلك: قول النبي ﷺ لعائشة: «إني لأعرف غضبك ورضاك»**، قلت: وكيف تعرف ذاك يا رسول اللَّه؟ قال: «**إنك إذا كنت راضية، قلتِ: بلى**

---

(١) البخاري (حديث ٢٦١٤)، ومسلم (حديث ٢٠٧١).

وربِّ محمد، وإذا كنت ساخطة، قلتِ: **لا وربِّ إبراهيم**» قالت: قلتُ: أجل لا أهجر إلا اسمَك.

● وفي رواية: «**إني لأعلم إذا كنتِ عليَّ راضية وإذا كنتِ عليَّ غضبى..**»[١].

فانظر إلى أدب أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها في التعبير عن غضبها؟!!

نعم فإنها تتعامل مع من يفهم ويُقدِّر، إنها تتعامل مع سيد ولد آدم، إنها تتعامل مع خاتم الرسل صلوات اللَّه وسلامه عليه، يعرف ألفاظها ومدلولات ألفاظها وتعبيرات وجهها وقسمات وجهها.

ألا فانتبه يا عبد اللَّه، واعقل إن كنت تعقل.

● **ومن ذلك أيضًا: سؤال سلمان لأم الدرداء عن حالها لما رآها متبذلة،** فسألها عن سبب تبذلها وعدم اهتمامها بملبسها، والحديث في «الصحيح»[٢] من حديث أبي جحيفة رضي اللَّه عنه، قال: آخى النبيُّ ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء، متبذلة[٣]، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا فقال له سلمان: **إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا،**

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٧٨) و(٥٢٢٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٠).

(٢) البخاري (حديث ١٩٦٨).

(٣) يظهر أن هذا قبل الحجاب.

ولأهلك عليك حقًا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقه. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبيُّ ﷺ: «**صدق سلمان**».

فانظر إلى فهم سلمان وفقه سلمان وملاحظة سلمان رضي اللَّه عنه المرأة (امرأة أبي الدرداء) متبذلة لا تتزين، لا تختضب - لا تكتحل - لا تهتم: بثيابها، لم هذا؟ فطن سلمان وفهم سلمان من قولها: أخوك أبو الدرداء ليست له حاجة في الدنيا، فنبه سلمانُ أبا الدرداء على هذا، وأقرَّ رسولُ اللَّه ﷺ سلمانَ على تنبيهه لأخيه وعلى إرشاده لأخيه.

وللناس قدراتٌ أيضًا يجب أن تُراعيها:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن المعلوم أن هذه الآية نزلت ناسخة لقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٤].

• ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: لما نزلت على رسول اللَّه ﷺ: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٤]. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ فأتوا رسولَ اللَّه ثم بركوا على الرُّكب، فقالوا: أي رسول اللَّه، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلتْ عليك هذه الآية، ولا نطيقها، قال رسول اللَّه ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم

(١) مسلم (حديث ١٢٥).

ذلت بها ألسنتهم، فأنزل اللَّه في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها اللَّه تعالى فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم» [البقرة:٢٨٦].

● وعنده[1] أيضًا من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيءٌ لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى اللَّهُ الإيمانَ في قلوبهم، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد فعلتُ ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: قد فعلتُ ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: قد فعلتُ ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: قد فعلتُ» [البقرة:٢٨٦].

● وقال اللَّه تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق:٧].

● وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

● وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

---

(١) مسلم (حديث ١٢٦).

• وأباح اللَّهُ للمضطر أكل الميتـة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

• وأباح اللَّه للمكره التلفظ بكلمة الكفر، قال اللَّه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ومن هذا الباب: تخفيف الصلاة من أجل بكاء الصبي وضعف الضعيف:

• قـال النبيُّ ﷺ: «**إني لأقوم في الصـلاة أُريد أن أطوِّلَ فيها فـأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمِّه**»[(١)].

• وفي رواية في «الصحـيحين»[(٢)] من حـديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إني لأدخل الصلاةَ فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز مما أعلم من شدة وُجد أمِّه من بكائه**».

• **ومن ذلك أيضًـا**: ما أخرج البـخاري ومسلم[(٣)] من حديث أبي مسعود البـدري رضي اللَّه عنه، قـال: قال رجل: يا رسـول اللَّه، إني لأتأخـر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فـيها، فغضب رسولُ اللَّـه ﷺ ما رأيـته غضب في موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ ثم قال: «**يا أيها الناس، إن منكم منفِّرين فمن أمَّ بالناسِ فليتجوَّز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة**».

• وفي «الصحـيحين»[(٤)] أيضًا من حديث جابر بـن عبد اللَّه الأنصاري قـــال: أقبل رجل بناضـحين، وقد جنح الليل فـوافق معاذًا يُصلي، فـترك

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٧) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٧١٠)، ومسلم (ص ٣٤٣).
(٣) البخاري (حديث ٧٠٤)، ومسلم (حديث ٤٦٦).
(٤) البخاري (حديث ٧٠٥)، ومسلم (حديث ٤٦٥).

ناصحه، وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبيَّ ﷺ فشكا إليه معاذًا، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا معاذ أفتَّانٌ أنت؟ ـ أو أفاتن ـ ثلاث مرار ـ فلولا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك﴾ و﴿الشمس وضحاها﴾ و﴿الليل إذا يغشى﴾ فإنه يصلي وراءك الكبيرُ والضعيفُ وذو الحاجة**».

• وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أن النبيَّ ﷺ قال له: «**أُمَّ قومَك**» قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، إني أجد في نفسي شيئًا، قال: «**ادْنُه**» فجلَّسني بين يديه ثم وضع كفه في صدري بين ثدييَّ ثم قال: «**تحوَّل**» فوضعها في ظهري في كتفي ثم قال: «**أُمَّ قومك، فمن أمَّ قومًا فليخفف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم وحده فليُصلِّ كيف شاء**».

• دفع الشكوك عن المسلمين •

وقد أمر بذلك شرعُنا الحنيفُ حتى تبقى قلوبُ العباد نظيفةً ولا يتسرب إلى قلوبهم شكوك في إخوانهم، وقد دلت على ذلك جملة أدلة في اتجاهات شتى:

ففي باب التناجي:

• قال النبيُّ ﷺ[2]: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس أجل أن ذلك يُحزنه**».

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٨٤) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا. وقد ورد في بعض الروايات زيادة: (حتى يستأذنه) وهي زيادة ضعيفة.

وهذا في الأدب النبوي الذي أدَّبَ به النبيُّ ﷺ أمَّتَه، فإذا تناجى اثنان دون الثالث لعب الشيطان بالثالث، وحدثته نفسُهُ: لعل هذين يتآمران من أجلك ويكيدان لك، لعل كذا ولعل كذا!! وينسحب هذا الحكم على ما إذا كانوا أربعة فلا يتناجى ثلاثة دون الرابع، وكذلك لا يتناجى الخمسة دون السادس، فكل ما فيه حزنٌ للمسلم يُتقى ويُبتعد عنه.

أما إذا كان هناك مَلأٌ: أربعة مثلاً أو خمسة أو أكثر، فلا بأس أن يتناجى اثنان منهم دون الآخرين، وذلك حتى لا تتعطل مصالح المسلمين، ثم إن احتمال تسرب الحزن في مثل هذه الحال إلى قلوب الآخرين: ضعيفٌ، بل منعدم، وقد جاءت الأدلة بإباحة ذلك:

● ففي «الصحيحين»[1] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: قسم النبيُّ ﷺ يومًا قسمة، فقال رجلٌ من الأنصار: إنَّ هذه القسمة ما أُريد بها وجْهُ اللَّه، قلتُ: أما واللَّه لآتين النبيَّ ﷺ فأتيتُه وهو في ملإٍ فساررْتُهُ، فغضب حتى احمرَّ وجهه، ثم قال: «**رحمة اللَّه على موسى أوذي بأكثر من هذا فصبر!!**».

فها هو ابن مسعود يأتي ويسارر رسول اللَّه ﷺ والنبيُّ ﷺ في ملإٍ.

● **وأيضًا**: فقد جاءت فاطمةُ بنتُ رسول اللَّه ﷺ فساررته في حضور أزواجه: وقد أخرج الحديثَ بذلك البخاريُّ ومسلمٌ[2] في «صحيحهما» من حديث عائشة أم المؤمنين، قالت: إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعًا لم تغادر منَّا واحدة، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي، ولا واللَّه ما تَخْفَى

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٩١)، ومسلم (حديث ١٠٦٢).

(٢) البخاري (حديث ٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (حديث ٢٤٥٠).

مشيتها من مشية رسول اللَّه ﷺ ، فلما رآها رحب قال: «مرحبًا بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارَّها، فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى حزنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلتُ لها - أنا من بين نسائه -: خصك رسولُ اللَّه ﷺ بالسرِّ من بيننا ثم أنت تبكين، فلمَّا قام رسولُ اللَّه ﷺ سألتها عما سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول اللَّه ﷺ سرَّه، فلما توفي قلت لها: عزمت عليك - بما لي عليك من الحق - لما أخبرتيني، قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة: « **وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقِ اللَّه واصبري، فإني نعم السلف أنا لك**»، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية، قال: «**يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمَّة**».

وغريبٌ وعجيبٌ أمر رجال ونساء لا يحتاجون إلى التناجي ولكنهم يختلقون التناجي في حضور ثالثٍ حتى يؤذوه ويجلبوا له الهمَّ والنكد، فما أعظمه من جهلٍ بالشرع وأذى للمسلمين.

• إنها صفية •

ومن هذا الباب: قول النبي ﷺ: «**إنها صفية**» لدفع شبهة قد ترد إلى قلوب أصحابه ويظنون شيئًا برسول اللَّه ﷺ.

• أخرج البخاري ومسلم[(١)] في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين صفيّة بنت حيي رضي اللَّه عنها أنها جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعةً ثم قامت

(١) البخاري (حديث ٢٠٣٥) ومسلم (حديث ٢١٧٥).

تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مرَّ رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول اللَّه ﷺ، فقال لهما: «**على رسلِكُمَا، إنما هي صفيّة بنت حييٍّ**»، فقالا: سبحان اللَّه يا رسول اللَّه، وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئًا**».

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس رضى اللَّه عنه أن النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمرَّ به رجلٌ فدعاه فجاء فقال: «**يا فلان هذه زوجتي فلانة**» فقال: يا رسول اللَّه، من كنت أظن به فلم أكن أظن بك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدَّم**».

• **ومن ذلك أيضًا**: قول النبي ﷺ لعائشة[٢]: «**لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم**».

• وفي بعض الروايات في «الصحيح»[٣] كذلك: «**فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض**».

• **ومن هذا الباب**: ما أخرجه مسلم[٤] في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، قال: إن رسول اللَّه ﷺ بعثني لحاجة ثم أدركتُه وهو يسير، وفي رواية: «يُصلِّي» فسلمت عليه فأشار إليَّ فلما فرغ دعاني فقال: «**إنك سلَّمت آنفًا وأنا أصلِّي**»، وفي رواية[٥]: «**فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنتُ أُصلِّي**».

---

(١) مسلم (٢١٧٤).

(٢) البخاري (١٥٨٥)، ومسلم (حديث ١٣٣٣).

(٣) البخاري (١٥٨٤).

(٤)، (٥) كلاهما عند مسلم (ص ٣٨٣) (حديث ٥٤٠).

• وفي أبواب الفتيا •

كان النبي ﷺ إذا سُئل أو أفتى أفتى بما يدفع الشكوك والظنون والوساوس عن القلوب، فمن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول اللَّه، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود فقال: «**هل لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**» قال: حُمر، قال: «**هل فيها من أورق؟**[٢]» قال: نعم، قال: «**فأنى كان ذلك؟**» قال: أراه عرقٌ نَزَعه[٣]، قال: «**فلعلَّ ابنك هذا نزعه عرق**».

فالرجل قد جاء شاكًّا في زوجته مُعرضًا بقذفها فصرف الرسول ﷺ عنه هذا الشك بالمثال الذي ضربه له.

وكان عليه الصلاة والسلام يطمئن الخصوم في القضايا كما أسلفنا فيقول لمن يقضي بينهما ـ كما في قصة العسيف ـ الذي زنا بامرأة الرجل: «**والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب اللَّه**».

فالموقف يحتاج إلى مثل ذلك حتى يطمئن الخصوم، وليس هذا بلازمٍ ولا بمطرد ولكن الموقف لما كان يحتاج إلى الطمأنينة أقسم النبيُّ ﷺ بقوله: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللَّه**» حتى يطمئن الخصوم ويقذف في قلوبهم التصديق والإقرار بالحكم.

• ولما سرقت المخزوميّة، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو أنَّ فاطمة**

(١)البخاري (٦٨٤٧)، ومسلم (حديث ١٥٠٠).

(٢)الأورق هو الذي فيه سواد ليس بصاف.

(٣)أي: عرق من النسب نزعه وجذبه إليه، كأن يكون في أخواله مثلاً أو في أعمامه أو في أجداده رجل أسود فجُذِب الولد إلى لون أعمامه أو أخواله أو أجداده. واللَّه أعلم.

بنت محمد سرقت لقطع محمدٌ يدَها» .

فأمـور الحدود ليس فيهـا مجاملات لأحـدٍ، وإن كان من قبيلة من كـبرى القبائل وعائلةٍ من أفضل العائلات .

• وكذلك رقى بعض الصـحابة رجلاً على قطيـع من الغنم وتحرَّج بعض الصحابة من الأكل منه، وأتوا إلى رسول اللَّه ﷺ وأفتاهم بجواز الأكل منه بقوله : «خذوها واضربوا لي معكم بسهم»(١) .

وعلى هذا المنوال سار أصحابه رضي اللَّه عنهم:

فحتى يؤكد أحدهم كلامه يبدأ بإلزام نفسه بما يدعو إليه .

• **ومـن ذلـك**: لما لعن ابن مسـعود الواشمـات و . . ونقل هذا اللعن عن رسولِ اللَّه ﷺ وقالت له المرأة : فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك!! قال : أما لو كان ذلك لم نجامعها ـ (أي : لم نعاشرها) .

• أخرج الحديث بذلك البـخاري ومسلم(٢)من حديث ابن مـسعود رضي اللَّه عنه، قـال :لعـن اللَّه الواشـمـات والمسـتـوشـمـات، والنامـصـات(٣)، والمتنمصات، والمتفلجات للحُسْنِ(٤) المغيِّرات خلقَ اللَّه . قال : فبلغ ذلك امرأةً

(١)البخاري (مع الفتح ١٠/١٩٨)، ومسلم (مع النووي ١٤/١٨٧) .

(٢)البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (حديث ٢١٢٥) واللفظ له .

(٣)النامصات : النامصة هي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة هي التي تطلب فعل ذلك بها .

(٤)والمتفلجات للحُسْنِ : المراد مفلجات الأسنان . بأن تبرد ما بين أسنانها، الثنايا والرَّباعيات . وهو من الفَلَج . وهي فرجة بين الثنايـا والرَّباعيات وتفعل ذلك العجوز ومن قـاربتها في السن إظهارًا للصغر وحُسْنِ الأسنان . لأن هذه الفـرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فـإذا عجزت المرأة كبرت سنهـا وتوحشت، فتبردها بـالمبرد لتصير لطيـفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة . ويقال له أيضًا : الوَشْرُ .

من بني أسد، يقال لها: أمُّ يعقوب. وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديثٌ بلغني عنك؛ أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحُسْنِ المغيِّرات خلق اللَّه. فقال عبد اللَّه: وما لي لا ألعن من لعنَ رسولُ اللَّه ﷺ؟ وهو في كتاب اللَّه. فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدتُهُ فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه. قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]، فقالت المرأة: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن. قال: اذهبي فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبد اللَّه فلم ترَ شيئًا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: أما لو كان ذلك، لم نجامعها[١].

● ولما أشار عمر بقتل أسارى بَدْر، قال: يا رسول اللَّه، أرى أن تُمكني من فلانٍ قريب لي فأقتله ولتمكن عليًّا من عقيل فيقتله.

فبدأ عمرُ بنفسه حتى لا يظن ظانٌّ أنه متحامل على غير أقربائه واللَّه أعلم.

● ففي «صحيح مسلم» [٢]من طريق أبي زميل قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي اللَّه، هم بنو العمِّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى اللَّه أن يهديهم للإسلام، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلتُ: لا واللَّه يا رسول اللَّه، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنَّا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًّا من عقيل

---

(١)لم نجامعها: قال جماهير العلماء: معناه لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلقها ونفارقها (النووي).

(٢)مسلم (حديث ١٧٦٣).

فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر)، فأضرب عنقه[١]، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

• أعطِ كل ذي حقّ حقه •

فللجسد حقٌّ، وللضيف حقٌّ، وللزوجة حقٌّ، ولعينك عليك حقٌّ، فآت كل ذي حقٍّ حقَّ، وبهذا جاءت سنة رسولِ اللَّه ﷺ:

• ففي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فإمَّا ذكرت للنبي ﷺ، وإما أرسل إليَّ فأتيته، فقال لي: **«ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟»** فقلتُ: بلى يا نبي اللَّه، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: **«فإن بحسبك أن تصوم[٣] من كل شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ»** قلتُ: يا نبي اللَّه، إني أطيق أفضل من ذلك. قال: **«فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزورك[٤] عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا»** قال: **«فصمْ صومَ داودَ نبي اللَّه ﷺ فإنه كان أعبدَ الناسِ»**.

قال: قلتُ: يا نبي اللَّه، وما صوم داود؟ قال: **«كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»** قال: **«واقرإ القرآن في كل شهر»**[٥] قال: قلتُ: يا نبي اللَّه، إني أطيق

---

(١) في رواية أحمد (١/ ٣٠ ـ ٣١): وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم اللَّه أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين.

(٢) البخاري (حديث ١٩٧٥)، ومسلم (حديث ١١٥٩) والسياق له.

(٣) فإن بحسبك أن تصوم: الباء فيه زائدة. ومعناه أن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر كافيك.

(٤) ولزورك: قال في «النهاية»: هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم: كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم، وقد يكون الزور جمعًا لزائر، كركب في جمع راكب. أي: لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك، وأنت تعجز، بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم.

(٥) واقرإ القرآن في كل شهر ـ أي: اختمه.

أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل عشرين**» قال: قلتُ: يا نبي اللَّه، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل سبعٍ، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا**».

قال: فشدَّدتُ فشُدِّد عليَّ.

قال: وقال لي النبيُّ ﷺ: «**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرٌ**».

قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرتُ وددتُ أني كنت قبلت رخصة نبي اللَّه ﷺ[1].

فلا تضيع كل الوقت مع أضيافك وتُهمل تزكية نفسك وعبادة ربِّك وحقِّ زوجك، فإن ذلك ينعكس أثره عليك ويرجع عليك بسوء الخلق وبمشاكل مع الزوجة وبقسوة في القلب لعدم تهذيب النفس وتزكيتها.

وكذلك لا تولع ولعًا شديدًا بالزوجة فإن ذلك يؤثر على عبادة ربك فكم من مفتون بزوجته يتخلف عن الجمع والجماعات ومجالس العلم والذكر بسبب زوجته، وكم من زوجة تهجر كتاب اللَّه وتضيع الصلوات من أجل زوجها؟!!

وكذلك كم من رجل يبخل على أضيافه ضنًّا بالمال وحرصًا ـ بزعمه ـ على نفسه وعلى أولاده.

وثمَّ صنف آخر يغالون في العبادة وحضور مجالس العلم، ولا يكادون يستفيدون شيئًا من مجالس العلم والذكر، بل ينعكس ما غالوا فيه على أخلاقهم داخل بيوتهم وعلى صلتهم بالناس فتجدهم في مشاكل كثيرة وخلافات مستمرة لتضييعهم حقوق العباد.

(١) وددت أني كنت قبلت رخصة نبي اللَّه: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول اللَّه ﷺ فشق عليه فعله، ولا يمكنه تركُهُ.

فـالتـوسط مطلب شـرعي؛ لكلٍّ حـق، للزوجـة حق، وللضـيف حق، وللنفس حق، ولربك عليك حق، فأعط كل ذي حق حقه.

فكمـا أن لك في الصـلاة أجرًا، فكـذلك لك في إكرام الـضيف أجـر، وكذلك فلك في جماع الزوجة أجر، كما قال النبي ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صـدقـة**» قالوا: يا رسول اللَّه أيأتي أحدُنا شهـوتَه ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليـه وزر؟، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[1].

وكم من مـشكلة دبت بين زوج وزوجتـه، واخـتُلقت هذه المشكلة والذي وراءها كله هو هجران الزوج لفراش زوجتـه، أو ترك الزوجة التزين لزوجها فانتبه يا عبد اللَّه.

• عليك بالرفق واللين وخفض الجناح للمؤمنين •

• قال اللَّه سـبحـانه وتعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• وقال سـبحـانه: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢١٥، ٢١٦].

• ووصف اللَّه سبحانه وتعالى نبيه ﷺ وأصحابه فقال سبحانه: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..**﴾ [الفتح: ٢٩].

وتقدم قـول مالك بن الحـويرث في رسول اللَّه ﷺ، قـال مالك: وكـان

(١) مسلم (٢/ ٤٣) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

رسول اللَّه ﷺ رحيمًا رفيقًا.

• وذكر النبي ﷺ أن من أهل الجنة: «**رجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم**»[١].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أراد اللَّه بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق**»[٢].

• «**واللَّه يحب الرفق في الأمر كله**»[٣] كما قال النبي ﷺ.

والرفق هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف.

• وقد قال النبي ﷺ: «**من يُحرم الرفق يُحرم الخير**»[٤].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا عائشة، إن اللَّه رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**»[٥].

• وقال صلوات اللَّه وسلامه عليه: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[٦].

• وانظر إلى رفق رسول اللَّه ﷺ بالأعرابي وتعليمه له فيما أخرجه البخاري ومسلم[٧] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن أعرابيًا بال في المسجد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).
(٢) صحيح لشواهده، أخرجه أحمد (٦/ ٧١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.
(٣) البخاري (حديث ٦٠٢٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها.
(٤) مسلم (٢٥٩٢). (٥) مسلم (٢٥٩٣).
(٦) مسلم (حديث ٢٥٩٤).
(٧) البخاري (حديث ٦٠٢٥)، ومسلم (حديث ٢٨٤).

فقاموا إليه فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزرموه**» ثم دعا بدلوٍ من ماء فصبَّ عليه.

● وفي رواية في «صحيح مسلم»[١]: «**لا تزرموه دعوه**» فتركوه حتى بال ثم إن رسول اللَّه ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر! إنما هي لذكر اللَّه عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن**» أو كما قال[٢] رسول اللَّه ﷺ.

● وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال: «**اللهم من ولي من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفقْ به**».

فأصل المعاملات مع المؤمنين ينبني على الرفق واللين والإحسان إليهم والرحمة.

ولكن ثمَّ مواطن تحتاج إلى شدة ـ شدة للَّه ـ وابتغاء مرضاة اللَّه، ثم لمنفعة الشخص ومصلحته، فثمَّ مواطن لا يُجدي فيها اللين، ولكنها تُحسم بعون اللَّه، ثم بالشدة على الشخص والأخذ على يديه، وقد اشتد النبي ﷺ في

(١) مسلم (حديث ٢٨٥).

(٢) هكذا هي في الحديث.

(٣) مسلم (حديث ١٨٢٨) من طريق عبد الرحمن بن شماسة:

قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئًا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر، أخي، أن أخبرك ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ يقول في بيتي هذا.. فذكرت الحديث.

قلت: الذي يظهر لي، واللَّه أعلم: أن هذا الأمير هو معاوية بن خديج فقد ذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر الصديق أن معاوية بن خديج قتله.

عدة مواطن، واشتد أصحابه كذلك في عدة مواطن، وكما أسلفنا فكل ذلك للَّه وابتغاء مرضاته ورجاء ثوابه ولتقرير الحقوق ومنع الظالم من ظلمه.

• وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ..**﴾ [الحديد: ٢٥] فمن لم ينتفع بالبينات ولم يُذعن لها استعمل معه الحديد.

• **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:** وقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه.

وها هي مواطن اشتد فيها رسول اللَّه ﷺ[1] :

• أخرج البخاري ومسلم[2] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي حميد الساعدي رضي اللَّه عنه قال: استعمل النبي ﷺ ابن اللتبية - رجلاً من الأزد - على الصدقة، فجاء بالمال فدفعه إلى النبي ﷺ فقال: هذا مالك، وهذه هدية أهديت لي. فقال له النبي ﷺ: «**أفلا قعدتَ في بيتِ أبيك وأمِّك فتنظر أيُهدى إليك أم لا؟!**».

• وفي «صحيح مسلم»[3] أن النبي ﷺ قال: «**كلما نفرنا غازين في سبيل اللَّه تخلَّف أحدكم ينبُّ نبيب التَّيسِ**[4] **يمنح إحداهن الكُثْبة**[5]**، إن اللَّه لا يمكني**

---

(١) وهي مواطن كثيرة متعددة نذكر طرفًا منها فقط.

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧)، ومسلم (حديث ١٨٣٢)، واللفظ له.

(٣) مسلم (ص ١٣٢٠).

(٤) أما التيس فهو الجدي (من الماعز) وقوله: ينب نبيب التيس أي: يصوِّت كصوته عند السفاد، وهو كناية عن إرادة الوقاع (أي: الجماع) لشدة توقانه إليه.

(٥) قوله: يمنح إحداهن الكثبة أي: يعطي إحدى النساء اللواتي غاب عنهن أزواجهن في الغزو كثبةً (أي: كمية قليلة) من اللبن كي يزني بها.

من أحدٍ منهم إلا جعلته نكالاً[١]» أو: «**نكلته**».

• وتقدم قول النبي ﷺ لمعاذ: «.. **يا معاذ أفاتن أنت ـ أو أفتانٌ**» ثلاث مرار، لما صلى معاذ بالناس وأطال الصلاة[٢].

• وفي «مسند الإمام أحمد»[٣] بإسناد حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال: بعضهم ألم يقل اللَّه كذا وكذا[٤]، وقال بعضهم: ألم يقل اللَّه كذا وكذا، فسمع ذلك رسول اللَّه ﷺ فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرُّمان[٥] فقال: «**بهذا أُمِرتُم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب اللَّه بعضه ببعض، إنما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ههنا في شيء**[٦] **انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا**».

• وعند الإمام أحمد[٧] من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه، قال: أتى رسولُ اللَّه ﷺ على قومٍ يتعاطون سيفًا مسلولاً فقال: «**لعن اللَّه من فعل هذا، أو ليس قد نهيت عن هذا**» ثم قال: «**إذا سل أحدكم سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يناوله إيَّاه**».

---

(١) نكالا أي: عظةً وعبرةً لمن بعده.

(٢) البخاري (حديث ٧٠٥)، ومسلم (حديث ٤٦٥).

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(٤) أي: أن بعضهم يعارض بعضًا وينازعه القول فهذا يورد آية وهذا يورد آية ينازعه بها.

(٥) وذلك من شدة الغضب، أي: قد احمر وجهه احمرارًا شديدًا.

(٦) أي: لستم على الصواب، ولستم من الصواب في شيء فالصواب أن لا تجادلوا.

(٧) عند أحمد (٥/ ٤١ ـ ٤٢) وفي إسناده المبارك بن فضالة، ومن العلماء من حسن حديثه، ولأجزاء من الحديث شواهد انظرها في كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

• وأخرج مسلم[١] في «صحيحه» حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن. . الحديث وفيه:

قال (أي: سعد): وأصاب رسول اللَّه ﷺ غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: نفِّلني هذا السيف فأنا من قد علِمْتَ حالَه، فقال: «**ردُّه من حيث أخَذْتَه**» فانطلقت حتى إذا أردت أن أُلقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه، قال: فشدَّ لي صوته: «**رُدَّه من حديث أخذَتَهُ**» . . الحديث.

• ومن هذا شدة الرسول ﷺ على عمر لما اختلف مع أبي بكر وقول النبي ﷺ: «**إن اللَّه بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»[٢].

• ومن هذا قول الصديق يوسف لأخوته: ﴿**أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ٧٧].

ومن هذا أبواب القصاص والحدود وسائر أنواع التعزيرات الواردة في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ.

فعلى المسلم أن يلزم جانب اللين والرِّفق بإخوانه، فالرفق واللين هو الأصل ولكن إن وجد أن هناك أمرًا ما تلزم فيه الشدة فيشتد بقدرٍ ثم إن انتهى الأمر عاد إلى حاله من الرفق واللين، والموفق في هذا من وفَّقه اللَّه، والمسدَّدُ من سدَّده اللَّه، فمن وفقه اللَّه يعلم متى يرفق ومتى يشتد، ومتى يتجاوز ومتى يؤاخذ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

---

(١) مسلم (حديث ١٧٤٨).

(٢) البخاري (حديث ٣٦٦١).

من أدب التخاطب :

• التذكير بالله وخشيته وتقواه •

جديرٌ بالعبد أن يكون دائم التذكير لإخوانه باللَّه عزَّ وجلَّ عند بيعه وشرائه وأخذه وعطائه ودخوله وخروجه وذهابه وإيابه ومجلسه وقيامه وقعوده وسائر معاملاته، فذكْر اللَّه يُرضي اللَّهَ عنك ويجلب محبته لك، ومن ثمَّ يحبب فيك الخلق، فإذا أحب اللَّه عبدًا دعا جبريل فقال: «**إني أحب فلانًا فأحبَّه فيحبه جبريلُ ثم يُوضعُ له القبول في الأرض**»[1] .

وأيضًا قد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم:٩٦] أي محبة في قلوب العباد.

ثم إن التذكير باللَّه ينفع أهل الإيمان في تعاملهم معك فالذكرى تنفع المؤمنين فإذا فكر أحدهم في غشك أو خداعك وذكرته باللَّه تذكر، قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات:٥٥].

● ألا ترى إلى قول موسى ﷺ لما تعاقد مع العبد الصالح على أن يكون أجيرًا عنده قال له: ﴿**قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص:٢٨].

● ألا ترى إلى تلك المرأة التي ألجأتها الحاجة إلى أن تمكن ابن عمها من نفسها ثم استدركت وذكرته بقولها: «**اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقِّه**» [2]

---

(١) البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا والترمذي كذلك.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦٥)، ومسلم (حديث ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر فأووا =

فقام عنها.

• ألا تستمع إلى قول رسولنا الكريم محمد ﷺ، وهو يذكِّر بالله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

• ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

• ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤].

• واقرأ قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩].

• وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٧].

• انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

• وانظر إلى قول نبينا محمد ﷺ وهو يذكِّر أبا بكر بقوله: «يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين اللَّه ثالثهما»[1].

= إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه واللَّه يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه».. فذكر الحديث وفيه: «فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ، وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتُ المائة الدينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا ففرَّج اللَّه عنهم فخرجوا».

(١) البخاري (حديث ٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩).

• وانظر إلى مقولة أبي بكر لعمر لما جاءه وفي نفسه شيء من أمر الصلح يوم الحديبية قال أبو بكر: «إنه رسول اللَّه وليس يعصي ربَّه وهو ناصره»[(١)].

• ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] في حديث الإفك من حديث عائشة رضي اللَّه عنها بعد أن تشهَّد: «**أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك اللَّه وإن كنت ألممْت بذنب فاستغفري اللَّه وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى اللَّه تاب اللَّه عليه..**».

• وفيه أيضًا قول عائشة رضي اللَّه عنها: «إني واللَّه لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، واللَّه يعلم أني فيه بريئة لتصدقنني واللَّه ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨].

• واذكر قول يوسف عليه السلام قبل أن يُعبِّر الرؤيا: ﴿**قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي**﴾ [يوسف: ٣٧].

• وقول يعقوب عليه السلام: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧].

والأدلة في هذا الباب لا يأتي عليها الحصرُ وإنما أوردنا نماذج فقط، فجدير بالعبد أن يُخلل جميع معاملاته بذكر اللَّه.

وذكر المعتدي وخوفُه باللَّه:

• انظر إلى قول ابن آدم لأخيه: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ**

(١) البخاري (٣٧٣١، ٣٧٣٢).

(٢) البخاري (حديث ٤٥٧٠)، ومسلم (حديث ٢٧٧٠).

يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨].

● وكذلك قول مريم عليها السلام لمن ظنت أنه يريد الاعتداء عليها ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨].

● ومن هذا الباب قول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١].

● ومن ذلك ما أخرجه النسائي[١] وأحمد من طريق قابوس بن مخارق عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟! قال: «ذكِّره بالله»، قال: فإن لم يذكر . . . الحديث.

● وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركَتْهُ القائلة[٣] وهو في واد كثير العضاه[٤] فنزل تحت شجرة واستظلَّ بها وعلَّق سيفه، فتفرَّق الناسُ في الشجر يستظلُّون. وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا، فإذا أعرابيٌّ قاعد بين يديه فقال: «**إن هذا أتاني وأنا نائم، فاخترط سيفي، فاستيقظتُ وهو قائمٌ على رأسي مخترط سيفي صلتًا**[٥] **قال: من يمنعك منِّي؟ قلتُ: الله، فشامه**[٦] **ثم قعد، فهو هذا**». قال: ولم يعاقبه رسولُ الله ﷺ».

● ومن ذلك ما أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» من حديث أبي مسعود البدريِّ

(١) النسائي (٧/ ١١٣ ـ ١١٤)، وأحمد (٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) وإسناده حسن.
(٢) البخاري (حديث ٤١٣٩)، ومسلم (حديث ٨٤٣).
(٣) القائلة أي: وقت القيلولة، وهو وسط النهار وشدة الحر.
(٤) ودا كثير الشجر الذي به شوك كبير عظيم.
(٥) صلتًا أي: بدون غمد (مجردًا عن غمده).
(٦) شام السيف، أي: أدخله في غمده.

رضي اللَّه عنه، قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منِّي إذا هو رسول اللَّه ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود**» قال: فألقيتُ السوط من يدي، فقال: «**اعلَمْ أبا مسعود؛ أنَّ اللَّه أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

● وفي رواية لمسلم أيضًا: كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: «**اعلَمْ أبا مسعود أنَّ اللَّه أقدر عليك منك عليه**» فالتفتُّ فإذا هو رسولُ اللَّه ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، هو حرٌّ لوجه اللَّه، فقال: «**أما لو لم تفعل، للفحتك النارُ، أو لمستك النارُ**».

● وفي رواية ثالثة عند مسلم[1] أيضًا: عن أبي مسعود، أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: أعوذ باللَّه، قال: فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول اللَّه، فتركه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**واللَّه للَّهُ أقدرُ عليك منك عليه**» قال: فأعتقه.

وكذلك ذكِّر الخصومَ باللَّه وبعذابه وبالتوبة والرجوع إليه:

● فمن ذلك ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ من تذكير المتخاصمين، ففي «الصحيحين»[2] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ[3] بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئًا، فلا يأخذه،**

(١)مسلم (حديث ١٦٥٩).

(٢)البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (حديث ١٧١٣).

(٣)ألحن: أي أعلم بالحجة وأبلغ في الكلام.

فإنَّما أقطع له به قطعة من النار».

• ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ [(١)] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، أن هلال بن أميّة قذف امرأته فجاء فشهد[(٢)] والنبيُّ ﷺ يقول: «**إن اللَّه يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟**» ثم قامت فشهدت.

• ومن ذلك ما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ [(٣)] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: سمع رسولُ اللَّه ﷺ صوتَ خصومٍ بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[(٤)] في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسولُ اللَّه ﷺ عليهما فقال: «**أين المتألِّي[(٥)] على اللَّه لا يفعل المعروف؟**» قال: أنا يا رسول اللَّه، فله أي ذلك أحب.

فليجعل العبد ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ على لسانه على الدوام:

- من احتاج إلى كلمة جزاك اللَّه خيرًا، فأعطها له.
- ومن احتاج إلى كلمة عفا اللَّه عنك، فقدمها له.
- ومن احتاج إلى التذكير باللَّه، فذكِّره باللَّه.
- من احتاج إلى كلمة بارك اللَّه فيك، وبارك اللَّه لك فقلها له.
- إذا غضبت فقل: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم.
- إذا دخلت البيت فسمِّ اللَّه عزَّ وجلَّ وسلِّم على أهلك.

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٠٧).

(٢) شهد: أي شهد أربعة أيمان باللَّه إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة اللَّه عليه إن كان من الكاذبين.

(٣) مسلم (حديث ١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).

(٤) يسترفقه أي: يطلب منه الرفق.

(٥) المتألي: أي الحالف.

- إذا أكلت فسمِّ اللَّه، وإذا شربت فسمِّ اللَّه.
- إذا انتهيتَ من مطعمك ومشربك، فقل: الحمد للَّه.
- قل إذا رأيت نعم اللَّه عليك: ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه.

ذكِّر الناسَ بمثلِ هذه الأحاديث:

«واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1] .

«ما تواضع أحدٌ للَّه إلا رفعه»[2] .

«من لا يرحم الناسَ لا يرحمه اللَّه»[3] .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يتخللها ذكر اللَّه.

قل للشخص أيضًا:

- أعطني مما أعطاك اللَّه.
- مُنَّ عليَّ مَنَّ اللَّهُ عليك.
- ارحم يرحمك اللَّه.
- علِّمني مما علَّمك اللَّه.
- اغفر غفر اللَّه لك.
- وسِّع علينا وسَّع اللَّهُ عليك.
- تصدق إن اللَّه يجزي المتصدقين.

(١) مسلم (حديث ٢٦٩٩).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحدٌ للَّه إلا رفعه».

(٣) مسلم (حديث ٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه.

- غفر اللَّه لك لِمَ صنعت كذا وكذا؟!
- عفا اللَّه عنك لِمَ فعلتَ كذا؟!
- استر سَتَرَ اللَّه عليك.
- اشفع شفَّع اللَّهُ فيك نبيَّه محمدًا ﷺ.

إلى غير ذلك من الكلمات الطيبة التي ترطب اللسان وتطمئن القلب وتسكِّن الفؤاد وتهدِّئُ من الروع، فإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

فأكثر في حديثك مع الناس من ذكر الله ومن التذكير به:

فالذاكرون يذكرهم اللَّه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم**»[(١)]. ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وذكر اللَّه يطمئن القلوب ويرطب الألسن، ويقوي الأبدان.

قال اللَّه تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ**».

وقد أرشد النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة رضي اللَّه عنها إلى ما هو خير لها من

(١) البخاري (مع الفتح ١٣/ ٣٨٤)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢).

خادم فقال لما جاءت تسأله خادمًا: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين الله أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك**»[1] .

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ٥٢].

وبذكر الله تُستجلب الأرزاق وتدفع المصائب.

فالاستغفار من ذكر الله، وقد قال الله فيه: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿**مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾ [النساء: ١٤٧].

وبذكر الله ترفع الدرجات وتحط الخطيئات وتغفر الذنوب والزلات.

وكذلك عليك بالتذكير باليوم الآخر:

فالتذكير باليوم الآخر يحمل الشخص على الصبر على الناس، وعلى أذاهم له، وعلى جهلهم عليه.

ويحمله أيضًا على احتساب الأعمال الصالحة التي يقدمها للناس عند الله.

ويحمله على الورع كذلك فيما يتعلق بحقوق الآخرين.

ويحمله على العفو، ويحمله على الصفح، ويحمله على الخُلُق الحسن الجميل، وعلى القول الطيب، وعلى العمل الصالح.

(١) البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (ص ٢٠٩٢).

كل ذلك من ثمرات التذكير باليوم الآخر.

فالاعتقاد الصحيح يحمل على العمل الصالح، والاعتقاد الفاسد يحمل على عملٍ فاسد، فإذا اعتقدت أن هناك ثوابًا وعقابًا حملك هذا الاعتقاد على عَملَ ما يجلب لك الثوابَ ويجنبك العقاب، إذا اعتقد الشخص أن هناك جنةً ونارًا عمل لما يدخله الجنةَ وترك ما يكون سببًا في دخوله النارَ.

ومن ثم كثر التذكير باليوم الآخر وما فيه من أهوالٍ وشدائدَ وكرباتٍ.

وخصَّ اللَّه أنبياءَه بمزيد من التذكير لهذا اليوم، قال اللَّه سبحانه وتعالى في شأن عدد من أنبيائه: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ [ص:٤٦].

أي اختصصناهم بخاصية وميزناهم بميزة، ألا وهي كثرة تذكرهم للدار الآخرة وأهوالها وما فيها من الثواب والعقاب، فكانوا يتذكرون ذلك دائمًا ومن ثم يعملون للدار الآخرة ويشمرون عن ساعد الجد استعدادًا لها.

وأغلب سور الكتاب العزيز فيه تذكير باليوم الآخر سواء في مطالعها أو في ثناياها، وسواء في القصص أو الأحكام أو على انفراد، فكل ذلك يرد فيه التذكير باليوم الآخر.

وأفْرِدَتْ عدةُ سورٍ للحديث عن اليوم الآخر، وتسمَّتْ باسمه أو ببعض ما يكون فيه كسورة القيامة والغاشية والواقعة والحاقة والقارعة والجاثية والتغابن والنبأ والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة.

وكذلك الأحكام التي سيقت في كتاب اللَّه عُقِّبَتْ في أغلبها بذكر اليوم الآخر، قال اللَّه تعالى بعد ذكر آيات النهي عن الرِّبا والتحذير منه والحثِّ على إنظار المعسر:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

• وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فانظر كيف ختمت الآية بقوله: ﴿وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

• وانظر إلى آيات الطلاق وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾ [البقرة: ٢٣٢].

• وانظر إلى قوله تعالى في شأن النكاح: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ...﴾ [البقرة: ٢٢١].

• وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

• وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

إلى غير ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصى كلها تحمل في ثناياها التذكير باليوم الآخر أو الأحداث التي تجري فيه وما أُعدَّ فيه من الثواب أو العقاب.

فحقًّا إنه ينبغي التذكير باليوم الآخر فالذكرى تنفع المؤمنين وكما قدمنا

فالاعتقاد الصحيح يحمل على عمل صحيح والاعتقاد الفاسد يجر إلى عمل فاسد.

• ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦].

أي لو أيقن هؤلاء المطففون أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ما طففوا المكاييل ولا الموازين، ولكنهم لما ضعف يقينهم في اليوم الآخر حملهم هذا الضعف في اليقين إلى تطفيف المكاييل والموازين.

• وانظر أيضًا إلى بني إسرائيل وما ذكره اللَّه عنهم في كتابه لما اعتقدوا - بناءً على ما اختلقوه من كذبٍ وزورٍ وتحريفٍ - أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب اللَّه، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

• وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا: إنهم ليس عليهم في الأميين سبيل - أي ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين - حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

* * *

• قلة الحديث والإعراض عن اللغو •

فمن صفات أهل الإيمان الإعراضُ عن اللغو:

• قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

• وقال سبحانه في شأن عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

• وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

• وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والثرثارون - وهم كثيرو الكلام - من أبغض الناس إلى رسول اللَّه ﷺ:

• قال ﷺ: «**إن من أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم منِّي مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون**» قالوا: يا رسول اللَّه، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيقهون؟ قال: «**المتكبرون**»[1].

قال الترمذي - رحمه اللَّه: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق هو الذي يتطاول على الناس ويبذو عليهم.

وقد كره اللَّه سبحانه وتعالى لنا قيل وقال:

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٠١٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.
قلت (مصطفى): وله شواهد يُحسَّن بها، انظر «مسند الإمام أحمد» (٤/ ١٩٣ - ١٩٤)، (٢/ ١٨٥).

• قال النبيُّ ﷺ: «**إن اللَّه كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[١] .

• وانظر إلى حصائد الألسن وما تجره على صاحبها في قول النبي ﷺ: «**وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم**»[٢] .

• وفي قول النبي ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»[٣].

• وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه لا يلقي لها بالاً يرفعه اللَّه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[٤] .

فلا تكثر من الكلام بغير ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ ولا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدةٌ ونفعٌ في دنياك أو أُخْراك!

* * *

(١) أخرج البخاري (٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ١٣٤١) من حديث المغيرة بن شعبة الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب (.. كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

(٢) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وانظر «المستدرك» للحاكم (٤/ ٢٨٦).

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• ثم إن الكلمات تسطر وتكتب على العبد • ويراها في صحائفه يوم القيامة

• قال اللَّه تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

• وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

• وقال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦].

• وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩].

• وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

• وقال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٢، ٥٣].

وكثرة الكلام تسبب مللاً للناس، فيعرضون عنك ولا يشتهون حديثك:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق أبي وائل قال: «كان عبد اللَّه[2] يُذكِّر الناس في كل خميس فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملَّكم، وإني

(١) البخاري (حديث ٧٠)، ومسلم (حديث ٢٨٢١).
(٢) عبد اللَّه: هو ابن مسعود.

أتخوَّلكم[١] بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا».

ولذلك استحب للخطيب يوم الجمعة أن يُقصِّر الخطبة:

• قال النبي ﷺ: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة على فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرًا**»[٢].

• وكان عليه الصلاة والسلام: «**يُحدِّث حديثًا لو عدَّه العاد لأحصاه**»[٣].

وقد حثنا ربُّنا على الاقتصار على الخير من الكلام وترك ما سوى ذلك:

• قال تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٤].

وإلى ذلك أرشدنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

• قال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٤].

---

(١) التخوُّل هو: التعاهد، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نملَّ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله.
وقال أيضًا: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين، إما كل يوم مع عدم التكليف. وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٩) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعًا، وقد انتقد على مسلم لكن له شواهد.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٤) البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وحثنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا:

● فقال عليه الصلاة والسلام: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[1] .

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صمت نجا**»[2] .

فالاختصار والإيجاز في الحديث مطلوب.

وهذا من الفقه، فقلل الكلام قدر الاستطاعة ما دام الكلام مفهومًا وركز على المفيد من الكلام والنافع منه، فمن مناقب نبينا محمد ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم[3].

وقد أنعم اللَّه سبحانه وتعالى على نبيه داود بأنه آتاه الحكمة وفصل الخطاب:

● قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾ [ص: ٢٠].

● ولما قدم وفد عبد القيس على رسول اللَّه ﷺ قالوا له: يا رسول اللَّه، إنَّا نأتيك من شقة بعيدة، وإن بيننا وبينك هذا الحيُّ من كفَّار مُضر وإنَّا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمرٍ فصل نخبر به من وراءنا

---

(١) البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) حسن ، أخرجه عبد بن حميد «المنتخب» بتحقيقي (٣٤٥) وأحمد (٣/١٥٨، ١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٧٧)، ومسلم (٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «بعثت بجوامع الكلم..» وفي لفظ للبخاري (٦٩٩٨): «أعطيت مفاتيح الكلم».
وفي لفظ لمسلم (حديث ٥٢٣): «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم..».
ولي لفظ آخر لمسلم (ص٣٧٢): «وأوتيت جوامع الكلم..».

وندخل به الجنة . . . الحديث[١] .

فقد طلبوا بإيجاز ما يدخلون به الجنة .

فهل يليق بك بعد هذه النصوص كلها أن تكون ثرثارًا؟!!

هل ترضى أن تملأ صحائفك يوم القيامة بالقيل والقال واللغو، وأن تسوِّد صحائفك باغتياب المؤمنين والمؤمنات والطعن في أعراضهم .

إن كثرة الكلام مدعاةٌ لطول الحساب!

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء!

وكثرته مذهبة للرزانة والوقار!

وكثرته مدعاةٌ لكثرة الأخطاء!

وكثير الكلام لا يكاد الناس يستمعون إليه فكثرة الكلام يُنسي بعضُها بعضًا .

ولذلك كانت كلمات رسول اللَّه ﷺ يسيرة وقليلة، كان عليه الصلاة والسلام يتكلم كلامًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه[٢] .

فصلوات اللَّه وسلامه على نبينا محمد ﷺ ذي الخلق العظيم الذي بعث متممًا لمكارم الأخلاق .

وقلل من المسائل قدر الاستطاعة، إلا ما لا بد منه :

● فقد قال النبي ﷺ : «**إن اللَّه كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال**»[٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٥٣)، ومسلم (ص ٤٨) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه أن وفد عبد القيس لما قدموا . . . الحديث .

(٢) صحيح، وقد تقدم (ص ١٧٩).

(٣) تقدم (ص ١٧٧).

واختلافهم على أنبيائهم»[1] .

• وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

* * *

(١) مسلم (حديث ١٣٣٧).

• تأكيد الإمساك عن الكلام •

إذا لم يكن في الكلام فائدة

ويتأكد الإمساك عن الكلام ويُمنع الخوض فيه إذا لم يكن في الكلام فائدة:

• فها هي مريم تقول للملك: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فيجيبها الملك بقوله: ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

حقًّا إنه أمر قد قضي وقدره اللَّه سبحانه وتعالى فلا معنى حينئذٍ للإكثار من المراجعات!.

• ونحوه قول الخليل إبراهيم عليه السلام لما أُخبر أن الملائكة متجهون إلى تدمير قرى قوم لوط يجادل عليه الصلاة والسلام في شأن قوم لوط، فتجيبه الملائكة بقولهم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

فما دام قد جاء أمر اللَّه، وما دام قد قضى اللَّه هذا الأمر فلمَ الجدل في شأن هؤلاء الأقوام؟!.

• وها هي مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه السلام يأمرها ربُّها فيقول لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. لمَ لا تكلِّم إنسيًّا؟!

إن البشر يستنكرون حملَها؟! يستنكرون وضعَها!! يستنكرون مجيأها

بالطفلِ!! إنهـا مهمـا اعتـذرت ومهـما قدَّمت مـن مبرراتٍ فلن تُقـبل هذه المبررات!! فمن ثـمَّ فلا فائدة في الكلام ولا فائدة في الاعـتذارِ! ولا جدوى من وراء إيراد المبررات!!

فحينـئذ الصمت أولى، والصمت أجـدى، والصمت أليق، وللَّه في ذلك حِكَمٌ أُخرٍ، منها أن مـعجزةً ما ستـحدث، وقد حدثت، تكلم عـيسى عليه السلام وهو في المهْدِ!

• والفتية أصحابُ الكهفِ تنازعوا شـيئًا ما في تحديد المدة التي لبثوها ثم أعرضوا عن الجدل إذ لا فائدة فيه.

قال تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ...**﴾ [الكهف: ١٩].

حقًّا فربكم أعلم بما لبثتم، وما الفائدة من وراء السؤال؟!

• وأيضًا لما اخـتلف القوم من بعدهم في عددهم أَمَـرَ اللَّه بالإعراض عن الخوض في أمرهم بغير علم، قـال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٢٢].

• وها هي أم المؤمنين عائشـة رضي اللَّه عنها تقول لما قال لهـا رسولُ اللَّه ﷺ: «**فإن كنت بريئة فسيبرؤك اللَّهُ عـزَّ وجلَّ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري اللَّهَ وتوبي إليه فإن العبد إذا عترف بذنبه ثم تاب إلى اللَّه تاب اللَّه عليه**»[١] .

فبـماذا تجيب عـائشة رضي اللَّه تعالى عـنها؟ إنها إن أظهـرت براءتها لم

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

يصدقوها، وإن تقوّلت على نفسها صدقـوها؟ فماذا عساها أن تقول حينئذ؟!
إنهـا قـالت: «**إني واللّه لقد عـلمت لقد سمـعتم هذا الحديـث حتى استـقر في أنفـسكم وصـدّقـتم به، فلئن قلتُ لـكم: إني بريئـة، واللّه يعلم أني بريـئـة، لا تصدقـونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمـرٍ، واللّهُ يعلم أني منه بريئة لتـصدقنني، واللّه ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾**»[1] [يوسف:١٨].

فعلى ذلك لا تتكلم إلا إذا كان للكلام فائدة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

• وكذلك إذا كان القول بلا علم فامتنع •

• قال اللَّه تبـارك وتعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

• وقال تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

• وقال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

• وقال سبحانه: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وليس من العيب أن تعتذر عن الجواب إن كنت لا تعلم:

• فقد قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

• وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

• ولما سأل جبريلُ رسول اللَّه ﷺ عن الساعة قال عليه الصلاة والسلام: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»**[1] .

* * *

(١) مسلم (حديث ٨) من حديث عمر رضي اللَّه عنه.

• ولا تكثر من الجدل والخلاف •

فالتلاحي سبب لرفع الخير، فقد رفع العلم بليلة القدر لما تلاحى رجلان من أصحاب النبي ﷺ:

• ففي «الصحيح»[١] من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه، قال: خرج رسول اللَّه ﷺ ليخبر الناس بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين قال النبي ﷺ: «**خرجت لأخبركم فتلاحى فلان وفلان، وإنها رفعت، وعسى أن يكون خيراً فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

• وفي رواية لمسلم[٢] : من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه: أن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر، وإني خرجتُ لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقَّان[٣] معهما الشيطان فنسيتها..**» الحديث.

وقد حرمنا وصية رسول اللَّه ﷺ بسبب الخلاف الذي دار بين بعض الصحابة رضي اللَّه عنهم وعفا عنهم:

• ففي «الصحيحين»[٤] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال:

لما حُضر رسول اللَّه ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبيُّ ﷺ: «**هلمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده أبدًا**».

فقال عمر: إن رسول اللَّه قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب اللَّه.

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٨).

(٢) مسلم (ص٨٢٧).

(٣) البخاري (حديث ١١٤)، ومسلم (ص١٢٥٩).

(٤) أي يطلب كل واحد منهما حقه.

فاختلف أهلُ البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم رسول اللَّه ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده، وفيهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول اللَّه ﷺ قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**قوموا**» قال عبيد اللَّه: فكان ابن عباس يقول: «إن الرزية كلَّ الرزية ما حال بين رسول اللَّه ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم».

* * *

• والجدال بالتي هي أحسن لتقرير الحق محمود •

• قال اللَّه تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

• وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].

• وقال قوم نوح لنوحٍ عليه السلام: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود:٣٢].

ولكن إذا وصل الجدال إلى حدِّ المراء فاترُكْه:

• قال النبي ﷺ: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن تركَ المراءَ ولو كان مُحقًّا**»[1]. ولما ذهب رسول اللَّه ﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ يوقظهما لصلاة الليل قال له عليٌّ: «إن أنفسنا بيد اللَّه»، فانصرف رسول اللَّه ﷺ وهو يضرب بيده على فخذه قائلاً: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2] [الكهف:٥٤]. وكذلك لما جاء المشركون يخاصمون رسول اللَّه ﷺ في القدر لم يستطرد معهم رسول اللَّه ﷺ في الحديث ونزل قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3] [القمر:٤٨، ٤٩]. فلا تفتح بابًا للجدل ولا تسمح بمجادلة في هذا المقام، فاللَّه سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) رواه أبو داود (حديث ٤٨٠٠) بإسناد حسن لشواهده.

(٢) البخاري (حديث ٣٧٠٥)، ومسلم (ص ٢٠٩٢).

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول اللَّه ﷺ في القدر فنزلت: ﴿ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر:٤٨، ٤٩].

• وقولوا للناس حسنا •

هذا هو قول ربنا سبحانه وتعالى.

فإذا كان لا بد من الكلام فليكن القول حسنًا جميلاً فهذا هو الأصل في التخاطب بين الناس ـ وهذه وصية اللَّه سبحانه وتعالى لعباده:

• قال سبحانه: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ [الإسراء: ٥٣].

• وقال سبحانه: ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

فالكلمة الطيبة الحسنة تحيل العدو إلى صديق حميم بإذن اللَّه وتقلب الضغائن التي في القلوب إلى محبة ومودة وولاء!!! وتقطع على شياطين الإنس والجن وشاياتهم ووساوسهم وسعيهم في الأرض بالفساد!!

ثم إن الكلمة الطيبة صدقة [(١)] كما قال النبي ﷺ.

ثم إن الكلمة الطيبة تصعد إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتقبل بإذن اللَّه!!!

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ [فاطر: ١٠].

• ثم إنها سبب في دخول الجنان قال عليه الصلاة والسلام: «**أَفْشِ السلام،**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وأطب الكلام، وصلِ الأرحام، وقُمْ بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام»[١] .

ثم إن الكلمة الطيبة شعارٌ لقائلها ودليل على طيب قائلها، والكلمة الخبيثة دليلٌ على خبث قائلها ثم هي شعارٌ له أيضًا، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

● ثم إن الكلمة الطيبة تُتقى بها النار، قال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»[٢] .

انظر إلى هذا المثل المضروب للكلمة الطيبة:

● قال اللَّه سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

فصحيحٌ ما قاله كثيرٌ من المفسرين أن الكلمة الطيبة هي: «لا إله إلا اللَّه» ولكن الآية الكريمة بعمومها تحوي كل كلمٍ طيبٍ، فكل كلمٍ طيبٍ داخل في هذه الآية الكريمة.

والكلمة الطيبة سبب عظيم من أسباب تأليف القلوب ودفع الشرور:

● فكم من شرٍّ دفع بسبب كلمة طيبة!

● وكم حلت من مودة وجُلبَتْ من محبة بسبب كلمة طيبة!

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٤٩٣) بإسناد حسن لشواهده.

(٢) البخاري (حديث ٦٠٢٣)، ومسلم (ص ٧٠٤) من حديث عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «اتقوا النار... الحديث».

- وكم من مشكلة اشتعلت وجريمة استعرت بسبب كلمة سيئة!
- فكم من مُشكلة قد حُلَّت بسبب كلمة طيبة!!
- وكم من بليةٍ قد دُفعت بسبب كلمة طيبة!!
- وكم من مشاحنات وعداوات قد رفعت بسبب كلمة طيبة، وفي المقابل كم من فتن قد اشتعلت وكم من جرائم قد ارتكبت ونيران قد استعرت من جراء كلمةٍ خبيثة!!
- بل وكم من أرواح قد أُزهقت وأنفس قد قتلت وأُسر قد شردت بسبب كلمة خبيثة.
- وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٤].

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فقابله بعفو وصفح وإحسان.

وإذا جاءك نمَّامٌ مفسد يخبرك بما يسوءك من مقالات إخوانك، فاستغفر لإخوانك وقل لهذا النمَّام: هم إخواني عفا اللَّه عنهم، وهم أصدقائي وخلاَّني!! قل له: وإن صدرت من إخواني زلاَّتٌ في شأني وهفواتٌ، فكم من يدٍ لهم عندي وكم من معروف قد صنعوه وقدموه إليَّ وكم من نُصح قد أسدوه إليَّ، فجزاهم اللَّه خيرًا وعفا اللَّه عنهم.

بمثل هذه الكلمات الطيبة تقطع على الوشاة وشايتهم وعلى مُريدي الشر والفساد شرهم وفسادهم.

أما إخوانك الذين بلغك عنهم السوء في شأنك ونالك منهم المكروه فبإذن

اللَّه، وإذا وصلتهم مقالتك الطيبة في شأنهم فسيعرفون لك قدرك، وسيقدِّرون لك عفوك وصفحك فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم.

ولتعلم أن إخوانك وأصدقاءك، بل وعموم الناس تعتريهم أحوال ضيق وشدة، وسعادة ورخاء، وإقبال للأنفس وإدبار لها، وانشراح صدور وتبرمٍ وضديق، كل ذلك يعتري البشر وغيره كذلك يعتريهم.

قد يخرج لك صاحبك وهو في ضيق شديد وهموم وغموم ومشاكل واجهته داخل البيت فلا يقابلك على الوجه اللائق بك، بل يقابلك وهو متبرمٍ متضايق، وقد تصدر منه ألفاظ لاتصدر منه وقت ارتياحه وانشراحه، فلا تؤاخذه بما يصدر منه في هذه الحال ولا تنقل ما قاله لك وقت تعبه وإرهاقه، بل اتركه حتى يستجم ويستريح وسيراجع نفسه بإذن اللَّه وسيصلح من شأنه بتوفيق اللَّه.

قد يخرج صاحب العمل إلى عماله وهو مبتلى بخسارة فيسمعوا منه ألفاظًا نابيةً حادة فجدير بهم آنذاك أن يصبروا عليه ويدعون له بتفريج كربته وفك عسرته.

فلتكن الكلمة الطيبة شعارك، ولتجري الكلمة الطيبة دومًا على لسانك.

واللَّه وحده المستعان والتوفيق منه الكريم المنان.

وليس المراد بالكلم الطيب ذلكم الكلم الذي فيه مجاملات للناس وتضييع الحقوق والإقرار على الباطل.

بل من لوازم الكلم الطيب أن يكون سديدًا موفقًا يُقَرُّ به الحق ويُدحضُ به الباطل ويبتغى به وجه اللَّه سبحانه وتعالى.

فمثل هذه الكلمات السديدة الموفقة تكون سببًا في صلاح أعمال قائلها

وسببًا في مغفرة ذنوبه، ثم هي تبقى لهم في ذرياتهم كذلك.

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وليس معنى الكلم الطيب أن تكلم الناس بكلام تجاملهم فيه وتقرهم فيه على باطلهم وتذهب بحق ضعيفهم لقويهم!! كلا بل من مستلزمات الكلم الطيب أن يكون قولاً سديدًا، فبهذا أمر اللَّه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

• وقال سبحانه: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ [النساء: ٩].

فالقول السديد يصلح الأعمال بإذن اللَّه.

أما القول الأعوج المملوء بالمجاملات والمراءاة والمُذهب بالحقوق فإنه يفسد الأعمال ويورث الشحناء وينشر الشر والفساد.

* * *

• وأحيانًا تستعمل الكلمات اللاذعة الشديدة •
ولكنها بحسبها وبقدرها

فتتنزل في محلها ولا تتعداه وبقدرها ولا تتجاوزه، فالأصل كما قدمنا في التخاطب مع المؤمنين بل ومع الناس أيضًا هو الطيب من القول، وكما قال تعالى: ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة:٨٣].

ففي استعمالك للكلمات الشديدة اللاذعة كُن كالطبيب الذي يصف الدواء المرَّ للمريض، أو يعطي المريض حقنة مؤلمة، أو يقضي ببتر ساق المريض، إنه في كل ذلك يسبب للمريض أذىً، لكن هذا الأذى لدفع شرٍّ هو أعظم ولدرء بلاءٍ ومفسدة هي أشد ثم بعد حلول الشفاء يقلع الطبيب عن الحقن ويمنع المريض من الدواء.

وكذلك أنت في كلماتك اللاذعة الشديدة، لا ينبغي أن تكون هذه الكلمات لك ديدنًا ودينًا إنما يتجه إليها عند الضرورات الملحة، فإذا انتهت الضرورة الملجئة إليها عدت سريعًا عودًا حميدًا إلى أصلك بل أصولك من طيب الكلام وحسن الخطاب.

أما استعمال الكلمات الشديدة اللاذعة فهذه بعض أوجه استعمالها وإباحتها ومواطن تنزيلها وإجازتها.

• فها هو يوسف يشتد في مقولته لإخوانه بعد قوله لهم: ﴿ **ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** ﴾ [يوسف:٥٩]

يعقب ذلك بقوله لهم: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ** ﴾ [يوسف: ٦٠].

● وسليمان عليه السلام يقول: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١].

● من ذلك قول النبي ﷺ: «**من تعزى بعزاء الجاهلين فأعضُّوه بِهَنِّ أبيه**»[١].

● ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن اللتبية - لما أتاه بمال وقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ -: «**هلا جلستَ في بيت أبيك أو بيت أمك حتى تأتيك هديتك؟!**»[٢].

● ومن ذلك قول أبي بكر الصديق لعروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية: «**اذهب فامصُصْ بظر اللات**»[٣].

● وقول حمزة رضي الله عنه لسباع: «**يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٥٤٠) بإسناد صحيح عن الحسن عن عتي بن خمرة عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «من رأيتموه يتعزَّى بعزاء الجاهلية فأعضُّوه ولا تكنوا».

قلت: ومعنى التعزي بعزاء الجاهلية المناداة والاستغاثة بالنعرات الجاهلية كقول القائل: يا للمهاجرين ويا للأنصار، ويا قبيلة فلان وفلان. ومعنى فأعضوه بهن أبيه: ما الهنُ: فهو عضو الرجل وأداة الجماع منه. ومعنى فأعضوه: أي قولوا له: عضنَّ هَن أبيك.

(٢) صحيح وقد تقدم وهو في «الصحيحين»، وانظر كذلك مسلم (ص١٤٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وقال الحافظ: والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٧٢) من حديث وحشي بن حرب قال: «لما قال له قائل: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي=

• ومن ذلك قــول مــوسى ﷺ: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ولكنها كما أسلفنا تكون بقدر ولا يتوسع فيها إلا بحسب الحاجة الماسة الملحة الملجئة إليها، والأصل هو حسن الخلق والأصل هو الكلم الطيب، وباللَّه التوفيق ومنه نستمد العون والسداد.

وفي «صحيح مسلم»[1] أن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: سمعت رسل اللَّه ﷺ يقول: **«لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»** قال: فقال بلال بن عبد اللَّه: واللَّه لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبدُ اللَّه فسبَّه سبًا سيئًا، وقال: أخبرك عن رسولِ اللَّه ﷺ وتقول: واللَّه لنمنعهن؟!

* * *

= جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمِّي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام تمينين، وتمينين جبل بحيال أُحُد، بينه وبينه واد ـ خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد اللَّه رسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب..» الحديث.

(١) مسلم (ص٣٢٧).

• التواضع وعدم التعالي على الناس في الخطاب •

فكن متواضعًا خافضًا للجناح عند خطابك مع الناس.

• قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

• وقد كتب النبي ﷺ بذلك إلى هرقل.

• وانظر إلى قول الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

• ويقول يوسف عليه السلام: ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

فانظر إلى يوسف عليه السلام كيف يرد العلم الذي يحمله إلى اللَّه سبحانه وتعالى!!

وها هي طائفة من أساليب الخطاب التي تحمل طابع التواضع غاية التواضع:

• ها هو نبينا محمد ﷺ يقول في رسالته لهرقل: «**بسم اللَّه الرحمن الرحيم من محمد: عبد اللَّه ورسوله، إلى هرقل: عظيم الروم**»[1] .

وفي ثنايا الرسالة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧)، ومسلم (١٧٧٣).

وسليمان عليه السلام كذلك يرسل رسالتـه فيقول فيها: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

[النمل: ٣٠، ٣١].

فمن ثمَّ وصفته ملكة سبأ بقولها: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

فحقًا إنه كتاب كريم!!

فالزم التواضع في الخطاب مع الناس ولا تتكلم معهم بطريقة المتعالي المستكبر، فقد قال رسول اللَّه ﷺ ـ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[1] من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللَّه عنه ـ: **«وإن اللَّه أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد»**.

وقال ﷺ: «.. **وما تواضع أحدٌ للَّه إلا رفعه اللَّه**»[2].

* * *

(١) مسلم (٢٨٦٥) (ص٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحدٌ للَّه إلا رفعه».

• طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب •

وعليك بطلاقة الوجه وانبساطه لإخوانك أثناء حديثك معهم:

● قال لقمان لولده: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** ﴾ [لقمان: ١٨].

● وقال النبيُّ ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[١] أخرجه مسلم.

● وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي: «**ولا تزهدن في المعروف ما لك ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك**»[٢].

● وجرير البجلي يقول: «ما رآني النبيُّ ﷺ إلا تبسم في وجهي»[٣].

● وذم اللَّه تعالى المستكبر ثاني عطفه بقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ**[٣] **لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [الحج: ٨ - ١٠].

* * *

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أحمد (٥/ ٦٣) بإسناد صحيح وله شواهد.

(٣) البخاري (حديث ٦٠٨٩) ومسلم (٢٤٧٥).

(٤) معنى ثاني عطفه: أي لاوي عنقه تكبرًا، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾: أي لا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرًا.

• ولا تزكوا أنفسكم •

ولا تزك نفسك أمام الناس ولا تمنن بمعروفك عليهم، إلا إذا دعت الضرورة والحاجة لذلك:

- فقد قال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].
- وقال تعالى: ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].
- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩].
- وقال المقداد رضي اللَّه عنه: أمرنا النبي ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب[1].
- وقد أثنى رجلٌ على رجلٍ عند رسول اللَّه ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: **«ويحك قطعت عنق صاحبك»** - يقوله مرارًا - **إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، واللَّه حسيبُه، ولا يزكي على اللَّه أحدًا»**[2] فثناؤك على نفسك يبغضك إلى الناس، فالناس يكرهون من يتعالى عليهم ويتعاظم.

ولكن إذا دعت الحاجة لمثل ذلك كانت التزكية بقدر الحاجة:

- قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٨/١٢٧) من طريق أبي معمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد يحثي عليه التراب، وقال: (أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب).

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٤٧٦)، ومسلم (مع النووي ١٨/١٢٥)، وفي رواية: «ولا أزكي على الله أحدًا».

فحقًا إنه حفيظ على الأمـوال في سنوات المجاعة والشدة، عليمٌ بتصريف الأمور بإذن اللَّه.

● وقـال النبيُّ ﷺ للأنصـار: «**ألم أجدكم ضلالاً فـهداكم اللَّه بي، وكنتم متفرقين فألفَّكم اللَّه بي، وعالةً فأغناكم اللَّهُ بي**»(١).

● وقال عثمان رضي اللَّه عنه: أنشـدكم اللَّه، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألسـتم تعلمون أن رسـول اللَّه ﷺ قـال: «**من حـفر رومـة فله الجنة**» فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهَّز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال(٢).

ولك أن تنفي التهم عن نفسك بين يدي حديثك(٣):

● قال هود عليـه السلام: ﴿**يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [هود: ٥١].

● وبنحوه قال عدد من الأنبياء عليهـم الصلاة والسلام، **وقال شعيب عليه** السلام لقومه: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود: ٨٨].

● وقال نبينا مـحمد ﷺ: «**وايم اللَّه لو أن فاطمة بنت مـحمد سرقت لقطع محمدٌ يدَها**»(٤).

وقال عروة بن مسـعود الثقفي للمشركين لما أراد أن يشـير عليهم بأمرٍ في شـأن رسـول اللَّه ﷺ والصلح معـه، قال عروة: أي قـوم، ألستم بالوالد؟

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) البخاري (حديث ٢٧٧٨) معلقًا، وهو صحيح لشواهده.

(٣) وسيأتي هذا الباب بتوسع إن شاء اللَّه.

(٤) البخاري (حديث ٦٧٨٨)، ومسلم (مع النووي ١١/ ١٨٦).

قالوا: بلى، قال: أولستُ بالـولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهـموني؟ قالوا: لا، قال: ألسـتم تعلمون أني استنفـرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليَّ جـئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قـالوا: بلى، قال: فـإن هذا قد عـرض عليكم خطة رشدٍ اقبلوها ودعوني آته[١] .. الحديث.

وهذا من أدب الجواب:

● أخرج البـخاري[٢] من حديث عائشة رضي الـلَّه عنها، قالت: جاءت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول اللَّه: ما كان على ظهر الأرض من أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهل خـبائك، ثم مـا أصبح اليوم عـلى ظهر الأرض أهل خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يعـزُّوا من أهل خبائك، قال: **«وأيضًـا والذي نفـسي بيده»**: فقوله ﷺ: «وأيضًا» محتمل، وليس بصريح، واستعمال هذا المحتمل هنا أولى ووجه ذلك أنه كان في المشركين من هو أشد عداوةً لرسول اللَّه ﷺ من هند، وكـذلك لم تكن هند بعـد إسلامـها أحبَّ الناس إلى رسـول اللَّه ﷺ، ولا كان خـباؤها أعزَّ بيـت على رسولِ اللَّه ﷺ ولكنهـا قالت مـقالة فاحتاجت أن تكافأ على مقالتها فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«وأيضًا»** فقوله ﷺ: **«وأيضًا»** قد تفهم هند منه أن لها نفس المنزلة عنده ﷺ وإن لم يكن صريحًا بذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى[٣] :

قوله: «**قال: وأيضًا والذي نفسي بيده**» قال ابن التِّين: فيه تصديق لها فيما ذكرته، كأنـه رأى أن المعنى: وأنا أيضًا بالنسبة إليك مـثل ذلك، وتعقب من

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٢) البخاري (حديث ٣٨٢٥).
(٣) «فتح الباري» (٧/ ١٧٥).

جهة طرفي البغض والحب، فقد كان في المشركين من كان أشد أذىً للنبي ﷺ من هند وأهلها، وكان في المسلمين بعد أن أسلمت من هو أحبُّ إلى النبي ﷺ منها ومن أهلها، فلا يمكن حمل الخبر على ظاهره.

وقال غيرُهُ: المعنى بقوله: «**وأيضًا**» ستزيدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له أثر، فـ(أيضًا) خاص بما لا يتعلق بها لا أن المراد بها أني كنت في حقك كما ذكرت في البغض ثم صرت على خلافه في الحب بل ساكت عن ذلك، ولا يعكر على هذا قوله في بعض الروايات: «**وأنا**» إن ثبتت الرواية بذلك.

وانظر إلى الأدب في الرفض:

● فلما ذكر النبيُّ ﷺ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال: «**هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكَّاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول اللَّه؟ (وفي رواية: **ادع اللَّه** أن يجعلني منهم يا رسول اللَّه) قال: «**نعم**»، فقام آخر فقال: **أمنهم أنا؟** (وفي رواية ادع اللَّه أن يجعلني منهم يا رسول اللَّه)، فقال: «**سبقك بها عُكَّاشةُ**»[1] .

وهذا أيضًا من الأدب:

● في «الصحيح»[2] من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال

---

(١) البخاري (حديث ٥٧٥٢).

(٢) البخاري (حديث ٥٦٢٠).

للغلام: «**أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء؟**» فقال الغلام: واللَّه يا رسول اللَّه لا أوثر بنصيبي منك أحد.

فالغلام يكنُّ مودةً ومحبةً لرسول اللَّه ﷺ، واستأذنه رسول اللَّه ﷺ لمناولة الأشياخ فلم يقل لا آذن، ولكنه رفض بطريقة أثبتت المودة وعبَّرت عما في القلب من محبة تجاه رسول اللَّه ﷺ، فهو رفض يجلب المحبة.

الخطاب مع عموم الناس:

- وأحيانًا يوجه الخطاب لعموم الناس حتى تعم الفائدة، وأحيانًا لا يُحبذ ولا يستحب الكلام مع عمومهم.

- أخرج البخاري [(١)] من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: أن رسول اللَّه ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**أحب الحديث إليَّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبيَ وإما المال**» فقد كنت أستأنيت بهم وقد كان رسول اللَّه ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف - فلما تبين لهم أن رسول اللَّه ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: نختار سبينا. فقام رسول اللَّه ﷺ في المسلمين فأثنى على اللَّه بما هو أهلُهُ ثم قال: «**أما بعدُ، فإنَّ إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني رأيت أن أردَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إيَّاه من أوَّل ما يفيء اللَّه علينا فليفعل**» فقال الناس: قد طيَّبنا ذلك لرسولِ اللَّه ﷺ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنا لا ندري من أذين منكم في ذلك**

(١) البخاري (حديث ٢٣٠٧، ٢٣٠٨).

ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا.

وبنحو ذلك نصح الصحابة عمر رضي الله عنه:

● أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت أُقرئُ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن ابن عوف، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائمٌ العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذي يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كلُّ مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهلُ العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله ـ إن شاء الله ـ: لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٨٣٠).

• تقديم الأهم •

وعند خطابك مع الناس قدِّم الأهم فابدأ به.

• ألا ترى إلى قول شعيب عليه الصلاة والسلام إذ يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ..**﴾ [هود: ٨٤].

فقدَّم الأمرَ بالعبادة على النهي عن البخس والتطفيف في المكاييل والموازين.

• وكذلك قال رسول اللَّه ﷺ لمعاذ: «**إنك تَقْدُم على قومٍ من أهلِ الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا اللَّه..**»[1] الحديث.

وأحيانًا يحتاج الأهم من الكلام إلى تقدمة بأمور هي دونه في الأهمية فليفعل ذلك إن احتيج إليه وتكون هذه صور مستثناة.

ومن التوطئة للحديث والبداية بالأهم: قول يوسف عليه السلام لما طُلب منه تأويل الرؤيا قال: ﴿**لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي..**﴾ الآيات إلى قوله: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ..**﴾ ثم عبَّر لهم رؤياهم بعد ذلك بقوله: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ..**﴾.

---

(١) أخرج البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (حديث ١٩) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: «لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قومٍ من أهلِ الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا اللَّه تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ اللَّهَ فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن اللَّه افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فتردُّ على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس».

• تقدمات بين يدي الخطاب •
وتأهيل المخاطب لاستقبال الحديث

ففي كثير من الأحيـان يكون من الأنسب تقديم بعض المقدمات قبل طرق الموضوعات تمهيدًا لبدء الحديث.

فمن ذلك أحيانًا[١] البدء بخطبة الحاجة التي كان النبيُّ ﷺ يبدأ بها أحيانًا ويعلمها أصحابَهُ.

• أخـرج أبو داود[٢] بإسناد صحيح لغيـره من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: علَّـمنا رسولُ اللَّه ﷺ خطبة الحـاجة: «**إن الحمد للَّه نسـتعينه ونستـغفره، ونعوذ باللَّه من شـرور أنفسنا، من يهديه اللَّه فـلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن مـحمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[٣]** [النساء: ١] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ**

---

(١) وقلنا أحيانًا لأن النبي ﷺ قد وردت عنه صيغٌ أُخر من المقدمات، وأحيانًا يتكلم بلا مقدمات، فقد قال عليـه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه ـ في قصة الواهبـة ـ: «زوجتكها بما معك من القرآن» ولم يقدم خطبة الحاجة بين يدي الحديث صلوات اللَّه وسلامه عليه.

(٢) أبو داود (حـديث ٢١١٨)، والترمـذي (مع التحـفة ٤/ ٢٣٧)، والنسـائي (٦/ ٨٩)، وأحمـد (١/ ٣٩٣) وغيرهم.

(٣) الموجـود في «سنن أبي داود»: ﴿واتقـوا الله الذي تسـاءلون به والأرحـام إن الله كـان عليكم رقيبًـا﴾ والصواب ما أثبتناه. هذا وقد قـال ابن قدامة في «المغني»: والخطبة غيـر واجبة عند أي أحد من أهل العلم علمناه إلا داود فإنه أوجبها لما ذكرناه.
ولنا أن رجلاً قـال للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه: زوجنيهـا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «زوجتكـها بما معك من القرآن» متفق عليه، ولم يذكر خطبة. (المغني ٦/ ٥٣٧).

اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾» [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وقد اقتصر رسول اللَّه ﷺ على بعض فقرات خطبة الحاجة المذكورة في بعض المواطن:

• ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي[٢] من هذه الريح[٣] فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إنَّ محمدًا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل اللَّه يشفيه على يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن اللَّه يشفي على يدي من شاء فهل لك[٤]؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد**» قال فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسولُ اللَّه ﷺ ثلاث مرات. قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء. فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر[٥]، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه.

(١) مسلم (حديث ٨٦٨).

(٢) (يرقي) من الرقية وهي العوذة التي يرقى به صاحبُ الآفة.

(٣) (من هذه الريح) المراد بالريح هنا: الجنون ومسّ الجان.

(٤) (فهل لك) أي: فهل لك رغبة في رقيتي وهل تميل إليها.

(٥) «ناعوس» ضبطناه بوجهين: أشهرهما ناعوس، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا، والثاني قاموس وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير «صحيح مسلم»، وقال القاضي عياض: أكثر نسخ «صحيح مسلم» وقع فيها قاعوس: قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه: وقال ابن دريد: لجته. وقال صاحب كتاب «العين»: قعره الأقصى. قاله النووي.

• وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوتُه واشتد غضبُه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «**أما بعد.. فإن خير الحديث كتاب اللّه، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

ومن ذلك حمد اللَّه والثناء عليه:

• ففي «الصحيح»[2] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: مرَّ أبو بكر والعباس رضي اللَّه عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبيِّ ﷺ منَّا، فدخل على النبيِّ ﷺ فأخبره بذلك قال: فخرج النبيُّ ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرد، قال: فصعد المبر، ولم يصعده بعد اليوم فحمد اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار**» ولما خرج أبو بكر[3] يخبر الناس بوفاة رسول اللَّه ﷺ حمد اللَّه وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللَّه فإنَّ اللَّه حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤].

---

(١) مسلم (حديث ٨٦٧).

(٢) البخاري (٣٧٩٩)، والنسائي (الفضائل ٢٤١).

(٣) أخرج ذلك البخاري في «صحيحه» (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

ومن تأهيل المخاطب كذلك:

• ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: لما أمر رسول اللَّه ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بيَّ، فقال: «**إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن تعجلي**(٢) **حتى تستأمري أبويك**» قالت: قد علم أن أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «**إن اللَّه عزَّ وجلَّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**» [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

قالت: فقلتُ: في أي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد اللَّه ورسولَهُ والدارَ الآخرة. قالت: ثمَّ فعل أزواج رسول اللَّه ﷺ مثل ما فعلتُ.

* * *

---

(١) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٨٥).

(٢) المعنى، واللَّه أعلم: لا بأس عليك بتأخير الإجابة.

• بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل •

قال سليمان عليه السلام: ﴿**إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [النمل: ٣٠].

وأرسل رسولُ اللَّه ﷺ رسالة إلى هرقل فيها: «**بسم اللَّه الرحمن الرحيم من محمد عبد اللَّه ورسوله إلى هرقل عظيم الروم**»[(١)] .

وفي صلح الحديبيــة قال رسول اللَّه ﷺ لعــليّ: «**اكتب بسم الـلَّه الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ اللَّه...**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٧)، ومسلم (حديث ١٧٧٣).

• تقدمات تتناسب مع موضوع الحديث •

وأحيانا يقدم الخطاب بكلمات تتناسب مع ما سيذكر من الحديث، كتقدمة بها يُرفع الحرج عن المتكلم أو يُطلب بها تثبيت المخاطب، ونحو ذلك.

ومن ذلك ما يلي:

• قول أم سليم لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه إن اللَّه لا يستحيي من الحق، ثم سألته سؤالها، فقالت: هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت[1]؟؟

• وقول ضمام[2] لرسول اللَّه ﷺ: «إني سائلك فمشددٌ عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك».

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٢)، ومسلم (١/٦٠٨).

(٢) أخرج البخاري (حديث رقم ٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم - فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك» فقال الرجل للنبيِّ ﷺ: إني سائلك فمشددٌ عليك في المسألة فلا تجد عليَّ في نفسك. فقال: «سل عما بدا لك»، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آللَّه أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك باللَّه، آللَّه أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك باللَّه، آللَّه أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم»، قال: أنشدك باللَّه، آللَّه أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «اللهم نعم» فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسولُ من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر.
قلت: ويؤخذ من هذا الحديث أيضًا مما يتعلق بفقه الخطاب: ترك الاسترسال في الحديث إذا لم تكن فيه فائدة فالرجل لما سأل الرسول ﷺ فقال: ابن عبد المطلب! قال له رسول اللَّه ﷺ: «قد أجبتك»، فالرجل يعلم أن رسول اللَّه ﷺ هو ابن عبد المطلب. قال =

ومن ذلك قصة أم سليم مع زوجها رضي اللَّه عنه لما مات ولدها فانظر إلى حديثها الطيب وصنيعها الجميل قبل أن تخبر زوجها بوفاة ولده:

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبيُّ، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وارِ الصبيَّ، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول اللَّه ﷺ فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**»[2]

= الحافظ في «الفتح» (١/ ١٨٢): نزل تقريره للصحابة في الإعلام عنه منزلة النطق.

قلت: وفيه أيضًا نوع من التقدمات التي يتقدم بها الحديث وذلك في قوله: «أسألك بربك ورب من قبلك»، وفي قوله: «أنشدك باللَّه».

وفيه كذلك الإيجاز والاختصار، وذلك من قوله ﷺ: «اللهم نعم...».

(١) البخاري (حديث ٥٤٧٠)، ومسلم (ص ١٦٩٠).

(٢) يعني: هل جامعت أهلك الليلة.

في بعض الروايات: أن أم سليم قالت: يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أصحابها أيردونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم، قالت: فاحتسب أبا عمير.

وفي رواية أخرى، وإسنادها صحيح أيضًا: أن أم سليم قالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه فرجع من المسجد وقد يسرت له عشاءه، كما كانت تفعل، فقال: ما فعل الغلام - أو الصبي؟، قالت: خير ما كان، فقربت له عشاءه فتعشى هو وأصحابه الذين معه ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله، فلما كان من آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طُلبت إليهم شقَّ عليهم؟ قال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلانًا كان عارية من اللَّه فقبضه إليه، قال: فاسترجع وحمد اللَّه... الحديث.

وفي رواية أخرى وإسنادها صحيح أيضا أنها قالت: يا أبا طلحة إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا بعاريتنا فأبوا أن يردوها فقال أبو طلحة: ليس لهم ذلك إن العارية مؤادة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من اللَّه وإن اللَّه قد =

قال: نعم قال: «**اللهم بارك لهما في ليلتهما**» فولدت غلامًا، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبيَّ ﷺ فأتى به النبيَّ ﷺ وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: «**أمعه شيء؟**» قالوا: نعم، تمرات، فأخذها النبيُّ ﷺ فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في فيِّ الصبيِّ وحنَّكه وسمَّاه عبد اللَّه.

وانظر إلى تقدمة أم سليم الحسنة بين يديّ اعتذارها:

• أخرج النسائي بإسناد صحيح[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قال: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: واللَّه ما مثلك يا أبا طلحة يُرد، ولكنك رجلٌ كافرٌ، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها.

قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم: الإسلام، فدخل بها فولدت له.

• وأخرج ابن سعد[2] في «الطبقات» بإسناد صحيح عن أنس أيضًا قال: جاء أبو طلحة يخطب أم سليم فقالت: إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا،

= قبضه، فاسترجع.

وفي رواية أخرى، أنه قال لها: ما فعل ابني؟ قالت: صالح، فأتته بتحفتها التي كانت تتحفه بها فأصاب منها، ثم طلبت منه ما تطلب المرأة من زوجها فأصاب منها، ثم قالت: ما رأيت ما صنع ناسٌ من جيرتنا كانت عندهم عارية فطلبوها فأبوا أن يردوها فقال: (بئس ما صنعوا) فقالت: هذا أنت كان ابنك عارية من اللَّه وإن اللَّه قد قبضه إليه، فقال لها: واللَّه لا تغلبيني الليلة على الصبر..

وكل هذه الروايات عند ابن سعد في «الطبقات» وغيره وبمجموعها بل وبمفرداتها تصح بلا شك ولا ريب.

(١) النسائي (٦/ ١١٤).

(٢) ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣١٢).

أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت؟! قال: فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا، قال: وجعل لا يجيؤها يومًا إلا قالت له ذلك، قال: فأتاها يومًا فقال: الذي عرضت عليَّ قد قبلت، قال: فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة.

ومن التقديمات بين يدي الخطاب والأدب في ذلك:

- قول وفد عبد القيس لرسول اللَّه ﷺ لما أتوه: يا نبي اللَّه جعلنا اللَّه فداءك ماذا يصلح لنا من الأشربة(١) ؟..

- وقول عمر لرسول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقيَ يشهد أن لا إله إلا اللَّه مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة! قال: «**نعم**»(٢) ؟!

- وهرقل يقدم مقدمةً بين يديّ رغبته في إسلام قومه من الروم فيقول لهم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي(٣).

- ومن ذلك أيضًا: قول النبي ﷺ لليهود: «**إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقي عنه؟**»(٤).

---

(١) مسلم (ص٥٠).

(٢) مسلم (ص ٦٠ حديث ٣١).

(٣) البخاري (حديث ٧).

(٤) البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: لما فتحت خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود، فجمعوا =

● ومن ذلك: قول حاطب لرسول اللَّه ﷺ[1] : يا رسول اللَّـه لا تعجل عليَّ. وذلك لما أرسل حاطب رسالة إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول اللَّه ﷺ وعلم بذلك رسول اللَّه ﷺ وأُتي بالرسالة فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟..**» الحديث.

● وانظر إلى هذا التقديم الطيب الرائع الذي يُقدمـه عبيد اللَّه بن عدي بن الخيـار بين يدي نصيحتـه لأمير المؤمنين عـثمان رضي اللَّه عنه، فقـد أخرج البخاري[2] من طريق عبيد اللَّه بن عدي بن الخيار أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسـود بن عبد يغـوث قالا له[3]: مـا يمنعك أن تكلم خـالك عثمان في أخـيه الوليد بن عقبة، وكان أكـثر الناس فيما فعل به. قـال عبيد اللَّه: فانتصبت لعثمان حين خرج إلى الصلاة فقلتُ له: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة، فـقال: أيها المرء، أعوذ باللَّه منك. فانصرفـت، فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى ابن يغـوث فحدثتهما بما قلتُ لعـثمان وقال لي. فقالا: قد قـضيت الذي كان عليك، فبينما أنا جالس معـهما إذ جاءني

= له، فقال: إني سـائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟» فقـالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ : «من أبوكم؟» قالوا: فـلان، فقال: «كـذبتم، بل أبوكم فلان»، قـالوا: صدقت. قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟» فـقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كمـا عرفته في أبينا. فقال لهم: «من أهل النار؟» قالوا: نكون فـيها يسيرًا. ثم تخلفونا فيها، فقال النبيُّ ﷺ: «اخسئوا فيها، واللَّه لا نخلفكم فيها أبدًا»، ثم قال: «هل أنتم صـادقي عن شيء إن سـألتكم عنه؟» قـالوا: نعم يا أبا القـاسم، قـال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟» قـالوا: نعم، قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًا لم يضرك.

(١) البخاري (٣٠٠٧)، (٤٢٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٧٢)، (٣٦٩٦).

(٣) في رواية البخاري (٣٦٩٦) فقد أكثر الناس فيه.

رسول عثمان، فقالا لي: قد ابتلاك اللَّه. فانطلقت حتى دخلت عليه، فقال: ما نصيحتك التي ذكرتَ آنفًا؟ قال: فتشهدت ثم قلتُ: إن اللَّه بعثَ محمدًا ﷺ وأنزل عليه الكتاب، وكنتَ ممن استجاب للَّه ورسوله ﷺ وآمنت به، وهاجرتَ الهجرتين الأولـيين، وصحبتَ رسول اللَّه ﷺ ورأيتَ هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد بن عقبة، فحقٌّ عليك أن تقيم عليه الحدَّ، فقال لي: يا ابن أخي، أدركتَ رسولَ اللَّه ﷺ؟ قال: قلتُ: لا، ولكن قد خلص إليَّ من علمه ما خلص إلى العذراء في سترها، قال: فتشهد عثمان فقال: إن اللَّه قد بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنتُ ممن استجاب للَّه ورسوله، وآمنتُ بما بعث به محمدًا ﷺ، وهاجرتُ الهجرتين الأولين كما قلت - وصحبتُ رسول اللَّه ﷺ وبايعتُه، واللَّه ما عصيتُه ولا غششتُه. ثم استُخلفتُ، أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم عليَّ؟ قال: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ فأما ما ذكرتَ من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه إن شاء اللَّه بالحق، قال: فجلد الوليدَ أربعين جلدة، وأمر عليًا أن يجلده، وكان هو يجلده».

• ومن ذلك أيضًا: قول النبي ﷺ: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبِّحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذيرٌ لكم بين يديّ عذاب شديد**»[1].

• وفي رواية في «الصحيحين»: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقًا، قال:

---

(١) البخاري (٤٩٧٢).

«فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»[١].

● ومن ذلك أيضًا: قول عـائشة رضي اللَّه عنها لعبـد اللَّه بن شداد: هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟[٢].

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٠٦١).

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

• تطييب الخواطر مع الإرشاد إلى الأفضل •

وينبغي أن تطيب خاطر من تحادثه مع إرشاده وتوجيهه إلى الأفضل:

• ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أُعْطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**».

• وفي «الصحيحين»[٢] كذلك من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال: «**يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع**».

* * *

(١) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (حديث ١٠٥٣).
(٢) البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (حديث ١٠٣٥).

• مزيد من أدب النصح والخطاب والتوجيه •

إذا أخطأ فاضل من الفضلاء في مسألة وزلت قدمه فيها ورأيت أن تبين له وجه خطئه فيها، فذكِّره بما فيه من محاسن بين يدي بيانك وتنبيهك، ثم قدِّم نصيحتك، فيكون ذلك أدعى لتهيئة مشاعره لقبول قولك والعمل بنصحك، فما من البشر أحد إلا وزلت قدمه في مسألة من المسائل أو أخطأ في فهمها فاذكر لأهل الفضل فضلهم، والتمس لهم المعاذير في أخطائهم، ألا تقرأ كتاب اللَّه في شأن نبييه داود وسليمان عليهما السلام: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

فانظر إلى قوله سبحانه: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾ ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿**وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ فحتى لا يتسرب إلى ذهن شخص أن داود عليه السلام قليل الفهم، قال تعالى: ﴿**وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ ثم ذكر اللَّه بعض الفضل الذي منَّ به على داود عليه السلام بقوله: ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾.

فإذا أخطأ شخص في مسألة فقل له مثلاً: يا هذا عهدناك تفهم، ونعرف عنك الفضل والذكاء، لكنك في هذه المسألة ابتعدت شيئًا ما عن الصواب، فلعلك مرهق، لعلك متعب، لعلك.. وذلك حتى تسمح له بالتفكير وإعادة النظر. وأيضًا حافظ على حقوق وأعراض من تقوِّم تصرفاته أو توضحها لمن خفيت عليه.

• قال اللَّه سبحانه في شأن نبيه يعقوب عليه السلام مع بنيه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾

[يوسف: ٦٧، ٦٨].

• فانظر إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾؟! فقد يظن ظانٌّ أن يعقوب قليل العلم لما قال لبنيه: ﴿لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ فدفع هذا الظن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

• وكذلك فأمعن النظر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾

[هود: ٧٤ - ٧٦].

فانظر إلى قوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾!! ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾!! ثم إلى قوله: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾!!

• وكذلك فلتنظر إلى قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

فلتقل لصاحبك إذا فعل ما لا تريد: عفا اللَّه عنك لم صنعت كذا؟! هلا صنعت كذا وكذا؟! وفقك اللَّه كان ينبغي أن تصنع كذا وكذا!!

إنك إن قلت له مثل ذلك هيأت نفسيته لقبول ما ستلقي عليه، وأدخلت الثقة في نفسه، وحملته على الإصلاح، واللَّه الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

• من طرق الإقناع •

وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الإقناع:

ألا وهي تقرير المخاطب بأصول وقواعد، ثم البناء على هذه الأصول والقواعد بعد إقراره، وهي طريقة لها أصولها وأدلتها من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وأفعال العقلاء:

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٨٥ - ٨٩].

• وقال النبي ﷺ للمشركين في بداية دعوته آخذًا منهم الاعتراف والإقرار بصدقه: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

• وانظر إلى مقالة الرسول ﷺ للأنصار لما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا (أي حزنوا) إذ لم يصبهم ما أصاب الناس

(١) البخاري (حديث ٤٧٧٠)، ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، مرفوعًا.

فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم اللَّه بي، وكنتم متفرقين فألفكم اللَّه بي، وعالة فأغناكم اللَّه بي؟**» كلما قال شيئًا قالوا: اللَّه ورسوله أمنُّ . . . ثم قال لهم: «**ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم**» . . الحديث[1] .

● وأخرج الإمام أحمد[2] في «مسنده» من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه، قال: إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: «**ادنه**» فدنا منه قريبًا قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا واللَّه، يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا واللَّه، جعلني اللَّه فداءك يا رسول اللَّه، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه**» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

● وها هو عليه السلام يقرر اليهودَ[3] ـ قبل إخبارهم بإسلام عبد اللَّه بن سلام ـ بسيادة عبد اللَّه عبد بن سلام وفضل عبد اللَّه بن سلام:

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٣٠)، ومسلم (حديث ١٠٦١).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٦) بإسناد صحيح.

(٣) لكن التوفيق من عند اللَّه.

قال عليه الصلاة والسلام لليهود: «**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**يا ابن سلام، اخرج عليهم**»، فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت فأخرجهم رسول الله ﷺ[١] .

● وها هو عروة بن مسعود الثقفي يقول للمشركين قبيل صلح الحديبية قبل أن يشير عليهم بما يراه، وقد كان منهم آنذاك، يقول لهم: ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا ، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه.. الحديث[٢] .

فانظر إلى استهلاله للحديث وإلى ذِكْرِ مَآثره أمامهم حتى ينفي عن نفسه تهمة الخيانة أو الغش لهم.. ثم حثه لهم على قبول خطة الصلح.

فحقًا إنه فقه تعامل وفقه تخاطب مع الناس، يؤتيه الله من يشاء من عباده، فهي طريقة سلكها العقلاء والتمسها الفضلاء للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن.

وانظر إلى هذه الطريقة من طرق الأدب في الخطاب:

تلك الطريقة التي سلكها الأنصار مع رسول الله ﷺ لما أُسر العباس عم رسول الله ﷺ مع المشركين يوم بدر.

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

● فقد أخـرج البخاري[١] ـ رحمه اللّه تعـالى ـ من حديث أنس رضي اللّه عنه أن رجالاً مـن الأنصار استـأذنوا رسول اللّه ﷺ فـقـالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباسٍ فداءَهُ، فقال: «**لا تدعون منه درهمًا واحدًا**».

فالأنصار أخوال أبيه عبد المطلب (أي أخوال والد العباس)[٢] وهي درجة قرابة أبعد من قرابة الـعباس من رسول اللّه ﷺ فالعبـاس هو عم رسول اللّه ﷺ.

فلم يقولوا: ائذن لنا فلنترك لعمك فداءه، ولكن قالوا: (ائذن لنا أن نترك لابن أختنا فداءه)، وذلك حتى تكون المنة إنما هي من رسول اللّه ﷺ عليهم في الإذن لهم بالتنازل عن الفدية، وليـست منهم على رسول اللّه ﷺ بالمـن على عمه بترك الفدية.

إلى هذا أشار الحافظ ابن حجر رحـمه اللّه بقوله: (إنما قالوا: ابن أختنا، لتكون المنَّة عليهم في إطلاقه، بخلاف مـا لو قالوا: عمك، لكانت المنَّة عليه ﷺ، وهذا من قوة الذكاء وحـسن الأدب في الخطاب، وإنما امتنع النبي ﷺ من إجابتهم لئلا يكون في الدِّين نوع محاباة).

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٣٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمـه اللّه تعالى (فتح الباري ٥/ ٢٠٠): (والمراد أنهم أخوال أبيه عبـد المطلب فـإن أم العبـاس هي نتيلة بالنون والمـثناة مصـغرة بنت جناب بالجـيم والنون وليست من الأنصار وإنما أرادوا بذلك أن أم عبد المطلب منهم لأنها سلمى بنت عمرو بن أحيحة بمهملتين مصغر وهو من بني النجار، وأخواله حقيقة إنما هم بنو زهرة وبنو النجار أخوال جده عبد المطلب.

ومن أمثلة ذلك في حياتنا الدنيا وتعاملاتنا مع الناس ما يلي:

• تريد أن تطعم شخصًا من بيتك، فـفرقٌ بين قولك له: هيا إلى بيتي أُطعمك، وبين قولك له: هل تتفضل عليَّ وتشرفني بالطعام في بيتي؟!

• شخص يدعوك لوليمة عنده، ففرقٌ بين أن تقول له: لن آتي، وبين قولك له: هل تسمح لي في التأخير لأفعل كذا وكذا؟

إنك بقولك الأخير جعلته صاحب القرار، مع أنك في الحالين ستصل إلى مرادك بإذن اللَّه.

• وكذلك إذا تقدم رجلٌ لخطبة امرأة فقررت في نفسها الامتناع عن الزواج به، فَفَرْقٌ بين قولها له: أنا أرفضك، أو لا أرغب فيك، وبين قولها له: إني رأيتك فرأيت أنك تحتاج إلى امرأة هي أفضل مني، أو إن بلدتكم بعيدة عن بلدتي ووالدتي لا ترغب في غربتي، إلى غير ذلك من أساليب الامتناع الطيبة التي لا تكسر خاطرًا ولا تُهين مسلمًا ولا تجرح حياءً.

والموفق من وفقه اللَّه سبحانه وتعالى.

• وكذلك فانظر إلى إجابة وحشي بن حرب لرسول اللَّه ﷺ في «صحيح البخاري»[1]: (أن وحشي قدم على رسول اللَّه ﷺ قال وحشي: فلما رآني قال: **«آنت وحشي؟!»** قلت: نعم، قال: **«أنت قتلت حمزة؟»** قلت: قد كان من الأمر ما بلغك...).

فانظر إلى قوله لما سأله رسول اللَّه ﷺ: **«أنت قتلتَ حمزة؟»** وإجابته بقوله: «قد كان من الأمر ما بلغك».

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٧٢).

فلم يقل له: نعم، أنا قتلته وفعلت به وفعلت، فإن في ذلك إثارة للكامن في النفوس، ولكنه قال: «قد كان من الأمر ما بلغك».. فافهم يا عبد اللَّه وانتق الكلمات واختر أفضل العبارات وسل اللَّه التوفيق والسداد.

ولك أن تثبت المودة والمحبة لمن ستعتذر إليه أو تقوم بنصحه حتى يقبل منك عذرك أو يسمع إلى نصحك:

● فحاطب يقول بين يدي اعتذاره لرسول اللَّه ﷺ عمَّا قام به من إرسال رسالة للمشركين: يا رسول اللَّه لا تعجل عليَّ[1].

● ويقول أيضًا: واللَّه ما بي أن لا أكون مؤمنًا باللَّه ورسوله ﷺ.

● وأسامة بن زيد يرسل إلى عليٍّ رضي اللَّه عنه، لما تخلف عنه أسامة في قتال معاوية فيقول معتذرًا عن حضوره القتال: لو كنتَ في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك، ولكن هذا أمرٌ لم أره[2].

وهذه كلمات موجزة مؤدبة للغرض من رسول اللَّه ﷺ، صحبها استهلالٌ بين يدي الخطاب من رجلٍ عاقلٍ جاء يسأل رسول ﷺ:

● أخرج مسلم[3] في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: نهينا أن نسأل رسول اللَّه ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية. فقال: يا محمد أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن اللَّه أرسلك؟ قال: «**صدق**» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «**اللَّه**» قال: فمن خلق الأرض؟ قال:

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٠).

(٣) مسلم (حديث ١٢).

«**اللَّه**» قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «**اللَّه**» قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آللَّه أرسلك؟ قال: «**نعم**» قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك، آللَّه أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: وزعم رسولُك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: «**صدق**» قال: فبالذي أرسلك: آللَّه أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**» قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: «**صدق**» قال ثم ولَّى قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**».

ومن ذلك إدخالك السرور على من تحادثه:

• ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه، قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ، فوجد الناس جلوسًا ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأُذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له، فوجد النبيَّ ﷺ جالسًا حوله نساؤه، واجمًا[2] ساكتًا، قال: فقال: لأقولن شيئًا أُضحك النبي ﷺ. فقال: يا رسول اللَّه، لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها[3]، فضحك رسول اللَّه ﷺ، وقال: «**هن حولي كما ترى يسألنني النفقة**» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأُ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأُ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه

(١) مسلم (حديث ١٤٧٨).

(٢) الواجم: هو الذي اشتد حزنه.

(٣) وجأت عنقها: أي طعنتها في رقبتها.

ﷺ ما ليس عنده، فقلـن: واللَّه، لا نسأل رسول اللَّه ﷺ شيـئًا أبدًا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ**﴾ حتى بلغ: ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩] قال: فبدأ بعائشة، فقال: «**يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أُحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**» قالت: وما هو يا رسول اللَّه؟ فتلا عليها هذه الآية. قالت: أفيك يا رسول اللَّه أستـشير أبويَّ؟ بل أختار اللَّهَ ورسولهَ والدارَ الآخرةَ، وأسألك أن لا تخبـر امرأة من نسائك بالذي قلتُ. قال: «**لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن اللَّه لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا[1] ولكن بعثني معلمًا ميسرًا**».

* * *

(١) معنتًا: مشددًا على الناس وملزمًا لهم بما يشق عليهم، ومتعنتًا طالبًا زلتهم.

• انتقاء الكلمات واختيار الألفاظ والعبارات •

• وينبغي أن تنتقي الكلمات وتختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي إلى الغرض المطلوب **فالرفق ما كان في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء إلا شانه**[1] كما قال الرسول ﷺ، فالكلمة الواحدة يمكن أن تجلب همًا وغمًا ويمكن أن تبدل بكلمة تجلب انشراحًا وسعادة وها نحن نورد بعض نماذج ذلك.

• فرقٌ بين قولك لشخص ضربه آخر وظلمه: أين المضروب؟ وبين قولك أين صاحب الحق؟ فالمضروب هو صاحب الحق، ولكن في قولك له: أين المضروب؟ أو أنت المضروب: مزيدُ إهانة وإذلال، لكن في قولك: أين صاحب الحق؟ ردٌّ للأمور إلى نصابها.

• وفرقٌ كذلك بين قولك إذا ناديت قومًا في بيتهم نارٌ موقدة: يا أهل النار، أو: يا أصحاب النار، وبين ندائك لهم: يا أهل الضوء، أو: يا أصحاب النور.

• وكذلك ثمَّ فرقٌ بين قولك لرجلٍ تزوج باثنتين: من هي الزوجة القديمة؟ وقولك: من هي الزوجة الأولى، أو: بين قول الزوج نفسه متحدثًا عن زوجته: الزوجة القديمة، وبين قوله: الزوجة الأولى أم فلان وأم فلان بكنيتها.

• وانظر إلى أدب عليٍّ رضي اللَّه عنه ومعه صحابيٌّ آخر[2] لما أرسلهما

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٤) ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه».

(٢) الرجل الآخر أشار الحافظ إلى أنه عمران بن حصين رضي اللَّه عنه.

النبي ﷺ للبحث عن الماء فالتقيا بامرأة بين مزادتين - أو سطيحتين - من ماء على بعير لها فقالا لها: انطلقي إذًا، قالت: إلى أين؟ قالا إلى رسول اللَّه ﷺ، قالت: الذي يُقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين.. الحديث[1].

فانظر إلى هذا الأدب فلم يقولا لها: لا، حتى يقعا في الكذب ولم يقولا لها: نعم، فيكون في مقالتهما إقرارٌ على أنه الصابئ وإن كانت كلمة الصابئ تتحمل جملة إذ الصابئ هو الذي ترك دينه واعتنق دينًا آخر.

ولكن لا يليق بحالٍ وصْفُ النبي ﷺ بأنه صابئ، فقد استقر في ذهن الناس آنذاك أن من وصف بهذا فهو مذموم، ولذلك عدل عليٌّ رضي اللَّه عنه ومن معه إلى هذه الكلمة: (هو الذي تعنين).

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى[2]: وفيه أدب حسن، ولو قالا لها: «لا» لفات المقصود، أو «نعم» لم يحسن بهما، إذ فيه تقرير ذلك فتخلصا أحسن تخلص.

• **قلت**: فيا سبحان اللَّه من علَّم هؤلاء الأميين هذا العلم ومن أدبهم بهذا الأدب؟!

فالحمد للَّه على نعمة الإسلام، وجزى اللَّه خيرًا نبينا محمدًا عليه أفضل صلاة وأتم سلام.

• وانظر أيضًا إلى ما في هذه الآية الكريمة، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٤).

(٢) «فتح الباري» (١/٥٣٨).

فأثبت اللَّه تعالى أن الصحابة يوم حنين ولَّوا مدبرين، ولكن لما سئل البراءُ رضي اللَّه عنه تُرى كيف أجاب؟ ففي «الصحيح»[١] أن البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما، جاءه رجلٌ فقال له: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين، فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يُوَلِّ..».

وفي رواية: أفررتم[٢] عن رسول اللَّه ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول اللَّه ﷺ لم يفر..

فقد يتوهم السائل من إجابة البراء إذا أجابه بقوله: «نعم فررنا» أن رسول اللَّه ﷺ فرَّ معهم، فأراد البراء أن يدفع هذا التوهم بقوله: لكن رسول اللَّه ﷺ لم يفر، فنعم هذا الأدب.

وقد قال النووي رحمه اللَّه تعالى: هذا الجواب من بديع الأدب لأن تقدير الكلام: فررتم كلكم؟ فيدخل فيهم النبي ﷺ، فقال البراء: لا واللَّه ما فرَّ رسول اللَّه ﷺ.

● **ومن ذلك:** قول النبي ﷺ لما بلغه أن خالدًا قتل القوم الذين قالوا: صبأنا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، وأمر أيضًا بقتل الأسرى منهم، فقال النبي ﷺ: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»**[٣] .

ففرقٌ بين قول: **«اللهم إني أبرأ إليك من خالد»**، وقول: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»**.

---

(١) البخاري (٤٣١٥).

(٢) البخاري (٤٣١٧).

(٣) البخاري (٧١٨٩).

واللفظة التي تحتمل احتمالات إذا لم يحتج إليها للتعريض ونحوه فاتقها واستعمل غيرها:

• قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤].

فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المؤمنين إنما نهوا عن قول: راعنا؛ لأن اليهود كانت تستخدم تلك الكلمة للاستهزاء برسول اللَّه ﷺ وسبِّه والسخرية والنَّيل منه.

• وأخرج الطبري بإسناد حسن[1] إلى قتادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، قولٌ كانت تقوله **اليهود** استهزاءً، فزجر اللَّه المؤمنين أن يقولوا كقولهم.

* * *

(١) الطبري (١٧٢٨).

• التنادي بأحب الأسماء •

ويستحب لك أن تنادي الناس وتدعوهم بأحب أسمائهم إليهم وأوقعها في أنفسهم، ولتعتقد ولتوقن أنك بذلك مثابٌ من اللَّه سبحانه وتعالى، ثم إن فعلك هذا يُحببك إلى خلق اللَّه عزَّ وجلَّ ويقربك من قلوبهم.

فاعمد إلى كل اسم محبوب إلى النفس وادع الناس به.

ألا ترى أن الملائكة تصعد بنفس المؤمن الطيبة «**فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا**»[1] .

أما الروح الخبيثة: «**فيقولون فلان ابن فلان بأقبح الأسماء التي كان يسمى بها في الدنيا**»[1].

هذا، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾ [الحجرات: ١١].

أي أنك إذا تنابزت بالألقاب تحولت من مؤمن إلى فاسق وبئس أن تتسمى بفاسق.

* * *

(١) انظر أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧) فهو مطوَّل هنالك وإسناده صحيح.

• مخاطبة الناس على قدر عقولهم •

• وهذا باب من الأهمية بمكان، فانظر إلى أفهام الأشخاص قبل أن تحدثهم، ولا تفتن الناس بحديثك، وانظر ماذا تريد منهم ومن ثمَّ وجِّه الخطاب بالقدر الذي يفهمونه ويتحملونه فحينئذ يُفهم عنك مرادك وتجاب إلى طلبك.

• أخرج البخاري[1] من حديث علي رضي اللَّه عنه، قال: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب اللَّه ورسوله**».

• وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود **رضي اللَّه عنه**، قال: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[2].

وها هو رسولنا ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع **العلوم دون** الآخرين:

• **ففي** «الصحيحين» [3] من حديث أنس بن مالك **رضي اللَّه عنه، أن** النبيَّ ﷺ ومعاذًا رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ بن جبل**»، **قال: لبيك يا** رسول اللَّه وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول اللَّه وسعديك (ثلاثًا)، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه صدقًا من قلبه إلا حرَّمه اللَّه على النار**»، قال: يا رسول اللَّه، أفلا أخبر به الناس

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم «في المقدمة» من طريق عبي اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة أن عبد اللَّه بن مسعود قال. فذكره «ترتيب محمد فؤاد ص ١١».

قلتُ: وإسناده منقطع، و«مقدمة مسلم» ليست على شرط «الصحيح».

(٣) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).

فيستبشروا، قال: «**إذًا يتّكلوا**»، وأَخْبَرَ بها معاذ عند موته تأثمًا[١] .

فانظر إلى قوله: «**إذًا يتّكـلوا**»، وفي الرواية الأخرى[٢] ألا أبشر الناس؟ قال: « **لا، إني أخاف أن يتكلوا**».

● ونحوه في «صحيـح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن النـبيَّ ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عـمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثـره، فقـال: يا رسول الـلَّه لا تفعل، فـإني أخشى أن يتكل الناسُ، فخلّهم يعملون، فقال: «**فخلّهم**»[٣] .

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يُفهم على غـير وجهه فـاتقه واجتنبه، وخـاصة إذا كان الناس سيـقعون في الضرر بسببه.

ولا يُجهر بكل كلام مع الناس:

● ففي «الصحيح» عن علقـمة قال: كنت مع عبد اللَّه فلقيـه عثمان بمنى فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي إليك حاجة فخليا[٤] .. الحديث.

فإذا كنت تريد من أحدٍ مسألة خاصة أو توجيـهًا خاصًا فلا تجهر بمسألتك ولا بنصيحتك أمام الناس ولكن أسرَّ إليه ما تريد. وقد أسرَّ النبيُّ ﷺ إلـى بعض أزواجه حديثًا

وأسرَّ رسول اللَّه ﷺ إلى فاطمة ابنته أيضًا بحديث[٥].

---

(١) أي خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، واللَّه أعلم.

(٢) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٣) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (حديث ١٤٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

• مراعاة حرمات الأوقات والأماكن وأقدار الناس •

• ولْتُـرَاعَى حـرمـاتُ الأوقات والأمـاكن ولْيـنظر إلى أقـدار الناس عند الخطاب فقـد قال اللَّه تبـارك وتعالى: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة:١٩٧].

• وقال علـيه الصلاة والـسلام: «**إذا كان يوم صـوم أحدكم فـلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم**»[١] .

• وقال عـمر لمن رفع صوته عـند مسجـد رسول اللَّه ﷺ: «ترفـعـان أصواتكما في مسجد رسول اللَّه ﷺ، ولو كنتما من هذه البلدة لأوجعتكما ضربًا».

• وقال سبحانه في شأن الحرم: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج:٢٥].

• وقال تعـالى للنساء عند حديثـهن مع الرجال: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب:٣٢].

• وقال للرجـال مع النساء: ﴿**وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [البقرة:٢٣٥].

• وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف:٢٠٤].

• وتقدم أيضًا قول الرسول ﷺ لأصغر الرجلين لما ذهب يتكلم: «.. كبِّر، كبِّر».

---

(١)البخاري (حديث ١٩٠٤)، ومسلم (ص ٨٠٧).

• خفض الصوت عند مخاطبة أهل الفضل •

• وقد قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

• وقال عروة بن مسعود الثقفي يصف صحابة رسول اللَّه ﷺ مع نبيهم عليه الصلاة والسلام فيقول... وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له... الحديث[1] .

• وقد قال لقمان لولده: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وكأن هذا كان معهودًا حتى عند أهل الكفر، فقد قال ـ أمية بن خلف وكان كافرًا ـ لسعد بن معاذ رضي اللَّه عنه لما رفع سعد صوته على أبي جهل: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأحيانًا يرفع الصوت لحاجة وقد قدمنا نماذج لذلك.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٥٠) من طريق عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، عن سعد بن معاذ، أنه قال: كان صديقًا لأميَّة بن خلف، وكان أميَّة إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أُميَّة، فلما قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل على أُميَّة بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم. أما واللَّه لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ: أما واللَّه لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشدُّ عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعدٌ: دعنا عنك يا أميّة، فواللَّه لقد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنهم قاتلوك». قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك أميَّةُ فزعًا شديدًا. فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أمَّ صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ =

• ولا تعد الكلام المذكر بالأسى والحزن •

فإعادة الكلام الذي يذكر بالأسى والألم لا تستحب، فانظر إلى هذا الجواب من وحشي بن حرب قاتل حمزة بعدما أسلم وقدم على رسول اللَّه ﷺ فسأله رسول اللَّه ﷺ فقال له: «**آنت وحشي؟**» قال: نعم، قال: «**أنت قتلت حمزة؟**» قال: قد كان من الأمر ما بلغك[1].

فلم يُعدْ وحشي ذكر القتل على مسامع رسول اللَّه ﷺ بل قال على وجه الإجمال: قد كان من الأمر ما بلغك.

وبنحو هذا أجاب الأنصار لما تكلم بعضهم في قسمة رسول اللَّه ﷺ غنائم حنين فدعاهم رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ما الذي بلغني عنكم؟**»[2]، وكانوا لا يكذبون فقالوا: هو الذي بلغك..

فالكلام المؤذي الذي يُذكِّر بالمآسي والآلام لا يُعاد ولا يكرر، أما الكلام الطيب فيعاد ويكرر إذ السامع يحب ذلك ويرغب فيه، ومن ثمَّ قال بعضُ المفسرين لما طُرح سؤالٌ في قول زكريا ﷺ: ﴿**فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا**﴾ [مريم:٥] فلما بُشِّر قال: ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**﴾ [مريم:٨]،

= قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتليَّ. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري. فقال أمية: واللَّه لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فواللَّه لأشترين أجود بعير ثم قال: يا أم صفوان جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا، فلما خرج أميَّة أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله اللَّه عزَّ وجلَّ ببدر».

(١) البخاري (٤٠٧٢).
(٢) البخاري (٣٧٧٨).

فكيف سأل ـ وقد سأل وهو كبير بدلالة قوله: ﴿**إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ [مريم: ٤] ولما بُشر، قال: ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ**﴾ [مريم: ٨] أي: كيف سأل ولِمَ تعجب من الإجابة لما أُجيب؟!

فأجاب بعض المفسرين بأجوبة منها: أنه سأل كي يُعاد عليه التبشير بالغلام، وهذا مما يُسعد ويسرُّ، والله أعلم.

* * *

• الأدب فيما يُنقل عن الله سبحانه وتعالى •

ويجب أن يتأدب الشخص فيما ينقله عن ربه سبحانه وتعالى، فينسب إليه كل طيب وجميل، ويحترز الشخص في ألفاظه في هذا الباب غاية الاحتراز.

وأسوق نماذج وأمثلة أوضح منها مرادي، وما توفيقي إلا بالله:

• يقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨١].

فانظر إلى قوله: «يهدين ويطعمني ويسقين ويشفين...» فنسب كل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ولكنه لما جاء إلى المرض نسبه إلى نفسه فقال: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ**﴾ مع أن الله قال: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [التغابن: ١١]، ولكن تأدبًا من الخليل إبراهيم عليه السلام نسب الخليل المرضَ إلى نفسه.

• ونحو ذلك قول الخضر لموسى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ [الكهف: ٧٩] فألصق عيب السفينة بنفسه، ولكن جاء عند ذكر الجدار فقال: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ**﴾ [الكهف: ٨٢].

• ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**».

وانظر إلى هذه الدقة التي تنم عن إيمان بالله عزَّ وجلَّ:

• فحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه رجل مسلم مهاجري بدريٌّ هاجر من مكة إلى المدينة ثم إن الرسول ﷺ أراد أمرًا بأهل مكة فأرسل حاطب

رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بأمر رسول اللَّه ﷺ فأطلع اللَّه نبيه ﷺ على أمر هذه الرسالة فسأل حاطب: «**ما حملك على ما صنعت؟**» فانظر إلى ردِّ حاطب رضي اللَّه عنه، وهو يقول: واللَّه ما بي أن لا أكون مؤمنًا باللَّه ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع اللَّه بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع اللَّه به عن أهله وماله»[1] .

فانظر إلى دقته في قوله: «يدفع اللَّه بها عن أهلي ومالي» فاعجب من معرفته باللَّه، فليست اليد وليس المعروف الذي يصنعه حاطب بأهل مكة هو الذي يدفع الشر عن أهله وماله، بل يدفع اللَّه بهذا المعروف.. فحقًا إنه مؤمن مع ما قد صدر منه وبَدَرَ.

● ومن الجهل أن تهزأ بأوامر اللَّه أو أن تنقل خطأ ولو على سبيل المزاح ـ عن اللَّه عزَّ وجلَّ ـ أو عن رسوله ﷺ.

فليس هذا من شيم الفضلاء ولا من شيم الأتقياء، بل هو من شيم الجهلاء الأغبياء.

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**﴾ [البقرة:٢٣١].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [البقرة:٦٧].

* * *

---

(١) البخاري (٣٩٨٣).

• لفت نظر المخاطب وجذب انتباهه لاستماع الحديث •

وهذا يُحتاج إليه في كثيرٍ من الأحيان، وخاصة في الأمور الهامة التي يُراد التنبيه عليها أو التحذير منها أو السؤال عنها.

ولذلك طرق، منها ما يلي:

جذب الانتباه بإثارة سؤال وطرحه:

• كقول اللَّه تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾ [الكهف: ١٠٣].

فيشتاق القارئ والسامع إلى من هم الأخسرون أعمالاً.

فيقول سبحانه: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٤].

• وكذلك قوله تعالى: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

وقد فعل ذلك أيضًا رسولُ اللَّه ﷺ:

• ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ مر بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته[2]. فمر بجدي أسك[3] ميِّت. فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: واللَّه، لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٥٧).

(٢) كنفته أي جانبه.

(٣) الأسك هو صغير الأذن.

ميّت؟ فقال: «**فواللَّه للدنيا أهون على اللَّه من هذا عليكم**».

فانظر كيف لفت رسول اللَّه ﷺ نظر أصحابه وجذب انتباههم ثم بين لهم حقارة الجدي الميت، ومن ثمَّ حقارة الدنيا حتى يزهدوا فيها.

- **ومن جذب الانتباه ولفت النظر بطريقة السؤال أيضًا:**

قول النبي ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**»[١].

ثم يجيب الرسول ﷺ بعد ذلك على هذا وقد اشتاقوا إلى معرفة الجواب فيرسخ الجواب في أذهانهم وتثبت الموعظة في قلوبهم بإذن اللَّه.

ومن ذلك قول النبيِّ ﷺ، وقد قال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول اللَّه أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟**» قال: «**فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[٢].

- **ومن ذلك:** قول مسروق لعائشة رضي اللَّه عنها، لما قالت له: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على اللَّه الفرية، قال: وما هن؟ قالت من زعم أن محمدًا رأى ربَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني[٣]..ثم ذكر ما أراد رحمه اللَّه.

- **ومن ذلك:** قول النبيِّ ﷺ: «**أرأيت إن أخذ اللَّه الثمرة؟ فبم يستحل أحدكم مال أخيه**»[٤].

وأحيانًا يطرح الشخص سؤالاً هو يعلم إجابته سلفًا، ولكن هذا الطرح

(١) مسلم (حديث ٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٢) مسلم (٢/٤٣) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه.
(٣) مسلم (حديث ١٧٧).
(٤) البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

لإفهام الجالسين وتعليمهم، فقد جاء جبريل وسأل رسول اللَّه ﷺ جملة مسائل ليعلم الناس أمر دينهم كما في «صحيح مسلم» [١] من حديث عمر رضي اللَّه عنه الذي فيه: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر.. الحديث. وفيه: أن النبي ﷺ قال لعمر: «**أتدري من السائل؟**» قال: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

ومن ذلك جذب الانتباه ببيان عظيم الأجر وجميل الثواب أو عظم الذنب وكبير الإثم، وذلك قبل بيان الفعل حتى يجذب المستمع والمخاطب ويتشوق إلى سماع هذا الشيء الذي به يُنال الثواب أو يُدرأ العقاب.

ومن ذلك ما يلي:

● قوله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» فيسأل أبو ذر رضي اللَّه عنه: من هم يا رسول اللَّه؟ ويشتاق أبو ذر إلى معرفتهم فيخبره بهم رسول اللَّه ﷺ فيقول: «**المُسبل والمنَّان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**»[٢].

ومن ذلك تكرير التحذير وتكرير الترغيب والوصية [*]:

● فقد قال النبيُّ ﷺ: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**»[٣] فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته يسكت.

---

(١) مسلم (حديث ٨). (٢) مسلم (حديث ١٠٦).

(*) وسيأتي في تكرير الحديث باب أوسع إن شاء اللَّه.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٨٧)، ومسلم (حديث ٨٧) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

● ومنه: قــول النبيِّ ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه**»(١) .

ومن ذلك رفع الصوت الزائد إن احتيج إليه:

● فقد كان النبي ﷺ في سفر ورأى الصحابة يتوضئون ومنهم من يُقصِّر في غســل الرجلين إلى الكعبين فنادى بأعلى صوته: «**ويلٌ للأعــقــاب من النار**»(٢) مرتين أو ثلاثًا.

ومن ذلك طلب الإنصات من الناس:

● فقد قال النبي ﷺ لجرير في حجة الوداع: «**استنصت الناس**» ثم قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**»(٣) .

● ومن ذلك التثبت من الشخص بشأن ما نُقل عنه قبل عتابه وتوبيخه فقد قــال النبي ﷺ لعبد اللَّه بن عـمرو بن العاص: «**ألم أُخبـر أنك تصوم الدهر وتقرأ القـرآن كل ليلة**» قال عبد اللَّه: فقلت: بلى يا نبي اللَّه، ولم أُرد بذلك

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٥)، ومسلم (حديث ٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، مرفوعًا وقوله: «سيورثه» أي يجعل له نصيبًا من الميراث، وذلك بأمر اللَّه عزَّ وجلَّ.

(٢) البخاري (حديث ٦٠)، ومسلم (حديث ٢٤١) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: تخلّف عنا النبي ﷺ في سفرةٍ سافرناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: «ويلٌ للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٢١)، ومسلم (حديث ٦٥) من حديث جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي اللَّه عنه، قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: «استنصت الناس...» الحديث.

إلا الخير، قال: «**فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام..**» الحديث[1] .

• وفي الباب قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦].

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٥)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

• ولا تجلب على الناس شروراً بحديثك •

• قال يعقوب ﷺ ليوسف عليه السلام: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

• وقال النبي ﷺ لما سُحِرَ وكشف اللَّه ما به من ضُرٍّ: «.. أما واللَّه فقد شفاني وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شراً»(١) .

* * *

• ولا تجهر بالسوء من القول •

• قال اللَّه تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨].

وذلك - واللَّه أعلم - لأن الجهر بالسوء من القول يساعد على نشر السوء وتفشيه ويساعد أيضًا على نشر الرذيلة، وفحوى ذلك على وجه الإيجاز أنك إذا سمعت قومًا يتحدثون أن فلانًا قد زنى فإنك تستنكر ذلك وتبغض هذا الزاني، ثم إن سمعت بعد مدة أن فلانًا ما قد زنى بمحرمه هان عليك أمر الزاني الأول وتحولت كراهيتك للزاني بمحرمه، ثم إن سمعت بعد ذلك وانتشر في الناس أن فلانًا ما قد زنى بامرأة على قارعة الطريق أمام المارة نسيت أمر من زنى بمحرمه واتجهت لإنكار ما فُعل أخيرًا، وهكذا تهون الخطوب بكثرة ذكرها والخوض فيها.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه كان في بلدة صغيرة، قرية من القرى، لا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (حديث ٢١٨٩) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

يكاد الخمر يُعرف فيها فإذا سمعوا أن فلانًا ما قد شرب خمرًا أبغضه جميع أهل القرية، فلما انتقل إلى مدينة كبرى ووجد الخمر تباع في الطرقات والحديث عنها متفشيًا قلَّت كراهيته لشارب الخمر، وهكذا! فالحديث في المحرمات يهونها. فمن ثم كره السوء من القول.

لكن من ظلم له أن ينتصر بقدر مظلمته مع أن عفوه أولى له من الانتصار، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

• وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

• وقد تقدم حديث رسول اللَّه ﷺ: «**فليقل خيرًا أو ليصمت**» فهذا أيضًا يمنع من نشر السوء وبثه، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

• ولا تعود لسانك على اللعن والسباب والشتائم •

فإن اللعن سبب لدخول النار.

• ففي «الصحيح» أن النساء قلن: .. وما لنا يا رسول اللَّه أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن**[١] **وتكفرن العشير...**».

• **واللعانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**[٢] كما قال النبي ﷺ.

---

(١) مسلم (حديث ٧٩) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.
(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٨).

وقال تعالى: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

ولا تروِّع المؤمنين ولا تفزعهم بكلماتك، فإن النبي ﷺ نهى عن ترويع المؤمن [1] بل وأذهب عنهم ما يعتريهم من خوف وفزع وقلق، قال الملائكة لإبراهيم عليه السلام ـ لما قال لهم ـ : ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: ٥٢] قالوا: ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: ٥٣].

فكم من مزَّاحٍ يمزح بالكذب ويُدخل الرُّعب على إخوانه ويحسب أنه يُحسن صنعًا، وهو من الآثمين!!

فاحرص على أن يسلم المسلمون من لسانك فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[2] .

* * *

(١) أخرج أبو داود (٥٠٠٤) وأحمد (٥/ ٣٦٢) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبلٍ معه فأخذه ففزع فقال النبي ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».
وعند الترمذي (٢١٦٠) بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال: «لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا أو جادًا فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه».

(٢) البخاري (حديث ١٠) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعا.

• ولا تسبق الكبير بالحديث والكلام •

فللكبير حقٌ.

• وقد قال النبي ﷺ: «**ليس منَّا من لم يعرف حق كبيرنا**».

• ولما جاء حويِّصة ومحيِّصة إلى رسول اللَّه ﷺ وذهب محيصة يتكلم قال له النبي ﷺ: «**كبِّر كبِّر**» يريد السن، فتكلم حويِّصة ثم تكلم مُحيِّصة[١].

• وفي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فسكت**» قال النبي ﷺ: «**هي النخلة**».

• فانظر إلى قوله: «فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ»!!

• وفي رواية أخرى: «فجعلت أُريد أن أقولها فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم».

• وفي «صحيح مسلم» من حديث سمرة بن جندب[٣] قال: لقد كنت على عهد رسول اللَّه ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه «فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً أسنَّ مني».

* * *

---

(١) أخرج ذلك البخاري (حديث ٧١٩٢).

(٢) البخاري (حديث ٧٢)، ومسلم (حديث ٢٨١١).

(٣) مسلم (ص ٦٤٤).

• وأعرض عن الجاهلين •

فلا ينبغي للعاقل الحليم الرشيد أن يقابل الجاهل بجهل ولا أن يؤاخذه بقوله.

• فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

• وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣].

• وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر وكان القُرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمرُ فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فواللَّه ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين إن اللَّه قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، واللَّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافًا عند كتاب اللَّه».

وانظر إلى تصرف النبي ﷺ مع هذا الأعرابي الجاهل الذي بال أمام الناس في المسجد:

• أخرج البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قام

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٤٢).
(٢) البخاري (حديث ٢٢٠).

أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناوله الناس فقال لهم النبيُّ ﷺ: «**دعوه، وهريقوا على بوله سجلًا**[1] **من ماء، أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

• وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه: «أن النبي ﷺ رأى أعرابيًا يبول في المسجد فقال: «**دعوه**»، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه»[3] .

* * *

(١) السجل هو الدلو الواسع الضخم.

(٢) البخاري (حديث ٢١٩)، ومسلم (حديث ٢٨٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١/ ٣٢٥): وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه.

• الحزم في مواقف •

وإذا كنت على حق واضح فلا تطمع عدوك فيك بضعف ألفاظك، فيطمع فيك عدوك، ولكن احـزم أمرك، واقطع على خصمك طمعـه في زجزحتك عن الحق.

• **فمن هذا الباب:** قول سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [طه: ٧٢].

• **ومن هذا البـــاب:** قـوله تعـالى: ﴿**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٥].

• **ومن ذلك:** قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ**﴾ [الحج: ١٥].

• **ومن ذلك:** ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: قدم مسيلمة الكذَّاب على عهد رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقـدمها في بشرٍ كثير من قومه، فأقبل إليه رسـول اللَّه ﷺ ومعه ثابت بن قيس بـن شمَّاس وفي يد رسول اللَّه ﷺ قطعة جريد حـتى وقف على مُسيلمة في أصحـابه، فقال: «**لو سـألـتني هذه القطعة مـا أعطيتكهـا، ولن تعدو أمر اللَّه فـيك، ولئن أدبرت ليعـقرنك اللَّه، وإني لأُراك الذي أُريتُ فيه ما رأيت، وهذا ثابت يُجيبك عني**» ثم انصرف عنه قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول اللَّه ﷺ: إنك أرى الذي أُريت فيه ما أُريت، فأخبـرني أبو هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قـال: «**بينمـا أنا نـائمٌ رأيت في يديّ**

سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إليَّ في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي، أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة»[(١)] .

ومن صور الحزم أيضًا وبيان تمام الصدق وكمال التحدي:

• قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١].

• وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥].

أو من كان غارقًا في الضلالة منا أو منكم فزاده الله ضلالاً إلى ضلاله وأمده الله مما هو فيه.

• ومن صور القوة في التحدي: قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

• وإبرهيم الخليل عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٣٧٣)، ومسلم (حديث ٢٢٧٣).

• ولصاحب الحق مقال •

فليُتحمل صاحب الحق إذا صدرت منه كلمة لا تليق بالمقام.

• ففي «الصحيح»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً تقاضى رسول اللَّه ﷺ فأغلظ له فهمَّ[2] به أصحابه فقال: **«دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً[3] واشتروا له بعيرًا فأعطوه إيَّاه»**، وقالوا: لا نجد إلا سنًا أفضل من سنه، قال: **«اشتروه فأعطوه إيَّاه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً»**.

فليتحمل صاحب الحق، بل ويُقر المحق على قوله ويُسلِّم له بحقه ولا يُجادل، وهذا باب نافع قاطع للشر ومانع للفساد ومُزيل للكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس، ولهذا الباب أدلة متعددة من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ.

• فمن صور إقرار المحق على قوله: قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾ [البقرة:٢١٧].

• وقول النبي ﷺ لما جاء عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية وتعرض له المغيرة بن شعبة بعض التعرض، فقال له عروة: يا غُدَر ألست أسعى في غَدْرَتِكَ، وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، فقال الرسول ﷺ: **«أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في**

---

(١) البخاري (حديث ٢٣٩٠).

(٢) قوله: «فهمَّ به أصحابه» أي: أراد أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل، لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ.

وقوله: «فإن لصاحب الحق مقالاً» أي: صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع.

(٣) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

شيء»[١].

واقرأ هذه المناقشة والمجادلة والمداخلة التي دارت بين أبي هريرة وبين ابن سعيد بن العاص:

● أخرج البخاري في «صحيحه»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها، قلت: يا رسول اللَّه أسهم لي، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لا تُسهم له يا رسول اللَّه، فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قوقل، فقال ابن سعيد بن العاص: واعجبًا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأنٍ ينعى عليَّ قتل رجل مسلمٍ أكرمه اللَّه على يديَّ ولم يُهنِّي على يديه..

فاعجب من قوله: أكرمه اللَّه على يديّ ولم يُهنِّي على يديه!!

فأبو هريرة رضي اللَّه عنه جاء يطلب من رسول اللَّه ﷺ أن يجعل له سهمًا من غنيمة خيبر، وابن سعيد بن العاص جالس فقال: لا تسهم له يا رسول اللَّه، فحينئذ ذكر أبو هريرة رضي اللَّه عنه شيئًا عما فعله هذا الرجل قبل إسلامه من قتل ابن قوقل فأجاب الرجل إجابة حسنة بقوله: ينعى عليَّ قتل رجل مسلمٍ أكرَمَه اللَّه على يديَّ ولم يهني على يديه، أي يعيرني بقتل رجل مسلم أكرمه اللَّه على يدي بالشهادة في سبيل اللَّه فدخل الجنةَ بسببي، ولم يُهنِّي اللَّه بالموت على الكفر على يد هذا الرجل الذي استشهد!!.

أما قوله: «واعجبًا لوبر» فالوبر: حيوان يشبه السنور أو القط، أما قوله: «قدوم ضأن»: كأنه يقول من رأس جبل، ومراده من ذلك: أن أبا هريرة

(١) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٢) البخاري (حديث ٢٨٢٧).

رضي اللَّه عنه ليس من قريش، وجاء يتدخل في الشئون ويثير ما ليس له أن يثيره[١] ، واللَّه أعلم.

وهذا يجرنا إلى موضوعنا، وهو الإقرار بالخطأ والتماس وجه الاعتذار إن كان ثمَّ اعتذار.

فالرجل قتل ابن قوقل، واعترف بذلك، لكنه أيضًا بين ما للَّه سبحانه من فضل في ذلك، وهذا مما يهوِّن الخطأ.

• وهذا نبي اللَّه موسى ﷺ قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها ثم خرج من مصر إلى مدين ثم رجع إلى مصر بعد ذلك، وقد كلَّمه ربُّه وآتاه اللَّه النبوة وشرفه بالرسالة فقدم إلى فرعون يدعوه إلى اللَّه ويطلب منه أن يرسل معه قبيلته التي هي بنو إسرائيل - فذكره فرعون، بل وعيَّره فرعون بفعلته التي هي قتل النفس، فقال فرعون لموسى: ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الشعراء:١٩] فما كان من موسى إلا الاعتراف بذلك فقال: ﴿**قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٠ ، ٢١].

فاعترافك وإقرارك بالخطأ لا يجعل لخصمك عليك سبيلاً، ثم إنه يُوقف الجدل في باب قد يفتح ويستمر، ثم إنك قد تلتمس عفو الناس بعد عفو اللَّه بإقرارك بالخطأ واعترافك به.

* * *

(١) ونقل الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٨/ ٤٩٢) عن الخطابي قوله: أراد أبان تحقير أبي هريرة وأنه ليس بقدر من يشير بعطاء ولا منع وأنه قليل القدرة على القتال ونقل ابن التين عن أبي الحسن القابسي أنه قال: معناه: أنه ملصق في قريش لأنه شبهه بالذي يعلق بوبر الشاة من الشوك وغيره..

• تحمّلُ كلماتِ أهل الفضل •

وكذلك إذا صدر من أهل الفضل قـول ظننت أن فيه نوعًا من أنواع الأذى فتحمله، فأهل الفضل لا يريدون لك إلا الخير.

• فقد تحمل هارونُ عليه السلام موسى ﷺ لما أخذ برأسه يجرُّه إليه، قال اللَّه عزَّ وجلَّ في شأن موسى عليه السلام: ﴿**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿**قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي**﴾ [طه: ٩٤].

• ووصف موسى رسولَ اللَّهِ محمدًا ﷺ بأنه غلام، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ وفيه: «**فأتيت على موسى فسلَّمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أُمَّتي**».

• ولما قال أبو عبيدة لعمر رضي اللَّه عنهما: أفرارًا من قدر اللَّه؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة[٢] ؟!! فتحملها عمر من أبي عبيدة.

• وتحمل عمر[٣] مقولة أزواج رسول اللَّه ﷺ لما قلن له: «أنت أفظُّ وأغلظ من رسول اللَّه ﷺ».

* * *

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (حديث ١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

(٣) البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).

• إعادة الحديث وتكراره •

وإذا احتاج من أمامك إلى إعادة الحديث فعليك بالإعادة حتى يفهم عنك مرادك، ورأى بعض أهل العلم أن منتهى ذلك ثلاثًا، ورأى آخرون أنه لا مانع من الزيادة على الثلاث إذا لم يفهم من تخاطبه إلا بذلك، وإن كان أغلب الوارد عن رسول اللَّه ﷺ أنه يكرر ثلاثًا إذا احتاج الأمر إلى ذلك.

• ففي «الصحيح»[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[2].

قال ابن التين: فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان.

• **قلتُ:** وقد نادى النبي ﷺ بأعلى صوته: «**ويل للأعقاب من النارِ**» مرتين أو ثلاثًا[3].

• **ومن إعادة الكلام وتكريره لتأكيده:** ما أخرجه مسلم[4] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه في قصة مجيء وفد عبد القيس إلى رسول اللَّه ﷺ وقول النبي ﷺ لهم: «**وأنهاكم عن أربع عن الدُّبَّاء والحنتم، والمُزفَّت**»،

---

(١) البخاري (حديث ٩٥).
بوب البخاري لهذا الحديث بباب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها، وقال ابن عمر قال النبي ﷺ: «هل بلَّغت» ثلاثًا.

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى: نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة وعده من البلادة قال: والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائن فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرةٍ إذا استعاد ولا عذر للمفيد إذا لم يُعد بل الإعادة عليه آكد من الابتداء لأن الشروع مُلزِم.

(٣) البخاري (حديث ٩٦)، وانظر مسلم (ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥).

(٤) مسلم (حديث ١٨).

وفي الحديث أنهم قالوا: ففيم نشرب يا رسول اللَّه؟ قال: «**في أسقية الأدم**[1] **التي يُلاث** [2] **على أفواهها**».

قالوا: يا رسول اللَّه، إن أرضنا كثيرة الجرذان[3] ، ولا تبقى بها أسقية الأدم فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان**» قال: وقال نبي اللَّه ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما اللَّه: الحلم والأناة**».

فنهاهم الرسول ﷺ عن الانتباذ في النقير، وهو جذع النخلة الذي يُنقر من وسطه ويطرح فيه الماء والتمر فيحصل بذلك تخمر ويؤول الشراب إلى الخمر، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وسد الذريعة الموصلة إلى ذلك بنهيه عليه الصلاة والسلام عن الشرب من هذه الأوعية التي تسرع بالشراب إلى التخمر، فسألوه: ففيم نشرب يا رسول اللَّه؟ قال: «**في أسقية الأدم التي يُلاث على أفواهها**» أي في القرب من الجلد التي يُربط على أفواهها، فتعللوا بأن الفئران تأكلها إذ بلادهم كثيرة الفئران فقال رادًا عليهم ومكررًا: «**وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ لأسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللَّه؟**» قال أسامة: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[4] .

---

(١) الأدم جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ.

(٢) يلاث على أفواهها: أي يربط على أفواهها.

(٣) الجرذان: الفئران الذكور.

(٤) مسلم (ص ٩٧).

وقد وردت روايات يُستفاد منها الاقتصار على الثلاث فمن ذلك ما:

• أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أعطى رهطًا، وسعد جالس ـ فترك رسول اللَّه ﷺ منهم من لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ، فقلتُ: يا رسول اللَّه، مالك عن فلان؟ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مسلمًا**» قال: فسكتُّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلتُ: يا رسول اللَّه، ما لك عن فلان؟ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مسلمًا**» قال: فسكتُّ قليلاً، ثم غلبني ما علمتُ منه ، فقلتُ: يا رسول اللَّه، مالك عن فلان؟ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مسلمًا، إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه، خشية أن يكب في النار على وجهه**».

• وفي «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه، قال[٢]: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمومًا، فقال: أقلني، فأبى ـ ثلاث مرار ـ قال: «**المدينة كالكير تنفي خبثها وينْصَعُ طيبُها**».

• ومن حجج القائلين بجواز الزيادة على ثلاث إن استدعى المقام ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ [المرسلات: ١٥] في سورة واحدة مرات كثيرة متعددة.

• وكذلك في قوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: ١٣].

• وقد قال قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ**

(١) البخاري (حديث ٢٧)، ومسلم (١٥٠).

(٢) البخاري (حديث ١٨٨٣)، ومسلم (حديث ١٣٨٣).

جدالنا﴾ [هود: ٣٢].

• وأيضًا فقد كرر النبي ﷺ مقالته: «**ألا وقول الزور**» حتى قال الصحابة: ليته سكت[1].

فالذي يظهر أن التكرير بحسب حال السائل والمخاطب وبحسب المسألة التي يراد التنبيه عليها وأهميتها، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) البخاري (حديث ٥٩٧٦)، ومسلم (حديث ٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا.

• ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشـــاء الله •

فهكذا أمرنا ربُّنا سبحانه وتعالى.

• وقد أكثر ﷺ من قول ذلك:

ففي «الصـحيح»[١] من حديث عبد اللَّه بن عـمرو، قال: لما كان رسول اللَّه ﷺ بالطائف قال: «**إنا قافلون غداً إن شاء اللَّه..**» الحديث.

• وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا أن عتبان بن مالك قال: كنت أصلي لقومي فـأتيتُ النبي ﷺ فقلتُ: إني أنكرت بصري، وإن السـيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فوددت أنك جئت فـصليت في بيتي مكانًا حتى أتخذه مصلى فقال: «**أفعل إن شاء اللَّه..**».

• وفي «الصـحيـحين»[٣] كذلك من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ حين أراد قدوم مكة: «**منزلنا غداً إن شاء اللَّه بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**».

وغير ذلك كثيـر، فامتثل أمر ربِّك: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

ولا تكل قـوتك إلى نفـسك بل احذر من ذلك وَرُدَّ الأمـر والمشـيئـة للَّه سبحانه.

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٨٦)، ومسلم (حديث ١٧٧٨).

(٢) البخاري (حديث ٨٤٠).

(٣) البخاري (حديث ١٥٨٩)، ومسلم (ص ٩٥٣).

• فإبراهيم إمام التوحيد عليه السلام يقول: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

فمع كونه إمامًا للتوحيد إلا أنه يحترز بقوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

• وكذلك قال شعـيب عليه السلام: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

* * *

• ولا تحجّر واسعًا •

فإذا وُسع عليك في شيء فلا تضيق على نفسك.

فإن اللَّه سبحانه وتعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، ولو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، ولكنهم شددوا فُشدد عليهم، فقالوا لموسى عليه السلام: ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ**﴾ [البقرة:٦٨]، ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا**﴾ [البقرة:٦٩]، ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾ [البقرة:٧٠]، وفي كل ذلك يجلبون على أنفسهم أنواعًا من المشقة والعنت.

فإذا كان مَن أمامك يوسع عليك في الاختيار فلا تضيق على نفسك.

إذا قال لك من أمامك: ائتني في أي وقت شئت، فلا تقل له: لا بل سآتيك في موعد كذا فقط.

إذا قال لك: خذ ما شئت، فلا تسأله عن جزيئات تضيق بها على نفسك ما دامت أخذ هذه الجزيئات لن يشق على صاحبك ولن يضيره ولا يكره ذلك منك ونحو هذا.

فلا تحجر واسعًا كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد حجَّرت واسعًا**» يريد رحمة اللَّه[1] .

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٠١٠).

• ولا تكثر من الحلف والأيمان في خطابك مع الناس •

فالإكثار من الحلف شأن أهل الكفر والنفاق ليتستروا وراء أيمانهم.

- قال اللَّه تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠].
- وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٢].
- وقال تعالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ولكن إذا دعت الحاجة إلى اليـمين فليكن ذلك بقدر، وإن لم يطلب منك وذلك لنفي تهمة أو لتثبيت حكم أو لبيان مودة ومحبة ونحو ذلك.

* * *

• وأحيانًا يقسم الشخص قبل كلامه ليطمئن من أمامه •

• فقد جاء خصمان إلى رسول اللَّه ﷺ يطلبان قضاءه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللَّه**»[١] .

• وكذلك لما سرقت المخزومية قال النبيُّ ﷺ: «**وايمُ اللَّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[٢] .

وإذا أقسمت فلتكن أيمانك كأيمان رسول اللَّه ﷺ.

• وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من كان حالفًا فليحلف باللَّه أو ليصمت**»[٣] .

• ومن أيمان رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده**»[٤]، و«**مقلب القلوب**»[٥].

فقولك: «ومقلب القلوب» فضلاً عن أنه يمينٌ باللَّه وقد أقسم به رسول اللَّه ﷺ، فإنه يحمل أيضًا تذكيرًا بأن اللَّه يقلِّب القلوب، فحينئذ تسأل اللَّه أن يثبت قلبك على الإيمان، وتُذكِّر من أمامك بذلك.

• وأخرج البخاري ومسلم[٦] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من حلف على يمين صبر**[٧] **يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي اللَّهَ وهو عليه غضبان**» قال: فدخل الأشعث بن قيس

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم (حديث ١٦٩٧، ١٦٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٨)، ومسلم (حديث ١١/ ١٨٧).

(٣) البخاري (حديث ٦٦٤٦)، ومسلم (حديث ١٦٤٦)، من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما.

(٤) البخاري (حديث ٦٦٣٢). (٥) البخاري (حديث ٦٦٢٨).

(٦) البخاري (حديث ٦٦٧٦)، ومسلم (حديث ١٣٨).

(٧) يمين الصبر هي اليمين التي يحبس الحالف نفسها عليها، وتسمى اليمين الغموس.

فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا. قال: صدق أبو عبد الرحمن، فيَّ نزلت: كان بيني وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إلى النبي ﷺ، فقال: «**هل لك بيِّنةٌ؟**» فقلت: لا، قال: «**فيمينه**» قلتُ: إذن يحلف، فقال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك: «**من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي اللَّهَ وهو عليه غضبان**» فنزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية.

وينبغي أن ينقطع الحديث بعد تقديم الأيمان: ويوكل ما وراء ذلك إلى اللَّه سبحانه وتعالى فهذا نبي اللَّه عيسى ﷺ رأى رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا واللَّه الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت باللَّه وكذبت عيني[1].

(١) البخاري (حديث ٣٤٤٤) ومحل هذا فيما يتعلق بحق عيسى عليه السلام نفسه، ومع ذلك فأرى من الأنفع أن أورد أقوال العلماء في هذا الحديث قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) : قال ابن التين: قال عيسى ذلك على المبالغة في تصديق الحالف، وأما قوله: «وكذبت عيني» فلم يرد حقيقة التكذيب، وإنما أراد كذبت عيني في غير هذا، قاله ابن الجوزي: وفيه بعد، وقيل: إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين فكيف يكذب عينه ويصدق قول المدعي؟ ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله، فلما حلف له رجع عن ظنه، وقال القرطبي: ظاهر قول عيسى للرجل: «سرقت» أنه خبر جازم عما فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالاً من حرزه، في خفية، وقول الرجل: كلا، نفي لذلك ثم أكده باليمين، وقول عيسى: «آمنت باللَّه وكذبت عيني» أي: صدقت من حلف باللَّه وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء، قال: ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه بقوله سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ كثير انتهى.
واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه ﷺ بأن عيسى رأى رجلاً يسرق، احتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضًا بهذا الجزم بعينه، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض، وقد تعقبه =

• لا تكثر من الإلحاح على الأشخاص •

فإنك تسبب لنفسك حرجًا وتسبب للآخرين حرجًا كذلك.

فإن هم أعطوك أعطوك عن غير طيب نفس ولم يبارك لك فيما أخذت.

وإن هم منعوك أُحرجوا أيضًا لمنعك وأُحرجت أنت الآخر كذلك.

وقد يعطونك من الوعود أمام إلحاحك ما لا يفون لك به فتؤثمهم وتأثم.

وأسوق لك واقعة وكيف أكثر صحابيٌّ فيها من الكلام مع رسول اللَّه ﷺ وكيف تصرفت عائشة رضي اللَّه عنها مع هذا الصحابي رضي اللَّه عنهم أجمعين:

• أخرج البخاري[١] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: «لما جاء قتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد اللَّه بن رواحة جلس النبيُّ ﷺ يُعرف فيه الحزن - وأنا أطَّلع من شق الباب - فأتاه رجل فقال: يا رسول اللَّه إن نساء جعفر - وذكر بكاءهن - فأمره بأن ينهاهن، فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نهيتهن، وذكر أنهم لم يطعنه، فأمره الثانية أن ينهاهن، فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نهيتهن، وذكر أنهم لم يطعنه، فذهب ثم أتى فقال: واللَّه لقد غلبنني - أو غلبننا - فزعمت أن النبي ﷺ قال: «**فاحث في أفواههن التراب**» فقلتُ: أرغم اللَّه أنفك، فواللَّه ما أنت بفاعل، وما تركت رسول اللَّه ﷺ من العناء».

= ابن القيم في كتابه: «إغاثة اللهفان» فقال: «هذا تأويل متكلف، والحق أن اللَّه كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبًا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قلتُ: وليس بدون تأويل القاضي في التكلف، والتشبيه غير مطابق، واللَّه أعلم.

(١) البخاري (حديث ١٣٠٥).

• ولا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله •

فهـذا عارٌ عليك عظيم، عـارٌ عليك أن تأمر الـناس بأمرٍ ولا تفعـله عارٌ عليك أن تنهى الناس عن شيء وتقع فيه.

فإنك إن فعلت كـنت مجالاً للسخرية، ومـحطًا لازدراء من حولك بك، ثم إنك تجلب لنفسك سخط الرب عزَّ وجلَّ.

• قال اللَّه تـعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

• وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: ٨٨].

• وقال تعـالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

• ونورد هنا بعض أشعار السابقين، فمنها:

ما نسب إلى منصور الفقيه وفيه:

إن قـومًـا يأمـرونـــا ... بالـذي لا يفــعـلونـــا

لمجـــانين وإن هـــم ... لم يكونوا يصرعـونـــا

• وقال أبو الأسود الديلي:

لا تنـه عن خلـقٍ وتأتـي مـثـلـه ... عـــارٌ علـيك إذا فــعلت عـظيم

وابدأ بنفـسك فانهـها عن غـيِّهـا ... فـــإن انتـهت عـنه فـأنـت حكيم

فهنـاك يُقبل إن وعظت ويُقـتدى ... بالقـول مـنـك وينفـع التـعـليم

• هذا كله فضلاً عن قول رسول اللَّه ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهلُ النارِ عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[1] .

• وذمَّ النبي ﷺ الخُلُوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه مسلم في «صحيحه»[2] : «ما من نبي بعثه اللَّه في أُمَّة قبلي إلا كان له من أمَّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٦٧) من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما.
(٢) مسلم (ص٧٠) وهو حديث (٥٠) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• ولا تسترسل في الحديث وأنت غضبان •

وإذا وصلت في حديثك مع الناس إلى درجة عالية من الغضب فتوقف عن الحديث فالغضب من الشيطان، والغضب يُحدث نوعًا من الإغلاق على العقل، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان**»(١) .

والغضب مظنة الخطأ في الأقوال والأفعال، فاتق الحديث وقت غضبك، وتوضأ، واجلس إن كنت واقفًا، واستلق إن كنت جالسًا، وتعوَّذ باللَّه من الشيطان الرجيم حتى يذهب عنك الغضب، بل وإن أردت أن تؤجل الحديث إلى لقاء آخر فافعل، واللَّه المستعان ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

ولا تُشَوِّشْ على من بجوارك أثناء حديثك:

• فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان: ١٩].

وكان النبيُّ ﷺ يجيء من الليل فيسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان(٢) .

ولا تُسْكِّتِ الناسَ حتى تتكلم أنت:

• فقد قال النبي ﷺ: «**إذا قلتَ للناس: أنصتوا وهم يتكلمون فقد ألغيت على نفسك**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٧٥٨)، ومسلم (حديث ١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه، مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٠٥٥) من حديث المقداد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) أحمد في «المسند» (٣١٨/٢) بإسناد صحيح.

● ففي ذلك نوع أنانيـةٍ وحبٌ للنفس وتقديم لهـا على الآخرين وهذا مما ينافي التواضع.

لكن إن كنت ذا منصب وتريد توجيه كلام للرعية الذين تحت يديك، فقد تقدم قول النبيِّ ﷺ لجرير: «**استنصت الناس**»[١] .

وكذلك إذا كـان هناك أمرٌ من الأمور الهـامة يُراد إعلام الناس به، فـهذا على النحو المذكور كذلك.

ولكن في الجملة وعلى العموم إذا كان الناس يتحدثون فتمهل حتى تستمع لحديثـهم وينتهـوا منه ثم إذا كان لديك اسـتدراك أو عندك فائدة فـتقـدم بها فحينئذ يُقبل منك ما تقول.

وإذا كنت ستلقي كلمة في مجمع من المجـامع فلك أن ترتبها وتنظمها قبل إلقائها، وتعرف ماذا تريد من الناس وما الذي تريد إخبارهم به:

● فها هو عـمر رضي اللَّه عنه، يقول عن نفسه يوم أن ذهب إلى سـقيفة بني ساعـدة وهناك مجلس الأنصار، فـقالوا «أي الأنصار»: منا أمـير ومنكم أمير!! فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكـان عمر يقول: واللَّه ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر[٢] .

* * *

(١) البخاري (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥).
(٢) البخاري (حديث ٣٦٦٨).

• وضوح العبارات •

• وكن واضحًا في مقالاتك وعباراتك مع الناس حتى يفهموا عنك مرادك وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤] والمبين هو المظهر الموضح.

• وقال تعالى: ﴿**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

• وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ١٧].

• فاجنح إلى السهولة في الخطاب واليسر فيه والواضح منه، وقد قال تعالى: ﴿**وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ [النساء: ٦٣]، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، ألا ترى إلى مقالات رسولِ اللَّه ﷺ وكيف هي في غاية السهولة واليُسر.

• انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الكلمة الطيبة صدقة**» إلى غير ذلك من أحاديثه صلوات اللَّه وسلامه عليه فهي سهلة مفهومة يسيرة.

* * *

• المواساة عند الاحتياج إليها •

• ومن أنواع المواساة: قول النبيِّ ﷺ لعائشة لما حاضت وكانت معتمرة وسيدخل عليها الحجُّ وهي حائض فبكت فقال لها النبيُّ ﷺ: «.. وإنما أنت من بنات آدم كتب عليك ما كتب عليهن»[١].

• وفي رواية: «هذا شيء كتبه اللَّه على بنات آدم»[٢].

• ومن صور المواساة وتذكير الناس بمصائب الآخرين وابتلاءات الآخرين، قول اللَّه تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

• وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

* * *

(١) مسلم (ص ٨٧٥).
(٢) مسلم (ص ٨٧٤).

• وليكن الصدق شعارك •

نعم فليكن الصدق شعارك في حديثك مع الناس، فبهذا أمرك ربك سبحانه وتعالى:

• قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

• وصدقك في كلامك مدعاةٌ لقبول حديثك ألا ترى أن رسول اللَّه ﷺ قال للمشركين: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟**» قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا[١] .

• وفي رواية أخرى عند البخاري: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصبِّحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونني**» قالوا: بلى.

• وهرقل لما سأل مشركي مكة عن رسول اللَّه ﷺ فقال لهم: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟[٢] قال أبو سفيان: لا، فقال هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على اللَّه.

• وكذلك فمن آفات الكذب أنه سبب لردِّ كُلِّ حديثك حتى الصواب منه، وذلك لأن كذبك يُدخلك في عداد الفساق، وقد قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦].

• ثم إن أثر الصدق يظهر على الوجه وعلى الشفاه، وكذلك أثر الكذب.

• وقد قال تعالى: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي**

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (حديث ٢٠٨).
(٢) البخاري (حديث ٧).

لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

• وها هو يعقوب لما أتاه بنوه وقالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٧، ١٨]، فرد عليهم كذبهم بقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [يوسف: ١٨].

ولما أتوه في المرة الثانية بعد أن ذهبوا بأخيهم من أبيهم، ورجعوا بدونه، وقالوا لأبيهم: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

ردَّ يعقوبُ عليهم قولهم أيضًا ـ مع أنهم محقون فيه ـ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

فانظر كيف أخذ فكرة عنهم بسبب كذبهم الأول، فحمله ذلك على رد كلامهم في المرة الثانية؟!

فكما قدمنا فمن عقوبات الكاذب العاجلة أن الصدق الذي قد يأتي به يردُّ مع سائر كذبه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

• ثم إن الكذب مدعاةٌ لسخرية الناس منك ومجلبةٌ للخزي والعار ألا ترى إلى قول خديجة رضي اللَّه عنها لرسول اللَّه ﷺ: إنك لتصل الرَّحم.. وتصدق الحديث[1] .

• والكذب يدخلك في عداد أهل النفاق فمن خصال المنافق أنه: «إذا

(١) البخاري (حديث ٤٩٥٣)، ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

حدَّث كذب وإذا وعد أخلفَ، وإذا ائتمن خان» كما قال رسول اللَّه ﷺ[1] .

● وفي «صحيح البخاري»[2] من طريق محمد بن زيد بن عمر قال: قال أُناس لابن عمر: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا؟ قال: كنا نعد هذا نفاقًا.

وبصدق الحديث تدفع مصائب، وتقطع مجادلات، وتزول إشكالات فصاحب الحق دائم المطالبة بحقه سواء كان في عرضه أو في ماله أو في شيء آخر، فإذا وجد منك تكذيبًا لحديثه أو إنكارًا لمقاله فلن يزال قائمًا لإثبات صدقه ولإبطال كذبك، لكن قولك الحق وصدقك في الحديث يريح خصمك وقد يحمله على العفو عنك فتنجو في الدارين: دار الدنيا والدار الآخرة.

● ومن ذلك قول كعب بن مالك رضي اللَّه عنه، يقول لرسول اللَّه ﷺ - لما تخلف كعب عن الغزو -: إني واللَّه لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذرٍ ولقد أعطيت جدلاً، ولكني واللَّه لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن اللَّه أن يُسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو اللَّه، ثم قال كعب: واللَّه ما كان لي من عذر، واللَّه ما كنت قط أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلفت عنك فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي اللَّه فيك**»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩)، ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا بلفظ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان».

(٢) البخاري (٧١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩).

ثم إلى مـاذا كان مآله بعـد ذلك؟ كان مـآله إلى عفـو اللَّه وإلى توبة اللَّه عليه:

• قـال اللَّه تعـالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

وفضلاً عن ذلك كله فـالصدق يهدي إلى البر والبر يهـدي إلى الجنة كما قال رسولُ اللَّه ﷺ[1] والصادقون ينفعهم صدقُهم يوم القيامة.

• قال اللَّه سبحانه: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

• وقال سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

• والشياطين تتنزل على كل أفَّاك أثيم، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

فعلى قدر كذب الشخص تمده الشيـاطين في غيِّه وضلاله، فاتق اللَّه وكن مع الصادقين.

---

(١) أخرج البـخاري (٦٠٩٤)، ومـسلم (٦٥١٤) من حديث ابن مـسعـود رضي اللَّه عنه، قال: قـال رسول اللَّه ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البـر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند اللَّه كذابًا».
وفي رواية لمسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة =

• باب في المعاريض •

وقد يحتاج الشخص في حديثه مع الناس إلى التعريض وعدم التصريح، وذلك إما لأن التصريح يمنع منه العبد شرعًا كالتصريح بخطبة المتوفى عنها زوجها وهي في عدتها، وأيضًا فقد يجلب الشخص لنفسه حد القذف إذا صرح بما في نفسه ولم يكن عنده بيِّنات، وقد يكون في التصريح نوع فتنة أو كذب أو حرج أو غير ذلك فحينئذ يُتجه إلى التعريض بدلاً من التصريح، وها هي بعض صور ذلك:

التعريض بالخِطْبة للمتوفَّى عنها زوجُها:

• من المعلوم أن من مات عنها زوجُها أنه يحرم على أي شخص أن يتقدم ويُصرح بخِطبتها وهي ما زالت في عدتها، وذلك باتفاق المسلمين[1] .

ولكن يجوز للشخص أن يُعـرِّض ويُلوِّح ويشير إليها ويُشعِرها برغبته في الزواج بها بدون تصريح، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**﴾ [البقرة:٢٣٥].

وهذه بعض صور التعريض بالخِطبة:

• أخرج البخاري[2] بإسناده إلى ابن عباس رضي اللَّه عنهما في قوله

= وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقًا وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللَّه كذابًا».

(١) نقل هذا الاتفاق شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه اللَّه تعالى «مجموع الفتاوى» (٣٢/٨).
فقال: لا يجوز التصريح بخطبة المعتدة ولو كانت في عدة وفاة باتفاق المسلمين.

(٢) البخاري (حديث ٥١٢٤).

سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ يقول: إني أُريد التزويج، ولوددت أنه ييسر لي امرأة صالحة.

• وأخرج مالك في «الموطأ» بإسناد صحيح عن القاسم أنه كان يقول في قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة:٢٣٥]، أن يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها من وفاة زوجها: إنك عليَّ كريمة، وإني فيك لراغب، وإن اللَّه لسائق إليك خيرًا ورزقًا ونحو هذا من القول[١].

• وأخرج الطبري بإسناد[٢] صحيح عن عبيدة في هذه الآية قال: يذكرها إلى وليِّها، يقول: لا تسبقني بها.

• **ومن صور التعريض أيضًا:** ما أخرجه البخاري[٣] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قال: أقبل نبيُّ اللَّه ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يعرفُ ونبي اللَّه ﷺ شاب لا يعرفُ. قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير..

• **ومن ذلك أيضًا:** تعريض عائشة[٤] رضي اللَّه عنها ببيان فضلها، وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، فقد قالت: قلتُ: يا رسول اللَّه أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرة قد أُكل منها، ووجدت شجرًا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «**في التي لم يرتع منها**» تعني أن

---

(١) مالك في «الموطأ» (ص ٥٢٤).
(٢) الطبري (حديث ٥١٠٥).
(٣) البخاري (حديث ٣٩١١).
(٤) البخاري (٥٠٧٧).

رسول اللَّه ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها.

فعائشة رضي اللَّه عنها تُريد أن تـظهر منزلتها عند رسول اللَّه ﷺ، وفـي الوقت نفسه لا تريد أن تقع في اغـتيـاب أحـد فسلـكت أسلوب التلويح والتعريض رضي اللَّه تعالى عنها.

• **ومن صور التعـريض كذلك**: إعـراض النبي ﷺ عن ذكر الأشـخاص بأسمائهم فكان النبيُّ ﷺ إذا رأى من قومٍ شيئًا قال: «**ما بال أقوامٍ**»، ففي «الصحيح»[(1)] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: صنع النبيُّ ﷺ شيئًا فرَّخص فيه فـتنزه عنه قومٌ فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فخطب فحـمد اللَّه ثم قال: «**ما بال أقـوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعه، فـواللَّه إني لأعلمهم باللَّه وأشدهم له خشية**».

ومع شدة البلاء الذي لحق برسول اللَّه ﷺ من عبد اللَّه بن أُبي ابن سلول يصعد النبي ﷺ المنبر فيقول: «**من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فواللَّه ما علمت على أهلي إلا خيرًا**» فلم يذكر النبيُّ ﷺ عبد اللَّه بن أُبي ابن سلول باسمه حتى قال سعد بن معاذ: من هو يا رسول اللَّه... الحديث[(2)].

• **ومن صور التعـريض كذلك**: ما أخرجـه البخاري[(3)] من حـديث ابن عبـاس رضي اللَّه عنهما، في قـصة إبراهيم مع امـرأة إسماعـيل، ففي الأثر هناك... فـجاء إبراهيـمُ بعد مـا تزوَّج إسمـاعـيل يُطالع تركـته فلم يجـد إسماعيلَ فسأل امرأتَهُ عنه، فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه قال:

---

(١) البخاري (حديث ٦١٠١).

(٢) وذلك في حديث الإفك عند البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (حديث ٢٣٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

فإذا جاء زوجُك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يُغيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألني عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غيِّر عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أُفارقك... الحديث.

• وكذلك قول إبراهيم للمرأة الثانية: فإذا جاءك زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه... وفيه قول إسماعيل: ذاك أبي وأنت العتبة وقد أمرني أن أُمسكك.

• **ومن ذلك التكنية عن الجماع بما لا يخدش الحياء:**

فقد ذكر اللَّه سبحانه وتعالى النكاح في كتابه الكريم مُعبِّرًا عنه بلفظ المساس كما في قوله تعالى: ﴿**مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ [البقرة:٢٣٧]، وبالغشيان: ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ**﴾ [الأعراف:١٨٩]، وبالملامسة كما في قوله تعالى: ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ [المائدة:٦].

• **ومن صور التعريض كذلك**: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، وُلد لي غلامٌ أسود. فقال: «**هل لك من إبل؟**» قال: نعم، قال: «**ما ألوانها؟**» قال: حُمر، قال: «**هل فيها من أورق؟**» قال: نعم، قال: «**فأنى ذلك؟**» قال: لعلَّه نزعه عرقٌ[٢]، قال: «**فلعل ابنك هذا نزعه عرقٌ**»..

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٠٥)، ومسلم (حديث ١٥٠٠).

(٢) المراد بالعرق هنا الأصل من النسب، ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه، =

• وعمران بن حصين رضي اللَّه عنه لم يُصرِّح بذكر أمير المؤمنين عمر لما نهى عمر عن المتعة قال عمران لمطرِّفٍ في مرض عمران الذي توفي فيه: إني كنت محدثك بأحاديث لعل اللَّه أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتم عني وإن مُتُّ فحدِّث بها إن شئت، إنه قد سُلِّم عليَّ[1] ، واعلم أن نبي اللَّه ﷺ قد جمع بين حجٍ وعمرةٍ ثم لم ينزل فيها كتاب اللَّه ، ولم ينه عنها نبي اللَّه ﷺ قال رجل فيها برأيه ما شاء[2] .

فلم يصرح عمران باسم عمر رضي اللَّه عنهما.

وانظر إلى هذا الأدب في التعبير عما في النفس:

• ففي «الصحيح»[3] من حديث أبي جحيفة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.. الحديث.

أم الدرداء متبذلة لا تتزين ولا تهتم بنفسها ولا بثيابها، فسألها عن سبب ذلك فأجابت بإجابة حسنة تنم عما في نفسها، وفي نفس الوقت تثني على زوجها الذي لا يجامعها ولا يهتم بالنظر إليها فقالت بأسلوب مؤدب ومهذب: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا[4] .

= وأصل النزع الجذب، فكأنه جذبه إليه لشبهه يقال: منه نزع الولد لأبيه أو إلى أبيه ونزعه أبوه، نقلاً عن النووي (ترتيب محمد فؤاد).

(1) يعني أن الملائكة كانت تسلِّم عليه فلما اكتوى تركت الملائكة السلامَ عليه ثم لما ترك الكي عادت الملائكةُ للسلام عليه (مسلم ص ٨٩٩).

(2) أخرجه مسلم (ص٨٩٩).

(3) البخاري (حديث ١٩٦٨).

(4) ويظهر أن هذا قبل نزول آية الحجاب إذ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في بداية هجرة النبي ﷺ، واللَّه أعلم.

• تفهم مدلولات الخطاب •

وينبغي أن تفهم مدلولات خطاب من يخاطبك.

• فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى عن قوم من أهل النفاق: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨]. وقال سبحانه: ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾ [محمد: ٣٠].

فللناس طرقٌ في التعبير عما في أنفسهم وليسوا جميعًا على نسقٍ واحد في التعبير عما في أنفسهم، فمنهم من يعبِّر عما في نفسه صراحة، ومنهم من ترى ما في قلبه على وجهه، ومنهم من يومئ ويشير إشارات فقط، ومنهم من يخرج ما في نفسه رغمًا عنه وتنم كلماته عما في نفسه من خير أو شر، فشخص امتلأ صدره وقلبه حبًا لك فتسمع كلمات المودة والمحبة تخرج رغمًا عنه وبلا تكلف في كثير من الأحيان.

وآخر امتلأ صدره غيظًا وحنقًا وغلاً وحقدًا، ترى كلماته خارجة رغمًا عنه أيضًا كما قال تعالى: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

فعليك حينئذ أن تفهم مدلولات الخطاب وتتعامل على ضوء ما تسمع وتقطع في الأمور على ضوء ما تتيقن به.

وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعائشة رضي اللَّه عنها: «**إني لأعرف غضبك ورضاك**» قالت: وكيف ذاك يا رسول اللَّه؟ قال: «**إنك إذا كنت راضية قلت: بلى ورب محمد، وإذا كانت ساخطة قلت: لا ورب إبراهيم**» قالت: قلتُ: أجل لا أهجر إلا اسمك.

وفي روايــة: «**إني لأعلم إذا كنتِ عليَّ راضيـة وإذا كنتِ عليَّ غـضبى..**»[١] فحقًا إنه أدبٌ جمٌ في التعبير عما في النفس.

● وهذا والدها أبو بكر رضي اللَّه تعالى عنه يسمع النبيَّ ﷺ يخطب فقال النبيُّ ﷺ في خطبته: «**إن اللَّه خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند اللَّـه**» فبكى أبو بكر. قال أبو سعيـد الخدري: فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن اللَّـه خيَّر عبـدًا بين الدنيا وبين مـا عنده فاختـار ما عند اللَّه؟ فكان رسـول اللَّه ﷺ هو العبد، وكـان أبو بكر أعلمنا، قال: «**يا أبا بـكر لا تبك إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنتُ متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوَّة الإسلام ومودته**»[٢] .

فرضي اللَّه عن أبي بكر كيف فهم أن الرسول ﷺ يودعهم ويختار ما عند اللَّه، فتذكر أبو بكر الفراق، وفهم أن أجل رسول اللَّه ﷺ قد اقترب فبكى رضي اللَّه عنه.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٠٧٨، ٥٢٢٨)، ومسلم (٤/ ١٨٩٠).
(٢) البخاري (حديث ٤٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

• ولك أيضًا أن تغير في أسلوب خطابك • حتى يفهم عنك المراد

فنبينا ﷺ كان يدخل على عائشة رضي اللَّه عنها لما أفاض الناس في قول أصحـاب الإفك، قالت عـائشة: ولا أشعـر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعـرف من رسول اللَّه ﷺ اللطف الذي كـنت أرى منه حين أشتكي[1] ، إنما يدخل عليَّ رسولُ اللَّه ﷺ فيسلِّم ثم يقول: «كيف تِيكم؟» ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشرِّ.. الحديث[2] .

* * *

(١) فقد كانت عائشة رضي اللَّه عنها مريضة ولا تعلم ما يدور على ألسنة الناس في شأنها.
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

• إمعان النظر في كتاب الله لاستخراج آداب التخاطب •

وأرجو منك أخي القارئ أن تمعن النظر في كتاب اللَّه وأن تستخرج منه هذه الآداب الجميلة الحسنة آداب التخاطب مع الناس وها هي طائفة من ذلك:

• انظر إلى قول يوسف لإخوته لما أتوه شاكين إليه ما أصابهم من الضرّ قائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:٨٨] قال: الصديق يوسف عليه السلام: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]. هكذا نبههم بهذا الأسلوب المؤدي للغرض، ولم يسبّ يوسف ولم يلعن ولم يبذُ عليهم مع ما أصابه بسببهم من ضُرٍّ وما أصابه بسببهم من فراقٍ لأبيه وما أصاب والده كذلك بسببهم، وما أصابه كذلك من رقٍّ واستعبادٍ ثم انظر إلى قوله وهم يقولون له: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠] فيقول عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فحقًا إنه تواضع أيما تواضع، وأدبٌ جمٌّ غزير، واعتراف بالفضل لمسديه والمنعم به والمتفضل به سبحانه وتعالى.

ثم هو تعليم لإخوانه وإرشاد لمن جاء بعده: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

ثم انظر إلى قولهم: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٩١] فبم يجيبهم يوسف لله؟ يقول عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم من بعد اليوم، فصلى اللَّه على نبيه يوسف الكريم وعلى نبينا وسلم؟!

ثم ها هو يوسف يحقق ما وعد به ، فلما دخل عليه أبوه ماذا قال؟ قال: **﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** [يوسف:١٠٠].

فلم يذكر فعل إخوته به من إلقاء في غيابات الجبِّ إنما أوجز إيجازًا لطيفًا فقد وعد إخوانه أنه لا تثريب عليهم، فقال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء.

فحقًا إنه أدبٌ، ولكن أين المتأدبون به؟!

• وانظر إلى أدب الطلب في قول موسى عليه السلام للخضر: **﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** [الكهف:٦٦].

وأدب الرد في قول الخضر: **﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾** [الكهف:٦٧، ٦٨].

ثمَّ إلى قول موسى عليه السلام: **﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** [الكهف:٦٩]. فحقًا إنه أدب جم وخلق قويم.

فيستأذن الكليم موسى عليه السلام الخضر في اتباعه للتعليم.

ثم يومئ إلى الخضر أن هذا العلم من اللَّه سبحانه فكما علَّمك اللَّه فعلِّم الناس، ولكن هذا بأسلوب في غاية من الذكاء وحلةٍ من الوقار في قوله: **﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** [الكهف:٦٦].

ثم إن الخضر هو الآخر يلتمس العذر لموسى عليه السلام بعد أن يُذكِّره بأن صبره سينفذ، وذلك بقـوله ملتمسًا العذر لموسى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف:٦٨]، فأراد الخضرُ أن يبين لموسى سبب عدم الصبر، إنه ليس قـصورًا من موسى عـليه السلام، ولا فـي عقليـة موسى عليـه السلام فموسى عليه السلام نبيٌّ كريمٌ من أولي العزم من الرسل، والأنبياء هم أذكى الخلق وأكمل الخلق عقولاً وأوسعهم صبرًا، ولكن ثمَّ علمٌ علَّمه اللَّه للخضر لا يعلمه مـوسى عليه السلام كمـا قال الخضـرُ لموسى: «يا موسى إنك على علم من علم اللَّه علمكه اللَّه لا أعلمـه، وأنا على علمٍ من علم اللَّه علَّمنيه لا تعلمه»[(١)] .

فـحقًـا إنه أدب من العالم وأدب من المتـعلم وحـسن خطاب من الجمـيع عليهم السلام!!

• وانظر إلى أمر اللَّه سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في شأن الضعفاء الفقراء: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

من الذي يقول السلام عليكم هل القادم؟ أم المستقبل؟

إن الذي يلقي الســلام هو القادم كـما هو معـهود، ولكنهـا حفـاوة بالغةٌ ومزيد اهتمامٍ بهؤلاء المؤمنين الفقراء الضعفاء[(٢)] .

---

(١) أخرجـه البخاري (٤٧٢٥)، ومـسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كـعب رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) فالآية والتي قبلها نزلت فيهم، ففي «صحيح مسلم» (١٥/ ١٨٧) من حديث سعد بن أبي =

• وكذلك فاستمع إلى أجوبة الأنبياء عليهم السلام وردودهم على اتهامات أقوامهم فقوم نوح يقولون لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] فيجيبهم بقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١].

• وقوم هود يقولون لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] فيجيبهم بقوله: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧].

• وفرعون يسأل موسى سؤالاً كي يحرجه أمام الأقوام ويثير الأقوام عليه فيسأله فرعون عن مصير القرون الأولى وآباء هؤلاء الأقوام الذين ماتوا على الشرك فيقول لموسى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾ [طه: ٥١].

فيجيب موسى بإجابة هي حق ولكنها لا تحمل على الإثارة والفتنة فيوقل موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

ثم يبين نعم اللَّه بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ٥٣، ٥٤].

فحقًا إن علم هؤلاء عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى،

= وقاص رضي اللَّه عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجلٌ من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول اللَّه ﷺ ما شاء اللَّه أن يقع فحدث نفسه فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه..﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٤].

حقًا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١].

فلا معنى إذن للجدال في شأنها ما دام الجدال ليس من ورائه كبير طائل فقد أفضت إلى ما قدمت وثُوِّبت ما كانت تفعل.

* * *

• إن من البيان لسحراً •

• هكذا قال النبيُّ ﷺ ففي «الصحيح»[١] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا، أو إن بعض البيان سحرٌ**».

فالبيان وهو ما يفصح به الشخص عما في نفسه ـ بيانان بيان بالقلم وبيان باللسان ـ وثمَّ أنواع أخر من البيان لكن لقلتها لا نعرج عليها كالبيان بالإشارة ونحو ذلك.

• وقد امتن اللَّه سبحانه على الإنسان إذ علمه البيان، فقال سبحانه: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾ [العلق: ٤].

• وقد يبالغ الشخص في الوصف ويسترسل في الحديث بطريقة تقنع من يستمع إليه بقبول حديثه والاستماع له والإنصات، وذلك بتزيين الكلام وتحسين العبارات وتحبير الألفاظ وكل ذلك بإذن اللَّه.

وحكم ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فإذا كان الشخص يزين الكلام ويُحسِّن العبارات ويُحبِّر الألفاظ لتقرير الحق ففعله محمود وسعيه مشكور أما إذا كان هذا التحسين والتحبير لتزيين الباطل وقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا ولإهدار الحقوق، فهذا فعلٌ مذموم، وفاعله من إخوان الكُهَّان كما قال رسول اللَّه ﷺ، ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه

(١) البخاري (حديث ٥٧٦٧).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٥٨)، ومسلم (ص ١٣١٠)، وفي بعض روايات الصحيح: أسجع كسجع الأعراب.

عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قضى في امرأتين من هُذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فأصاب بطنهـا وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبيِّ ﷺ، فقضى أن دية ما في بطنها غُرَّةٌ عبدٌ أو أمَة. فقال وليُّ المرأة التي غرمت: كيف أغـرم يا رسول اللَّه من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استـهل، فمثل ذلك يطل. فـقال النبي ﷺ: «**إنما هذا مـن إخـوان الكهان**».

• وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم تختصمون لديَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار**»[1].

• فاحـذر يا عبد اللَّه أن تذهب بالحق بأسلوبك العـذب الميسر السـاحر،

(١) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (١٧١٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى «فتح الباري» طبعة الريان (١٠/ ٢٢٩):

قوله: «إنما هذا من إخوان الكهـان» أي لمشابهة كلامه كلامهم، زاد مـسلم والإسماعيلي من رواية يونس: «من أجل سجعـه الذي سجع» قال القرطبي: هو من تفـسير الراوي، وقد ورد مـستند ذلك فيمـا أخرجه مـسلم في حديث المغيـرة بن شعبة فـقال: رجل من عصبة القـاتلة يغرم فذكر نحوه وفيـه: «فقال رسول اللَّه ﷺ أسجع كسـجع الأعراب؟» والسجع هو تناسب آخر الكلمات لفظًا، وأصله الاستواء، وفي الاصطلاح الكلام المقفى والجمع أسجاع وأساجيع، قال ابن بطال: فـيه ذم الكفار وذم من تشبه بهم في ألفاظهم، وإنما لم يعاقبه لأنه ﷺ كان مأمورًا بالصفح عن الجاهلين، وقد تمسك به من كره السجع في الكلام، وليس على إطلاقه، بل المكروه منـه ما يقع مع التكلف في معرض مـدافعة الحق، وأما ما يقع عـفوًا بلا تكلف في الأمور المباحة فجـائز، وعلى ذلك يحمل ما ورد عنـه ﷺ، وسيأتي مزيد لذلك في كتـاب الدعوات، والحاصل أنه إن جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحق كان مذمومًا، وإن اقتصر على أحدهما كان أخف في الذم، ويخرج من ذلك تقسيمـه إلى أربعة أنوع: فالمحمود ما جاء عفـوًا في حق، ودونه ما يقع متكلفًا في حق أيضًا، والمذموم عكسهما.

واحذر أيضًا أن تفتن بأسلوب غيرك فتقع في المحرمات وتذهب عندك حقوق الناس سدىً وتعطي أقوامًا ما ليس لهم ولا هو من حقهم.

• وفي «سنن الترمذي»[1] بإسناد حسن عن عبد اللَّه بن عمرو أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**».

❋ ❋ ❋

(١) الترمذي (٢٨٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

• ومن أدب الخطاب مع النساء •

والحديث مع النساء ينبغي أن يكون للضرورة فإنهن فتنة وخضوعهن بالقول يُطمع الذي في قلبه مرضٌ.

• قال النبيُّ ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرِّجال من النساء**»[1] .

• وقال ﷺ: «**واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[2] .

• وقال ربُّ العزَّة سبحانه وتعالى: ﴿**فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فالإكثار من الحديث مع النساء وخضوعهن بالقول وتكسرهن في الخطاب سبب عظيم من أسباب الفتنة بهن[3] .

ألا ترى النبي ﷺ قال: «**من نابه شيء في صلاته فليسبح فإنما التصفيق للنساء**»[4] فشرع للمرأة أن تصفق إذا حدث شيء في الصلاة وأرادت أن تنبه عليه ـ وذلك حد علمي واللَّه أعلم ـ لأن صوتها يفتن به قوم من المصلين.

فإذا كان هناك ما يدعو للحديث مع النساء فليكن بقدر الحاجة مع الابتعاد عن الفتنة والريبة فاللَّه لا يحب الفساد، وليكن الكلام باختصار ما دام الاختصار يؤدي الغرض المطلوب.

---

(١) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) وليس معنى عدم خضوع المرأة بالقول أن تكون فظة غليظة وجلفة جافة، فالتوسط في الأمور محمود، والموفق من وفقه اللَّه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• وقد قال موسى عليه السلام للمرأتين: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص:٢٣] أي ما شأنكما؟

﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

• وقال تعالى في شأن إحداهما، وقد جاءت تدعو موسى عليه السلام للقاء أبيها فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥].

فأفصحت وأبانت عن حاجة أبيها لموسى وسبب دعاء أبيها لموسى عليه الصلاة والسلام.

• ويشرع إلقاء السلام على النساء [(١)] ما دامت الفتنة مأمونة وقد جاءت أم هانئ رضي اللَّه عنها إلى رسول اللَّه ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**مرحبًا بأم هانئ**»[(٢)] .

• وقد جاءت أسماء بنت عميس[(٣)] رضي اللَّه عنها إلى عمر ودار بينهما نقاش في بعض المسائل.

• وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

وسؤال المرأة عن دينها وعما تحتاج إليه مشروع أيضًا ما دامت الفتنة مأمونة.

• ففي «الصحيحين»[(٤)] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أن أم سليم

(١) وذلك بلا مصافحة ـ كما هو معلوم.
(٢) البخاري (٣١٧١)، ومسلم (ص ٤٩٨).
(٣) البخاري (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢)، (٢٥٠٣).
(٤) البخاري (حديث ٦٠٩١)، ومسلم (ص ٢٥١).

قالت: يا رسول اللَّه، إن اللَّه لا يستحي من الحق، هل على المرأة غُسل إذا احتلمت؟ قال: «**نعم، إذا رأت الماءَ**».

• وفي «الصحيحين»(1) أيضًا أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول اللَّه، إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**».

ووعظ النساء وتذكيرهن وتعليمهن مشروع عند أمن الفتنة.

• أخرج البخاري(2) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، قال: قام النبيُّ ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة ثم خطب فلما نزل **فأتى النساء** فذكَّرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه يُلقي فيه النساء **الصدقة** قلت لعطاء(3): زكاة يوم الفطر؟ قال: لا. ولكن صدقة يتصدقن حينئذ: تُلقي فتخها ويلقين، قلت: أترى حقًا على الإمام ذلك ويذكرهن؟ **قال: إنه** لحق عليهم ومالهم لا يفعلونه.

• وأخرج البخاري(4) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه، **قال**: خرج رسول اللَّه ﷺ في أضحى أو في فطر - إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقلن: وبِمَ يا رسول اللَّه؟ قال: «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكُن**» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا

(1) البخاري (حديث ٥٣٦٤)، ومسلم (٤/ ٣٠٤).
(2) البخاري (حديث ٢٤٠٦).
(3) القائل هو: الراوي عن عطاء.
(4) البخاري (حديث ٣٠٤).

رسول اللَّه؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصُم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**».

• وفي «الصحيحين»[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي اللَّه واصبري**» قالت: إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**».

• ولا ينبغي أن تشدد عليهن في الحديث وتضيق عليهن تضييقًا زائدًا فإنهن ناقصات عقل ودين، وقد قال تعالى في شأنهن: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨].

• وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ**﴾ [التحريم: ٣] فلم يؤاخذها النبي ﷺ بكل ما صنعت ولم يعاتبها في كل ما قالته.

• واستمع إلى مجادلة يوسف ﷺ عن نفسه أمام امرأة العزيز وهي تلقي عليه التهمة وتقول لسيدها وهي المعتدية الباغية آنذاك: ﴿**مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٢٥].

فانظر كيف يجيب يوسف ﷺ على هذه المرأة.

إنه لا ينزل إلى مستوى الثرثرة مع النساء، ولكن بأدب جم وفير وخلق

---

(١) البخاري (حديث ١٢٨٣).

كريم غزير يقول مستعملاً ضمير الغائب في الخطاب: ﴿هِيَ راوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦].

فلم يتهوك ﷺ في الخطاب ويقل لها: أنت راودتيني عن نفسي وفعلت، وفعلت، ولكن يتكلم كأنها ليست موجودة فيقول هي روادتني عن نفسي، فالمقام ليس مقام ثرثرة وأخلاق يوسف الكريم ﷺ لا تسمح بذلك.

وانظر إلى إعراض يوسف عن الخوض في مجادلة ومهاترة مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها ثم ألصقت التهمة به بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥] فدافع يوسف عليه السلام عن نفسه بأسلوب مختصر موجز مستعملاً ضمير الغائب، فقال: ﴿هِي رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف:٢٦].

وتشرع موعظة النساء بالتي هي أحسن.

وللرجل أن ينبسط في الحديث مع زوجته، ولو كان كلامًا مما يستحيا من ذكره وذلك لأن اللَّه قال في كتابه الكريم: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧] والرفث: الجماع ومقدماته من الكلام.

* * *

• والمهتدي إلى القول الطيب من هداه الله •

فاعلم ذلك وأيقن به.

فإن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] فترى من هداهم؟! إنه اللَّه سبحانه وتعالى وقال عليه الصلاة والسلام: «اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت»[1].

فسله التوفيق للكَلِم الطيِّب وارجه لذلك.

وكذلك فادع اللَّه سبحانه وتعالى أن يحلل عقدة من لسانك حتى يُفقه عنك ما تقول فقد قال موسى عليه السلام: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٦/٥٧) من حديث علي رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• بلسان عربي مبين •

وهكذا ينبغي أن نكون عند تخاطبنا مع الناس، نغلِّب على ألسنتنا وخطابنا معهم لغة العرب، التي هي لغة القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أفضل رسول:

• قال اللَّه سبحانه: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء:١٩٥].

• وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [اليوسف:٢].

• وقال سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾ [الرعد:٣٧].

• وقال سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [طه:١١٣].

• وقال سبحانه: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الزمر:٢٨].

• وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الشورى: ٧].

• وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزخرف:٣].

• وقال سبحانه: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا**﴾ [الأحقاف:١٢].

فهل يليق بنا بعد هذه النصوص أن نغلِّب لغةً على لغة الكتاب العزيز؟ هل يليق بمسلم غيورٍ على كتاب ربِّه أن يستعمل كلمة (ماما) و(بابا) مكان أبي، وأمي، وأبتاه، وأماه.

وهل قال الخليل: يا بابا إني قد جاءني من العلم، أم أنه قال: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**﴾ [مريم:٤٣].

فكيف نغلِّب لغة الأوربيين الكفار على لغة الإسلام والمسلمين؟! إن النبي ﷺ لم يرضَ أن تُغلَّب لغة الأعراب على لغة أهل المدينة، وقد أوردت في كتابي «فقه تربية الأبناء» بابًا مختصرًا في ذلك أذكِّر ببعضه ففيه أن النبيَّ ﷺ

قال: «**لا تغلبنكم الأعرابُ على اسم صلاتكم**».

إنها كلمة قالها رسول اللَّه ﷺ يؤخذ منها أدب وفقه لإصلاح ألسنتنا.

إنها كلمة تنم عن معاني أصيلة في التربية.

أما مناسبتها، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان: أحدهما وأشهرهما (العشاء) كما قال اللَّه سبحانه: ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ**﴾ [النور: ٥٨].

والآخر هو العتمة كما قال رسول اللَّه ﷺ: «**ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا**»[١].

فلصلاة العشاء إذن اسمان: «العشاء»، و«العتمة».

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحبُّ إلى رسول اللَّه ﷺ هو العشاء، وهو الذي جاء في كتاب اللَّه.

أما «العتمة» فهي لغة الأعراب، وإن كان النبي ﷺ تكلَّم بها أحيانًا، بل وذكرها في حديث، لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة فحينئذ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل**»[٢].

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب

---

(١) البخاري (حديث ٦١٥)، ومسلم (حديث ٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٦٤٤) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنه مرفوعًا. وقوله: «وهم يعتمون بالإبل» أي يدخلون في العتمة، وهي ظلمة الليل، بالإبل، أي: بسبب الإبل وحلبها.

اللَّه، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة، وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ.

أما ما هو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير، فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب ـ وهم عرب ـ على لغة قريش وأهل المدينة، فهل يحب رسولُ اللَّه ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والإنجليز على لغة المسلمين؟

هل يحب أن تُغلَّب (بابا) و(ماما) على (أبي) و(أمي) و(أبت) و(أماه) و(أبتاه)؟!!

هل يحب أن تغلَّب (أُنكل) على (عمي) و(خالي)؟!!

أو تغلَّب (تانت) على (عمتي) و(خالتي)؟!!

هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾ [مريم: ٤٣].

﴿**يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾ [مريم: ٤٤].

ويقول: ﴿**وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ [الشعراء: ٨٦].

ويوسف يقول: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: ٤].

ويقول: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ**﴾ [يوسف: ١٠٠].

ويقول الرسولُ ﷺ: «**استأذنت ربي أن أزور قبرَ أُمي**».

فهل يليق أن تقول: واغفر (لبابا)؟ أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)؟ والرسول يقول لأبي طالب: يا عمِّ، قل: لا إله إلا اللَّه، فهل يليق أن يقال: (يا أُنكل) قل: لا إله إلا اللَّه؟!

أظنُّ، بل أوقن أن هذا لا يليق!

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتاه وأماه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبًا، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي وأمي، و. .) بألفاظ جديدة (بابا ـ ماما)!!

فلينتبه الآباء لمثل هذه الألفاظ، وليُحيي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ.

وكذلك فلتكثر من الألفاظ العربية التي كان رسول اللَّه ﷺ يكثر من استعمالها ككلمة: أبشر، ومرحبًا، وأبي وأمي ونحو ذلك من الألفاظ.

وابتعد قدر الإمكان عن الألفاظ الأجنبية الدخيلة ككلمة (أوكي) و(تانت)، و(أُنكل). . و(أفندم) و(أبلة) ونحو هذه الكلمات.

ويطيب لي في هذا المقام أن أورد كلمة للأستاذ الدكتور فتحي جمعة[١] قال حفظه اللَّه:

* * *

(١) الأستاذ الدكتور فتحي جمعة هو أستاذ العلوم اللغوية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية، ومن ذوي الخلق الحسن، ومن الدعاة إلى اللَّه على بصيرة بمدينة بلقاس.

• العربية لغة الإسلام •

تلك حقيقة ثابتة راسخة، يدركها كل ذي بَصَرٍ بوقائع التاريخ، منذ ظهر الإسلام، ونزل كتابه العظيم باللسان العربي المبين!!

لقد خلعت اللغة العربية رداء «المحليّة» وفارقت انتماءها القومي والعنصري، إذ كانت تقبع خلف الحدود الضيقة لشبه الجزيرة العربية ـ فارقت هذا وصارت لسانًا عامًا للمسلمين أينما يكونوا ومتى يكونوا! فكان الإسلام سبيلها إلى الناس، كما كانت ـ بحق ـ سبيل الناس إليه به عرفوها، وبها عرفوه!!

ومن أجل ذلك كان حقًا على المسلمين مهما كانت أصولهم أو أجناسهم ـ أن يُبوِّئوا لغة القرآن «مبوأ صدق»، فينزلوها في مكانتها اللائقة بها، من حيث هي لغة القرآن ولسان الإسلام، فلا يقدِّموا عليها لغة أخرى في أي مجال من المجالات التي تحتاج اللغة أو تعتمد عليها.

ذلك أمر يبلغ في رأينا مبلغ الفريضة، لأن تقريره ليس اجتهادًا منًا، أو دعوى يدعيها أمثالنا حبًا للعربية أو حماسة لها واعتزازًا بها، مع أن الحبَّ والحماسة والاعتزاز ـ لَبَعْضُ حقٍّ هذه اللغة علينا وعلى الأُمَّة جميعًا.

وإنما يرجع الأمر هنا إلى آيات تتلى في كتاب اللّه تعالى ما دامت السموات والأرض، وإنها كلسان صدق ينطق بالحق بيانًا لأن العربية ـ لغة القرآن ـ هي اللغة التي اجتباها ربُّنا تبارك وتعالى، واصطفاها على لغات العالمين!!

قال تعالى في مفتتح سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وقال تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

هذه الآيات البينات العظيمات، تدل - في رأينا - على أمرين ظاهرين:

أحدهما: أن العربية هي اللسان المختار للقرآن.

والآخر: أن ذلك الاختيار من عند اللَّه تعالى، إنه وحيٌ يوحى: قرآنًا يتلى إلى آخر الزمان.

ومعنى ذلك أنها لغة الإسلام ولسانه المبين الذي ينبغي أن يكون لسانًا عامًا لجميع المسلمين.

فإذا تقررت هذه الحقيقة - وهي ثابتة لا تحتمل مراءً ولا جدلاً - فلن يستطيع المرجفون الذين في قلوبهم مرض أن يردُّوا شأن العربية ومنزلتها في الإسلام إلى تعصب النبي ﷺ - حاشا للَّه - للغة قومه ولسان عشيرته أو يدَّعُوه على خلفائه الراشدين وأصحابه المهديين رضوان اللَّه عليهم أجمعين.

فها هي آيات القرآن تقول: إن أمر اللَّه تعالى ومشيئته جلت حكمته أن يكون اللسان العربي المبين هو لسان القرآن فهو إذًا لسان الإسلام.

ضرورة العربية لوجود الأُمَّة:

● من الحقائق الثـابتة أن اللغة من أهمِّ عوامل التـوحُّد والتلاقي بين الأُمم والشعوب.

ذلك، والأمة الإسـلامية الـيوم أشد مـا تكون حاجةً إلى جـمع كلمتـها وتوحيد صفوفهـا في مواجهة قوى عاتية باغية، خبيـثة ماكرة، تتربص بها، وتتظاهر عليها، وتسعى إلى محوها واستئصال شأفتها واجتثاث شجرتها، فلا سبيل أمامـها إلا أن تكون أُمة واحدة متمـاسكة، ولن تكون لها هذه الوحدة كاملة قوية بغير وحدة اللسان.

ولكن لغات المسلمين كثيرة فعلى أيها تجتمع؟!

إن الجواب: بيِّنٌ لا يحتاج إلى بيان.

فأحقُّ اللغات بذلك الاجتماع هي اللغة التي لا يُعرفُ الإسلام حق المعرفة بغير مـعرفتها، وهي اللغة التي نزل بهـا القرآن الكريم الذي شاءت إرادة ربُّ العالمين أن يكون عربيًا يُتلى بالعربية في كل مكان إلى آخر الزمان.

وقد أدرك السلف الصـالح العظيم من الأُمة هذه الحقيقـة فأقبل جمـيعهم على لغة القرآن حبًا ورغبًا، دراسة وبحثًا وتأملاً، وتسابق عجم الأمة وعربها في ذلك الميدان، وكان العجم في أحيان كثيرة من السابقين.

وحسبنا أن نتـذكر أسماء سيبويه، وأبي عليٍّ الفـارسي، والمُبَرِّد، والفَرَّاء، والكسائي، وابن جِنِّي، وعبد القادر الجـرجاني: هؤلاء أئمة الأئمة في علوم العربية وكلهم من أصول أعجمية لا عربية.

ولكنهم نظروا إلى لغة الضـاد لا على أنها لغة العرب، بل علـى أنها لغة

الإسلام والمسلمين أجمعين لأنها لغة القرآن الكريم بأمر اللَّه رب العالمين.

وحين أدركوا هذه الحقيقة بنوا أمَّةً عزيزة منيعة وأسَّسُوا حضارة شامخة باسقة، امتدت لها السيادة الحضارية عدة قرون.

خصومة العربية من خصومة الإسلام:

لقد أدرك أعداء الإسلام وخصومه «الدائمون» أثر اللغة العربية في حماية «الوحدة الإسلامية» والمحافظة عليها، كما أدركوا ما هو أعظم من ذلك وهو أثر هذه اللغة في ربط المسلمين بالإسلام: وعيًا وفهمًا وإدراكًا وعلمًا وعملاً. أي: أدركوا ما غاب عن المسلمين من ضرورة العربية لفهم الإسلام وتنفيذ أوامره ونشر دعوته الشاملة، وذلك يعني قضاءً عليهم، ومطاردةً لهم في مواطن بغيهم وعتوِّهم، ولهذا توجَّهت جهودهُم إلى اللغة العربية فيما سيطروا عليه أو تمكَّنوا منه في بلاد المسلمين، سدَّدوا إليها سهامهم ومطاعنهم، وتعقبوها في كل مكانٍ لها فيه وجود، يريدون أن تزول أو تتوارى بالحجاب!!.

وقد سار عملهم الأثيم بخبث ودهاء في طريقين متوازيين:

أولهما: بلاد العرب، فأضعفوا «العربية» فيها، وزحزحوها عن مكانتها، وأنزلوها من عرشها إذ زاحموها بلغاتهم بل قدَّموا لغاتهم في بعض الأحيان عليها، ثم أوقدوا نار الحرب على الفصحى، فزعموا عليها العجز والقصور والاستغلاق على الأفهام، ودعوا إلى «العاميَّة» ومكَّنوا لها، وساعدوا على نشرها، وتوسيع رقعتها ونادوا بأن تكون هي لغة الحديث والكتابة والتأليف والخطابة والمحاضرة.

أما الطريق الآخر: فهو طريق البلاد الإسلامية غير العربية. وهناك طاردوا

لغة القرآن، وزينوا لها تيكم الأمم الإعجـاب بلغات الاحتلال، والابتعاد عن اللغة التي هي عـماد الرابطة الحقيـقية، وقاعـدة الوحدة الكاملة بين المسلمين ولم يلبثوا إلا يسيرًا، فأُخرجت العربية من البلاد الإسلامية بلدًا في إثر بلدٍ، حتى انحصرت في دائرة الوطن العربي المسـتهدف لانتقاص الأطراف وتفريق الصفوف، وهكذا «حُبست العربية» عـند قوم لا يستمسكون بها ،ولا يغارون عليها، ولا يهمهم أمرها.

الفصحى والعاميَّة:

لا نستطيع في هذا الحيز الضيق أن نفصل القول في هذه القضية لأن ذلك يتطلب جهدًا ووقتًا لا يتـسع له هنا مقام البيان[1]. وإنما نتحـدث عن خطر الدعوة إلى العـاميَّـة أو الإصرار على محـادثة الناس بها في مـجالات العلم والتعليم أو في مجالات الـدعوة الإسلامية التي يحزنني فيـها أن أجد طائفة كبيرة من جنودها يؤثرون العاميَّة ويجـعلونها وسيلتهم في الخطابة والمحاضرة وذلك خطأ عظيم لسببين اثنين:

الأول: أن الدعوة إلى العامـيَّة في المجالات العلمية والتعليـمية ترجع إلى بداية عصر الاحتلال[2]. وكان الدعاة الأولون إلى العاميَّة في بلادنا من أهل

(١) راجع في تفصيل ذلك إلى ما كتبناه في كـتابنا: «اللغة الباسلة» ولمزيد ارجع إلى الدراسة القيمة التي كتبتها الدكتورة نفوسة زكريا في كتابها «الدعوة إلى العاميَّة في مصر».

(٢) نحن نؤثر دائمًا في هذا المقام كلمـة الاحتلال ونرفض كلمة الاستعمار مع شـيوع الثانية وشهرتها، لأن الاستعمار مـعنىً جميل وعمل كريم ولذلك نسب إلى الحق تبارك وتعالى في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١].
ومن غير ذلك أن عمل أولئك الطغاة البـغاة على الطرف المضاد لذلك المعنى العظيم فهم محتلون للأرض، مغتصبون للخير، قاهرون للناس.

الرأي والفكر الذين استقدمتهم قوى الاحتلال ليكونوا مستشارين في غرس قواعد الاحتلال الفكري والثقافي الذي يدوم لهم بعد زوال الاحتلال السياسي والعسكري.

ومعنى هذا أن الحديث بالعاميَّة في المجالات الجادّة خدمة جليلة لقوى الاحتلال، تنفذ خططهم، وتحقق أغراضهم، وتوصلهم إلى مآربهم وأهدافهم البعيدة في استمرار السيطرة وامتداد النفوذ.

الثاني: أن الحديث بالعاميَّة يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين، تؤثران في البناء الثقافي للأُمَّة تأثيرًا سيئًا غير محمود:

أولاهما: إهمال التراث وازدراؤه لدى العامَّة وجماهير الأُمَّة إذ يصير حينئذ رُكامًا من المعمَّيات والطلاسم لا سبيل إلى معرفتها فضلاً عن فهمها وإدراك ما فيها وفي ذلك ما فيه من إضعاف «الشخصية» العامَّة للأمة ودفعها بقوة إلى منحدرات التبعيّة «والانمحاق».

والنتيجة الأخرى: عدم فهم القرآن وذلك أخطر وأفدح ما يؤدي إليه الحديث بالعاميَّة، ولكنَّ قومي لا يعلمون!!

لأن تدبر القرآن وفهمه فريضة عامة على المسلمين، كلٌّ بِقَدْرِ ما يستطيع، ولن يتحقق هذا التدبر بغير معرفة اللغة التي نزل بها القرآن إلى الحدِّ الذي يؤدي إلى الفهم ويعين عليه.

وكلُّ حديثٍ بالعاميَّة يغلق من منافذ الفصحى، ويضيق من سبلها بقدر ما يفتح للأخرى ويوسع أمامها!

إننا في حاجة دينية وثقافية إلى التزام الفصحى وإذاعتها ونشر الوعي بها

بين جموع العرب.

أولاً: لنسترد شيئًا من وحدة لا غنى عنها ولا قوة لنا بدونها.

وثانيًا: ليصح فهمنا للإسلام والقرآن.

ومن أجل ذلك أوجِّه ندائي لإخواننا جنود الدعوة إلى اللَّه أن يدركوا خطر المسألة وفداحة النتيجة إذا التزموا العاميَّة وأصرُّوا عليها، لأنهم بذلك يخدمون أعداءهم ويحققون غايتهم من حيث لا يشعرون.

ومن جهة أخرى يشاركون في وضع الحواجز والسدد أمام الفهم الواعي للقرآن وتراث الإسلام وما أظنُّ أحدًا منهم ـ وكلهم نحسبه على الخير ـ يقبل أن يكون عَونًا لأعداء الإسلامِ أو أن لا يؤدي واجبَهُ في نشر الوعي بلغة القرآن لأنها الطريق القويم إلى فهم الإسلام.

وإني لأربأ بذوي الفضل منهم، أن تزدهيه دعوى الإفهام والتأثير، فيرفع شعار العاميَّة مع الرافعين! أو أن يبتغي توسيع رقعة المخاطبة ولو على حساب الغايات النبيلة والأهداف السامية للعمل في ميدان الدعوة الإسلامية وليس من الصواب ولا من منهج الرشاد أن يقال: إنَّ «العاميَّة» ضرورة لازمة لمخاطبة الناس على قدر عقولهم؛ لأنَّ المخاطبة على قدر العقول، لا تعني تبذُّل اللغة، أو هبوط الكلام، وانحرافه عن سنن الفصحى، وإنما تعني الابتعاد عن تعقيد الفكرة، والتقعُّر في اللغة، أي تعمد اختيار الصعب من التركيب والغريب الحوشي من الكلام.

أما الجنوح إلى العاميَّة بدعوى «إفهام العوامّ» فإن لم يكن مداراة للعجز عن الفصحى، وقِصَر الباع في استعمالها، فهو ادعاء يظلم الفصحى والعوامَّ في وقت واحدٍ معًا!!

يظلم الفصحى بأنها غير مفهومة، ووالله إنها لمفهومة!!

ويظلم العوامَّ بأنهم لا يفهمون، وتالله إنهم ليفهمون!!

وإلا فكيف يخشعون للقرآن، ويتأثرون ببالغ الموعظة وجميل البيان.

وبعد: فتلك كلمة، ما ابتغيت بها إلا تنبيهًا على الارتباط الوثيق بين قضية الفصحى، وقضية الإسلام ووحدة المسلمين.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

* * *

• كفارة المجلس •

واحرص على أن تختم مـجلسك بتلك الكلمات النافعة الجامـعة التي كان النـبي ﷺ يقولهـا إذا أراد أن يقوم من المجلس ألا وهي «**سبحـانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»(١) .

فهي كلمـات جامعة نافـعة جمعت بين تسـبيح اللَّه سبحـانه وتعالى، أي تنزيهه عن كل ما لا يليق به سبحانه، وجمعت الحمد، وضُم إلى ذلك كلمة التوحيد «أشهد ألا إله إلا أنت» ثم ختمت بطلب المغفرة منه سبحانه وتعالى.

فلنختم بذلك مجـالسنا كما كان نبينا مـحمد ﷺ يفـعـل، صلوات ربي وسلامه على من آتاه اللَّه جوامعَ الكلم، نبـينا محمد ﷺ، والحمـد للَّه رب العالمين.

* * *

(١) أخرج أبو داود في «سننه» (٥/ ١٨٢) بإسناد حسـن من حديث أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهـد ألا إله إلا أنت أستغـفرك، وأتوب إليك» فقـال رجل: إنك لتقول قـولاً ما كنت تقوله فيما مضى يا رسول اللَّه؟ فقال: «كفارةٌ لما يكون في المجلس».

• وضع هذه الأحاديث نصب عينيك عند التعامل مع الناس •

فهي نافعة غاية النفع بإذن اللَّه ومطمئنة غاية الاطمئنان، ودافعة للشكوك والرِّيب بإذن اللَّه.

• حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه، وقد أخرجه البخاري ومسلم، وفيه سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول - (وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه)[١]: «**إن الحلال بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ**[٢] **وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**

(١) (وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه): أي مدهما إليهما ليأخذ إشارة إلى استيقانه السماع.

(٢) (إن الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ): أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال جماعة: هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث: «الأعمال بالنيات»، وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

قلتُ (مصطفى): (وحديث: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) فيه كلام.

وقال أبو داود السجستاني: الإسلام يدور على أربعة أحاديث: هذه الثلاثة، وحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقيل حديث: «ازهد في الدنيا يحبك اللَّه، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

قال مصطفى: (حديث: ازهد..) ضعيف.

قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه، ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وأنه ينبغي أن يكون حلالاً، وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه. وحذر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة القلب.

فقال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة» إلخ. فبيَّن ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه.

وأما قوله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ» فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بيِّنٌ واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات. وكذلك الكلام والنظر والمشي، وغير ذلك من التصرفات فهي حلال بيِّنٌ واضح لا شك في حله.

وأمَّا الحرام البيِّن فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح، وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك. =

فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه[١] ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى اللَّه محارمُهُ[٢] ألا وإن في الجسد مضغة[٣] إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٤].

= وأمَّا المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة؛ فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأمَّا العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك. فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع، اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي. فإذا ألحقه به صار حلالاً، وقد يكون دليله غير خالٍ عن الاحتمال البيِّن، فيكون الورع تركه، ويكون داخلاً في قوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه».

(١) (استبرأ لدينه وعرضه): أي: حصل له البراءة من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه.

(٢) (ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى اللَّه محارمُهُ) معناه: أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله. فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفًا من الوقوع فيه، وللَّه تعالى حمى وهي محارمه أي المعاصي التي حرمها اللَّه كالقتل والزنى والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك، فكل هذا حمى اللَّه تعالى، من دخله بارتكابه شيئًا من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات.

(٣) (ألا وإن في الجسد مضغة) قال أهل اللغة: يقال: صلح الشيء وفسد، بفتح اللام والسين وضمهما، والفتح أفصح وأشهر.

والمضغة القطعة من اللحم، سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها، قالوا: المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب، قاله النووي.

(٤) الحديث أخرجه البخاري (حديث ٥٢)، ومسلم (حديث ١٥٩٩).

فأي أمر يشتبه عليك وتتردد فيه، فاتركه واستبرئ لدينك وعرضك.

● وحديث النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه، قال: سألت رسولَ اللَّه ﷺ عن البرِّ والإثم؟ فقال: **«البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاكَ في صدرِكَ، وكَرِهْتَ أن يطلع عليه الناسُ»**[1] .

● وحديث الحسن بن علي رضي اللَّه عنهما، قال: حفظت من رسول اللَّه ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يربيك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»**[2].

● وكذلك حديث النبيِّ ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[3] .

فهذه أحاديث نافعة غاية النفع، فاذكرها ولا تنسها، واللَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* * *

---

(١) رواه مسلم (حديث ٢٥٥٣).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٨)، وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد (١/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (حديث ٤٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• مراعاة أحوال الناس ومعرفة طبائعهم •

وهذا بابٌ نافع جدًا وسبب عظيم من أسباب النجاح في التعاملات مع الناس: أن تعرف أخلاقهم وطبائعهم وخصالهم، وتتعامل معهم بناءً على هذه الأخلاق والطبائع والخصال، فإنَّ اللَّه سبحانه وتعالى قسم الأرزاق وقسم الأخلاق بين العباد، وكذا قسم الرياسات والوجاهات والعلوم والعقول والأفهام.. إلى غير ذلك.

فهذا عالمٌ، وهذا جاهلٌ، وهذا أميرٌ، وذاك مأمور، وهذا ثريٌّ، وهذا فقير، وهذا حليم أواه منيب، وهذا طائش متماد في غيِّه، وهذا محبٌّ للخير، وذاك مستطيل على العباد بالبغي والفساد، وهذا فاضل صالح مصلح، وهذا شريرٌ فاسد مفسد!

منهم من تعتريه حِدَّة مع فضله وورعه وصلاحه[1] ومنهم من جُبل على

---

(١) كأبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه، فمع فضله وصلاحه ومناقبه التي لا تحصى وفضائله التي لا تُعد، فقد كانت به حِدَّة رضي اللَّه عنه.

وقد قدمنا فعله مع زوجته وولده وأضيافه لما أقبل على ولده يسبه، ويقول للأضياف: «كلوا لا هنيئًا».

ويقول أمير المؤمن عمر رضي اللَّه عنه فيما أخرجه البخاري (حديث ٦٨٣٠): «وكنت قد زوَّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر - وكنت أُداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلك، فكرهت أن أُغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر..» الحديث.

وهذه أيضًا أم المؤمنين زينب رضي اللَّه عنها، مع فضلها وورعها تذكرها أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها (فيما أخرجه مسلم ٢٤٤٢):

فتقول عائشة: «ولم أرَ امرأة قط خيرًا في الدِّين من زينب وأتقى للَّه وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرَّب به إلى اللَّه تعالى ما عدا سورة من حدٍّ كانت فيها تسرع منها الفيئة. =

الحلم والأناة! إلى غير ذلك من الخصال، وكلٌّ يحتاج إلى نوع من الأنواع التعامل التي تناسبه وتتمشى معه، فللعالم طريقة في التخاطب معه، وكذلك للملك والأمير طريقة، وللغني طريقة وللفقير طريقة، وللعاقل أسلوب تتفاهم به معه وللسفيه كذلك أسلوب آخر، وكلٌّ بحسبه، فإذا أخطأت طريقة التفاهم وجهلت أحوال الناس ابتعدت عن التوفيق وجانبك الصواب، ومن ثمَّ أعطيتَ من أمامك جرعة من الدواء لا توافق الداء فأضرت به فضلاً عن كونها لم تنفعه، ورجع عليك خطؤك وارتد إليك سهمك، وكنت أنت المُلام.

• وقد تعامل النبيُّ ﷺ مع الناس كلٌّ بحسبه فأعطى للكبير حقَّه من التوقير وكذلك رحم الصغير وأعطاه حظه من الرحمة، وخاطب الملوك بما يستحقونه وكذلك الأمراء، وكذلك الفقراء عاملهم بما تستدعيه أحوالهم من خفض الجناح ولين الجانب، وكذلك الوجهاء عاملهم بما يستحقونه من إنزالهم منازلهم، والضعفاء عاملهم صلوات اللَّه وسلامه عليه بما تستدعيه حالتهم، وخاطب السفهاء والشريرين بطريقة، وعامل أهل الفضل والحلم والعلم بطريقة.. فمن ثمَّ أحب المسلمون كلهم رسولَ اللَّه ﷺ: غنيهم وفقيرهم أحبَّه قويهم وضعيفهم، أحبه ذكرانهم وإناثهم، عزيزهم وذليلهم، أحبه أميرهم ومأمورهم، فصلوات ربي وسلامه عليه.

فمن أراد السداد فليلتمس هدي نبيه ﷺ في الخطاب مع الناس ومراعاة أحوالهم والنظر في قدراتهم وأخلاقهم.

للعلماء طريقة في التفاهم معهم:

وهم العلماء الربانيون العاملون.

= قلت: وقولها: (تسرع فيها الفيئة) أي تسرع في الرجوع ولا تصر على غضبها وحدته.

فهم قومٌ قد أثنى عليهم ربُّهم سبحانه في عدة مواطن من كتابه:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨].

● وقرن سبحانه شهادتهم مع شهادته بقوله: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨].

● ورفع اللَّه درجاتهم فقال: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١].

● وقال تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

إلى غير ذلك مما ورد في فضلهم من الآيات والأحاديث، فهم ورثة الأنبياء.

حملوا كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم ﷺ!!

خشوا ربهم وراقبوه في السر والعلن.

أخذوا بأيدي العباد إلى طريق اللَّه وعرفوهم بربهم عزَّ وجلَّ.

أنقذوا أممهم من الهلكة والضياع وكانوا سببًا في رفع العذاب عن هذه الأمم.

● ألا ترى إلى قولهم لما أُعجب أهل الدنيا بقارون وزينته: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ [القصص: ٨٠].

● هؤلاء أهل العلم ومعلمو الناس الخير أمر اللَّه بسؤالهم والتأدب معهم قال تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٤٣].

● وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ**

يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

• عرفوا قدر كتاب ربهم وقدر سنة نبيهم ﷺ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** ﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

فجدير بالعاقل أن يتعامل معهم على ضوء ما ذُكر من كتاب اللَّه.

فعليك بتوقيرهم واحترامهم وتبجيلهم، ففي توقيرهم توقيرٌ لما يحملونه من علم، وأنت مأجور على هذا التوقير وإن فاقهم شخص في أمر من الأمور لكن عليه توقيرهم وتبجيلهم واحترامهم.

• فهذا نبي اللَّه موسى ﷺ، كليم اللَّه، ومن أولي العزم من الرسل يخفض جناحه أيما خفض للخضر، مع أنه يفوق الخضر فضلاً، ويقول للخضر: ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ [الكهف: ٦٦].

فيقول له الخضر: ﴿ **إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ [الكهف: ٦٧].

ثم يلتمس له الخضر العذر في عدم الصبر فيقول: ﴿ **وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا** ﴾[1] [الكهف: ٦٨].

• وفي الحديث أن الخضر قال لموسى: «**يا موسى إنك على علم علمكه اللَّه لا أعلمه، وأنا على علمٍ من اللَّه علمنيه لا تعلمه**».

---

(١) فيه أيضًا أن العالم يتلمس العذر للمتعلم، فالخضر لما قال لموسى عليه السلام: إنك لن تستطيع معي صبرًا، أراد أن يبين له سبب عدم صبره، إنه ليس قصوراً من موسى ولا في عقلية موسى، فموسى نبي، والأنبياء عليهم السلام أذكى الخلق، ولكنه علم ما علمه اللَّه لموسى. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرًا، فحقًا إنه أدب من العالم ومن المتعلم أيضًا.

• ثم يقول موسى عـليه السلام: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾ [الكهف: ٦٩].

فانظر إلى كليم اللَّه عليه السلام: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً** ﴾ [الكهف: ٦٩].

• ثم انظر إلى الأدب الجم والخلق القويم الـكريم من حبر الأُمَّة عـبد اللَّه ابن عباس رضي اللَّه عنهما، مع علمـاء الصحابة رضي اللَّه عنهم عند تلقيه العلم منهم، انظر إليه وهو يأخذ لزيد بن ثابت رضي اللَّه عنه بالركاب وزيد يقول: تنح يا ابـن عمٍّ رسول اللَّه ﷺ، وابن عباس يقـول: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا[١] !

وانظر إلى حرصه الزائد على طلب العلم:

• أخـــرج الدارمي[٢] من طريق عكرمـة عن ابن عباس قـال: «لما توفي رسولُ اللَّه ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبيِّ ﷺ فإنهم اليوم كثـير فقال: واعجبًا لك يا ابن عبـاس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصـحاب النبيِّ ﷺ من ترى؟ فتـرك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كـان ليبلغني الحديث عن الرجل فـآتيه وهو قائل[٣] ، فـأتوسـد ردائي على بابه فتسفي الرِّيح على وجهي التراب، فيـخرج فيراني فيقول: يا ابن عمٍّ رسول اللَّه ما جاء بك؟ ألا أرسلـتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحـديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقـد اجتمع الناس

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١٦٦).
(٢) الدارمي (١/ ١٤١ ـ ١٤٢).
(٣) من القيلولة.

عليٌّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني».

• بل وانظر إليه وهو يقول عن نفسه: «لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر ابن الخطاب رضي اللَّه عنه عن المرأتين من أزواج النبيِّ ﷺ اللتين قال اللَّه فيهما: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾، حتى حجَّ وحججت، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز، ثم جاء، فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين من المرأتين من أزواج النبيِّ ﷺ اللتان قال اللَّه تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم:٤] قال: واعجبًا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة..»[1] الحديث.

حقًا إنه أدب جم وهو خلق كريم، ومن ثم حمل ابن عباس علمًا جمًا غزيرًا ووقَّره الكبيرُ كما وقَّره الصغيرُ، فها هو أمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه يدخله عليه ويجعله من أهل مجالسته مع كبار الصحابة رضي اللَّه عنهم حتى قال بعض الصحابة: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، وكان عمر يتعمد طرح المسائل عليهم وعليه حتى يريهم فضله رضي اللَّه عنه:

• ففي «صحيح البخاري»[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ في نفسه، فقال: لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول اللَّه تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا أن نحمد اللَّه ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل

(١) البخاري (حديث ٥١٩١).

(٢) البخاري (حديث ٤٩٧٠).

شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلتُ: لا ، قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أجل رسول اللَّه ﷺ أعْلَمه له قال: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ وذلك علامة أجلك ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول».

• وفي «مصنف ابن أبي شيبة»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أن عمر سأل أصحاب رسول اللَّه ﷺ عن شيء، قال: فسألني فأخبرته فقال: أعبتموني أن تأتوا بمثل ما أتى به هذا الغلام الذي لم يجتمع سواد رأسه».

• وفي «مصنف ابن أبي شيبة»[2] أيضًا بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

• وفي «الزوائد على فضائل الصحابة لأحمد»[3] «زوائد ابنه عبد اللَّه» بإسناد صحيح عن يزيد بن الأصم قال: «خرج معاوية حاجًا وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه».

قدّم بين سؤالك عذرًا إن كان السؤال يحتاج إلى اعتذار:

• ها هي أم سليم تقدِّم عذرًا بين يدي سؤالها فتقول: يا رسول اللَّه، إن اللَّه لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسلٍ إذا هي احتلمت[4] .

فانظر إلى تقديمها بقولها: إن اللَّه لا يستحيي من الحق يا رسول اللَّه.

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٧٤) بإسناد صحيح.
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٦٩) بإسناد صحيح.
(٣) «فضائل الصحابة» (حديث ١٩٤٧).
(٤) البخاري (حديث ٢٨٢)، ومسلم (٦٠٨/١).

• والعالم هو الآخـر •

والعـالم هو الآخـر عليـه أن يخلص عـمله للَّه وأن يبث الـعلم للَّه، وأن يتواضع للناس ويخفض الجناح للجاهل.

عليه أن يكون من الربانيين الذين يعلِّمون الناس صغار العلم قبل كِباره:

يعلمهم المسائل السهلة ذات الأهمية الكبـرى قبل المسائل الصعبة التي هي دون الأولى في أهميتها، وهذا حاصل قول بعض العلماء في تفسير الربانيين.

على العـالم أن يحـدث الناس بما يعـرفـون، حـتى لا يكذبوه ويردوا الحق الذي جاء به:

• أخرج البخاري[1] من حديث علي رضي اللَّه عنه، قال: «حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذب اللَّهُ ورسولُه!!».

• وفي «مقـدمة صحيح مـسلم» من حديث ابن مسـعود رضي اللَّه عنه، قال: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[2].

فعلى العالم أن ينظر في أحوال سائليه:

ولا يفتيهم بما يكون سببًـا في إضلالهم وإغوائهم، فإذا جاءه رجل يحمل فكر الخوارج القائلين بتكـفير الناس بالمعاصي فلا يحـدثه بحديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[3] فإن هذا الحديث يحمل عند الخارجي على غير

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم في «المقدمة» من طريق عبيد اللَّه بن عبـد اللَّه بن عتبة أن عبد اللَّه بن مسعود قال.. فذكره، وإسناده منقطع، و«مقدمة مـسلم» ليست على شرط مسلم (ترتيب محمد فؤاد ص١١).

(٣) البخاري (حـديث ٥٩٨٤)، ومسلم (حديث ٢٥٥٦) من حديث جـبير بن مطعم رضي اللَّه عنه مرفوعًا، والمراد بالقاطع: قاطع الرحم، كما في بعض الروايات في «الصحيح».

وجهه وينزله في غير منزلته فيضل به الناس.

وكذلك إذا أتاه مـرجئ من المرجئة الذين يقـولون: لا يلزم مع قول لا إله إلا اللَّه عمل، فلا يحدثه بحديث: «من قال: لا إله إلا اللَّه دخل الجنة» فإنه يعزِّز بدعته بهذا الحديث، ويفهم الحديث على غير وجهه.

● وفي «الصحيح»[(١)] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، أن النبيَّ ﷺ ومعاذًا رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قال: لبيك يا رسول اللَّه وسعديك، قال: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول اللَّه وسعديك (ثلاثًا)، قـال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محـمدًا رسول اللَّه صدقًا من قلبه إلا حرَّمه اللَّه على النار**» ، قال: يا رسول اللَّه أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: «**إذًا يتَّكلُوا**»، وأَخْبَرَ بها معاذ عند موته تأثمًا.

فانظر إلى قوله: «**إذًا يتَّكلُوا**» ، وفي الرواية الأخرى[(٢)] : ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**».

● ونحوه في «صـحيح مسلم» من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن الـنبـيَّ ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عـمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثـره، فقـال: يا رسول الـلَّه لا تفعل، فـإني أخشى أن يتكل الناسُ، فخلِّهم يعملون، فقال: «**فخلِّهم**»[(٣)] .

على العالم أيضًا أن لا يُمِلَّ الناس من حديثه:

فكثرة الكلام ليست بغاية، إنما الغاية بعد إرضاء اللَّه سبحانه وتعالى تفهيم الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، أمـا أن يبالغ العالم في الكلام الطويل المُمل

---

(١) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٢) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (٣٢). (٣) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

الفارغ من الكتاب والسنة فهذا مذموم، وعليه أن يراعي قدرات الناس وطاقاتهم في التحمل ومدى استيعابهم لحديثه.

• أخرج البخاري ومسلم(١) من طريق أبي وائل قال: «كان عبد اللَّه(٢) يذكِّر الناسَ في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم، قال: أمَّا إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملكم، وإني أتخولَّكم(٣) بالموعظة كما كان النبيُّ ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا».

• ومن ثم كان النبيُّ ﷺ (يحدث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه)(٤).

• وكان يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصَرَ خطبته مئنة على فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة وإن من البيان لسحرًا**»(٥).

وإذا سئلت عن شيء لا تعلمه فقل: اللَّه أعلم.

فإن اللَّه سبحانه وتعالى اختص عباده كُلاً بنوعٍ من أنواع العلم وباب من أبوابه، فلم يَحز أحد العلم كله، وقد استأثر سبحانه بعلوم لا يعلمها إلا هو.

---

(١) البخاري (حديث ٧٠)، ومسلم (حديث ٢٨٢١).

(٢) عبد اللَّه: هو ابن مسعود.

(٣) التخول: هو التعاهد، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نَملّ، قاله الحافظ ابن حجر، وقال: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكليف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط: الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

(٤) البخاري (حديث ٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٥) أخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار رضي اللَّه عنه مرفوعًا وقد انتقد على مسلم، ولكن له شواهد.

● ولما جاء اليهود إلى رسول اللَّه ﷺ وسألوه: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فسكت ونزل عليه: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[1] [الإسراء: ٨٥].

فهـا هو رسول اللَّه ﷺ يتوقف في المسألة ويكل أمـرها إلى اللَّه سبحانه، ومع أنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس باللَّه وأتقاهم للَّه.

● ولما سئل عن الساعة قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»[2] .

● وقال سبـحانه: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٤].

● وأطلع اللَّه بعض أنبـيائه على علوم لم يطلع عليـها غيـرهم، **قال اللَّه** تعـالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

● وقال سبحانه: ﴿ **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٧٦].

وكان الـصحابـة ـ رضي اللَّه عنهم ـ في تخصـصاتهم، كلٌّ فـي تخصـصه واتجاهه:

● فهذا عالم بالفرائض كزيد بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ.

● وهذا عالم بالقضاء كعلي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢٥)، ومسلم (مع النووي ١٧/١٣٧) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه.

(٢) مسلم (حديث ٩) من حديث عمر رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وله عدة طرق عن رسول اللَّه ﷺ.

• وهذا عالم بالقراءات كأُبي بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

• وهذا عالم بسياسة الناس كعمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ.

• وهذا عالم بالتفسير كابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ.

• وهذا حافظ لسنة رسول اللَّه ﷺ كأبي هريرة وابن عمر وعائشة ـ رضي اللَّه عنهم.

• وهذا عالم بفنون الحرب وشئون القتال وفن النزال كخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

• وهذا عالم من العلماء كمعاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ.

• وهذا حبر من الأحبار كابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ.

إلى غير ذلك من التخصصات.

قبول العلم ممن هو أدنى:

والعالم حقُّ العالم العالم النبيل الجليل: يقبل العلم ممن هو فوقه وممن هو دونه، لا يستعلي ولا يستكبر.

• فها هو نبي اللَّه موسى مع كونه من أولي العزم من الرسل يقول للخضر: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف: ٦٦].

• وأخرج النسائي في «السنن» وفي «عمل اليوم والليلة» وكذلك الإمام أحمد في «المسند»(١) من حديث قتيلة ـ امرأة من جهينة ـ أن يهوديًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء اللَّه وشئت،

---

(١) النسائي في «السنن الصغرى» (٦/٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦) وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) وإسناده صحيح.

وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، ويقول أحدهم: ما شاء اللَّه ثم شئت.

فها هو الرسول ﷺ يقبل من اليهودي كلامه ما دام اليهودي محقًا فيه.

• وكذلك لما جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى الرسول ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد اللَّه يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: «**أنا الملك**»، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذُهُ تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسولُ اللَّه: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1] [الزمر: ٦٧].

فانظر إلى ضحك النبي ﷺ تصديقًا لخبر الحبر.

• وكذلك فانظر إلى قول الرسول ﷺ في شأن الشيطان الذي جاء إلى أبي هريرة وقال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب**»[2] .

• وها هو عمر يسأل أصحاب رسول اللَّه ﷺ مع كونه أفضل منهم، فيقول عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ لأصحاب رسول اللَّه ﷺ: «أيكم يحفظ قول رسول اللَّه ﷺ في الفتنة؟»[3] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه.
(٢) أخرجه البخاري معلقًا، وانظر إلى ما ذكره الحافظ في «الفتح» (٤/٤٨٧).
(٣) البخاري (٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه.

• وابن مسعود[١] ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: واللَّه الذي لا إله غيرُه ما أنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحدًا أعلم منِّي بكتاب اللَّه تبلغه الإبل لركبت إليه.

فجدير بكل شخص أن يتواضع للعلم فيأخذه من الصغير ومن الكبير ولا ينبل العالم حتى يأخذ ممن فوقه وممن هو دونه.

وعليك أن ترشد الناس إلى أصحاب التخصصات إذا سئلت عن علم من نوع معين ولم تكن من أهل الاختصاص فيه:

• فأمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنه يقول: «أقضانا عليٌّ وأقرؤنا أُبي»[٢].

• وها هو معاذ بن جبل العالم الفاضل الجليل الذي يتقدم العلماء يوم القيامة رميةً بحجرٍ كما قال النبي ﷺ، ها هو يرشد أصحابه إلى أهل العلم ولا يبخل بذلك، وها هو الحديث بذلك:

• أخرجه الترمذي[٣] والنسائي وغيرهما بإسناد حسن، عن يزيد بن عميرة أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، قال: أجلسوني ثم قال: إن العلم والإيمان مظانهما من التمسهما وجدهما ـ أو العلم والإيمان مكانهما من التمسهما وجدهما ـ فالتمسوا العلم عند أربعة:

---

(١) البخاري (حديث ٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢).

(٢) البخاري (حديث ٤٤٨١)، وأحمد (٥/ ١١٣).

(٣) الترمذي (٣٨٠٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في «الفضائل» (١٤٩)، وابن حبان (موارد ٢٢٥٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١١١)، والحاكم (٣/ ٢٧٠، ٤١٦).

عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد اللَّه بن مسعود، وعند عبد اللَّه بن سلام الذي كان يهوديًا فأسلم، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنه عاشر عشرة في الجنة**».

● وها هو أبو موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ لما أفتى في بعض المسائل يرشد إلى أخيه ابن مسعود لما يعلمه عن علم ابن مسعود، ففي «البخاري»[1] من طريق هزيل بن شرحبيل، قال: سئل أبو موسى عن ابنة، وابنة ابن، وأخت، فقال: للابنة النصف، وللأخت النصف، وائت ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأُخبر بقول أبي موسى، فقال: لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين ، أقضي فيها بما قضى النبيُّ ﷺ: للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي للأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم.

● وكذلك في «الصحيحين»[2] أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر رضي اللَّه عنهم أرسلوا كريبًا إلى عائشة رضي اللَّه عنها، فقالوا: «اقرأ عليها السلام منا جميعًا وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها، وقال ابن عباس: كنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها. قال كريب: فدخلت على عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ فبغلتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجتُ إليهم فأخبرتُهم بقولها، فردُّوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ: سمعت النبي

---

(١) البخاري (حديث ٦٧٣٦).

(٢) البخاري (حديث ١٢٣٣)، ومسلم (حديث ٨٣٤).

ﷺ ينهى عنها، ثم رأيتُه يصليهـما حين صلَّى العصر، ثم دخل عليَّ وعندي نسوة من بنـي حرام من الأنصار فـأرسلتُ إليه الجـارية فقلت: قومـي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسـولَ اللَّه، سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهـما، فإن أشـار بيده فاستـأخري عنه. ففـعلتِ الجاريةُ، فأشـار بيده، فاستأخـرتْ عنه، فلما انصرف قال: «**يا ابنة أبي أمية، سألـت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناس من عـبد القيس فشغلوني عن الركعـتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان**».

فانظر إلى إحالةِ كلٍّ إلى أخيه الذي يرى أنه أعلم منه!!

فحـريٌّ بالشخص إذا جاءه سائلٌ يسـأله عن نوع من أنواع العلوم ليس له تبحرٌ فيها ولا رسوخٌ في العلم بها أن يحيل إلى غيره ولا يستكبر ولا يتعالى، فمثـلاً مريض ذهب إلى طبيب يدفع له قيمـة الكشف، والمريض لا يدري ما به، إلا أنه يتألم مما أصـابه، فيراه الطبـيب ويعلم أن المرض الذي به ليس من تخصصه، فـعليه في هذه الحالة أن يحيل إلى طبيب آخر أكثر اخـتصاصًا منه في الجانب الذي يشـتكي منه المريض، وهذه أمانة يجـب أن تؤدى إلى أهلها ورب العزة يقول أيضًا: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهل على الطبيب أن يرد قيمة الكشف إلى المريض أم لا؟

النظر في هذا إلى مقدار الجهد الذي بذله الطبيب، والأورع له والأحوط له في دِينه أن يرد المبلغ إلى المريض، واللَّه أعلم.

فياليت هذه الخصلة تتفشى في الأطباء، يتفشى فيهم القول: إن هذا المرض ليس من اختصاصي، ولكن اذهب إلى الطبيب الفلاني فهو أعلم بهذا مني.

ولا يقف الأمر على الأطباء بل يمتد إلى كل نوع من أنواع العلوم.

فعلى المهندس المدني أن يحيل إلى المهندس المعماري فيما يخصه.

وعلى المحدث أن يحيل على الفقيه، ويحيل الفقيه إلى المحدث، ويحيل المحدث إلى اللغوي، كلٌ فيما يخصه ويعنيه.

وإذا سئلت عن شيء لا تعلمه فقل: اللَّه أعلم.

وإذا احتجت إلى العلم بشيء فاسأل أهل الذكر من أهله والمتخصصين فيه.

• قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].

• وقال سبحانه: ﴿**فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٩].

واللَّه الموفق ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

وليترك لكل إنسان تخصصه الذي فيه ما دام قائمًا بحرص وإتقان:

• أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى[٢] فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمِّك فأت رسولَ اللَّه ﷺ بشراب من عندها، فقال: «**اسقني**»، قال: يا رسول اللَّه إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: «**اسقني**» فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: «**اعملوا فإنكم على عمل صالح**» ثم قال: «**لولا أن تغلبوا[٣] لنزلت حتى أضع الحبل على هذه**» يعني عاتقه، وأشار إلى عاتقه.

---

(١) البخاري (حديث ١٦٣٥).

(٢) استسقى: أي طلب السقيا.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «قال ابن بزيزة: أراد بقوله: «لولا أن تغلبوا» قصر السقاية عليهم وأن لا يشاركوا فيها.

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال: ثم ركب رسول اللَّه ﷺ فأفاض[٢] إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: «**انزعوا[٣] بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**»[٤] .

• وقد كان حذيفة صاحب سرِّ رسولِ اللَّه ﷺ.

قال أبو الدرداء لعلقمة[٥] : «أليس فيكم صاحب السرِّ الذي كان لا يعلمه غيره ـ يعني حذيفة. . » الحديث.

وعلى العالم أن يتحرى صحة المادة العلمية التي يقدمها للناس:

فعليه أن يقدم للناس الصحيح من سنة رسول اللَّه ﷺ ويبين لهم ضعف الضعيف منها، وعليه أن ينتقي ما صح من أقوال المفسرين في الآيات ويترك الشاذ والمهجور من هذه الأقوال، وعليه أن ينظر في سيرة أصحاب رسول اللَّه ﷺ وفي أقوالهم وينتقي ما صحَّ من ذلك ويبثه في الناس، ويقدم الدليل من الكتاب والسنة على كل قول، فبذلك يثاب، وبذلك ترفع درجته، وينضر اللَّه وجهه.

ولا يخفى على أهل العلم والفضلاء النجباء أن المسائل تقدر بقدرها، فثمَّ

---

(١) مسلم (حديث ١٢١٨).

(٢) أفاض: أي طاف طواف الإفاضة، والمراد بالبيت: البيت الحرام، والكعبة التي به.

(٣) انزعوا: أي استقوا الماء واستخرجوها من البئر بالدلاء.

(٤) أي لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء. (نووي).

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٧٨)، والمراد بالسر ـ واللَّه أعلم ـ أسماء المنافقين، وأيضًا أحاديث الفتن.

مسائل القول فيها قول واحد للعماء لا يسوغ لأحد خلافه.

وثمَّ مسائل أُخر للعلماء فيها أكثر من قول، وفي كثير من الأحيان يوجد لكل قول منها دليله، وفي أحيان أخر لا يوجد الدليل إلا لبعضها، فعلى العالم أن يراعي ذلك وينظر متى يشتد في الإنكار على المخالف ومتى تخف حدة الإنكار.

والمناهي تختلف في درجاتها، والأوامر تختلف في درجاتها كذلك، وليس من خالف في مسألة انعقد عليها الإجماع كمن اختار قولاً من أحد قولي العلماء، وكلما اتسعت مطالعات العالم وكثرت قراءاته وأبحاثه كلما أدرك ذلك جيدًا.

ويجدر بالعالم أن يتريث في البحث والنظر في متون الأحاديث المستدل بها وأسانيدها ومدلولات ألفاظها:

ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر حديثين فهم منهما بعض إخواننا ـ عفا اللَّه عنا وعنهم ـ غير ما يتحمله الحديثان:

أحدهما: حديث جرير بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة.

استدل به البعض على منع التعزية في البيوت[1] والحديث كما هو واضح لا يحتمل النهي عن التعزية، بيد أنَّ الراجح فيه لدينا أيضًا أنه ضعيف وذلك لأن الحديث أخرجه ابن ماجه[2] من طريق هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد

(١) والأحاديث في مشروعية التعزية واستحبابها كثيرة معروفة.

(٢) ابن ماجه (حديث ١٦١٢) وأحمد (تحقيق أحمد شاكر حديث ٦٩٠٥).

عن قيس بن أبي حازم عن جرير.

وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعن، وتفرد ابن ماجه بالحديث من بين أصحاب الكتب الستة لا يطمئن، وخاصة إن كان رجال الحديث رجال الكتب الستة.

وقد رواه أحمد بمتابعة لهشيم من طريق نصر بن باب، ولكن متابعة نصر ابن باب لا يُفرح بها لكونه متهمًا بالكذب، وعليه فالحديث عندنا ضعيف.

وقد ذكره الدارقطني في «العلل»[١] فقال: (يرويه ابن بشير واختلف عنه فرواه سريج بن يونس والحسن بن عرفة عن هشيم عن إسماعيل عن قيس عن جرير.

ورواه خالد بن القاسم المدائني[٢] قيل: ثقة، قال: لا أَمن لك هذا، خرَّجوه عن هشيم عن شريك عن إسماعيل، ورواه أيضًا عباد بن العوام[٣] عن إسماعيل كذلك) .اهـ.

وفي «مسائل أحمد رواية أبي داود»[٤] قال أبو داود: ذكرت لأحمد حديث هشيم عن إسماعيل عن قيس عن جرير: كنا نعد الاجتماع عند أهل الميت وصنعة الطعام لهم من أمر الجاهلية.

قال: زعموا أنه سمعه من شريك، قال أحمد: وما أرى لهذا الحديث أصلاً.

---

(١) الدارقطني في «العلل» (مخطوط ج ٤/ ٨٨ أ).

(٢) خالد بن القاسم المدائني: متروك.

(٣) رواية عباد بن العوام عند الطبراني في التعزية على الميت، وليست هي روايتنا.

(٤) «مسائل أحمد رواية أبي داود» (ص ٢٩٢).

● قلتُ (مصطفى): فالحديث عندنا ضعيف لما قدمناه. والله أعلم.

وثمَّ حديثٌ آخر رواه الترمذيُّ[1] وغيرُه عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

«إذا أنا مت فلا تؤذنوا لي أحدًا إني أخاف أن يكون نعيًا وإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي».

استدل به البعض على منع النعي، مع أن الأحاديث الواردة في إثبات النعي كثيرة معلوم.

والحديث ضعيف كذلك للانقطاع بين بلال بن يحيى[2] ـ الراوي عن حذيفة ـ وحذيفة، فالراجح أنه لم يسمع منه.

ثم هو محمول ـ في حالة صحته ـ على صورة معينة من صور النعي، والله أعلم.

ومن المسائل العلمية التي تتعدد فيها وجهات النظر: مسألة وضع اليد اليمنى على اليسرى بعد القيام من الركوع:

هل توضع اليمنى على اليسرى؟ أم ترسل اليمنى واليسرى؟ فالأدلة الواردة فيها غير صريحة في هذا الباب، ومن ثم قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: إن شاء أرسلهما وإن شاء وضع يمينه على شماله[3].

(١) الترمذي في باب النهي عن النعي (أبواب الجنائز)، وابن ماجه (١/ ٤٥٠)، وأحمد (٥/ ٤٠٦)، والبيهقي (٤/ ٧٤).

(٢) قال ابن معين في رواية بلال عن حذيفة: إنها مرسلة، انظر «التهذيب».

(٣) نقلاً من «المحرر في الفقه» (١/ ٦٢)، وكلام أحمد مسطرٌ في عدة مواطن من عدة كتب.
وعمدة الاستدلالات في هذه المسألة تنبني على ثلاثة أدلة:
أحدها: حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وقد أخرجه البخاري (حديث رقم ٧٤٠)، وفيه: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في =

فمثل هذه المسألة لا ينبغي أن يتشدد فيها شخص ولا أن يثرِّب على إخوانه! وإنما يوضح وجهة نظره واستدلالاته والذي ترجح لديه والذي ينصح به من غير تشددٍ ولا تسفيهٍ للقول الآخر، واللَّه أعلم.

* * *

= الصلاة».

والثاني: حديث وائل بن حُجْرٍ رضي اللَّه عنه، أخرجه مسلم (حديث ٤٠١)، وفيه: أنه رأى النبيَّ ﷺ رفع يديه حين دخل في الصلاة كبَّر ثم التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى..» الحديث.

وهذا الحديث والذي قبله كلاهما محتمل فهل قوله: «كان الناس يؤمرون..» إلى آخره، وقوله: «وضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة» عام يدخل فيه قبل الركوع وبعده أم أنه مختص بالقيام الذي هو قبل الركوع؟ كل هذا محتمل.

وثالث الاستدلالات: حديث أبي حميد الساعدي رضي اللَّه عنه، أخرجه البخاري (حديث رقم ٨٢٨)، وفيه: أن أبا حميد الساعدي قال: «أنا كنت أحفظكم لصلاة رسول اللَّه ﷺ، رأيته إذا كبَّر جعل يديه حذاء منكبيه وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كلُّ فقار مكانه»، وفي بعض الروايات: «حتى يرجع كلُّ عظمٍ إلى موضعه»، وهذه الرواية أيضًا ليست صريحة، فهل المراد بالعظم عظم الظهر كما أوضحته رواية: كل فقار؟! أم المراد عموم العظام بما فيها عظام المرفق؟ وأيضًا هل المراد بقوله: «إلى موضعه» موضعه قبل الهيئة - أي موضعه الذي كان عليه قبل الركوع أم موضعه الذي من طبيعته أن يكون فيه؟» كل ذلك محتمل وورد، وإن كان الأقرب أن المراد: عظام الظهر، واللَّه أعلم.

ومن ثمَّ وردت عن أحمد - رحمه اللَّه - الروايتان اللتان أشرنا إليهما، واللَّه أعلم.

• طريقة التعامل مع الضعفاء والفقراء •

وللضعفاء والفقراء وأصحاب الأعذار طريقة في الخطاب معهم، تنبني على الرحمة والرفق بهم، وللقوي طريقة أيضًا تتناسب معه:

وأسوق لك ها هنا واقعتين كلتيهما حدثت لأبي بكر رضي اللَّه عنه، إحداهما: موقف لأبي بكر مع عمر رضي اللَّه عنهما، والآخر موقف لأبي بكر مع سلمان وصهيب وبلال، هؤلاء الثلاثة الفقراء، فأعرني ذهنك وفكرك أخي الكريم، وأمعن النظر في موقف الرسول ﷺ مع أبي بكر في الحالين، الحال الأول حاله مع عمر، وعمر رجل من سادات قريش وأشراف قريش، وسلمان وصهيب وبلال غرباء - رضي اللَّه عنهم - أجمعين.

• أخرج البخاري[1] من حديث أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبيُّ ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**» فسلَّم، وقال: يا رسول اللَّه، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلت إليك فقال النبيُّ ﷺ: «**يغفر اللَّه لك يا أبا بكر**» (ثلاثًا)، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ ﷺ فجعل وجه النبيِّ ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول اللَّه، واللَّه أنا كنت أظلم (مرتين) فقال النبي ﷺ: «**إن اللَّه بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟**».

---

(١) البخاري (حديث ٣٦٦١).

● وأخرج مسلم[١] من حديث عائذ بن عمرو رضي اللَّه عنه: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: واللَّه ما أخذتْ سيوفُ اللَّه من عدو اللَّه مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربَّك**» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر اللَّه لك يا أُخيَّ.

فانظر كيف اشتد رسول اللَّه ﷺ على عمر رضي اللَّه عنه في الحديث الأول شدةً في غاية الشدة لما أغضب عمرُ أبا بكر رضي اللَّه عنهما!!

ثم انظر إلى قوله ﷺ لأبي بكر - في الحديث الآخر - : «**يا أبا بكر أغضبتهم؟ لقد أغضبتَ ربَّك**»!!

فخاطر هؤلاء الضعفاء والفقراء وأصحاب الأعذار منكسر، وتأثرهم بالكلمات وبالنظرات وبالحركات أشد من غيرهم بكثير، فحريٌّ بك أن تتلطف معهم في العبارات وفي الألفاظ وفي الإشارات، وعليك أن تطيِّب خواطرهم.

● ادعهم إلى طعامك، صح عن أبي هريرة[٢] رضي اللَّه عنه أنه قال: شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء.

● عُدْ مريضهم، قال رسولُ اللَّه ﷺ[٣] : «**إن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول يوم**

---

(١)مسلم (٢٥٠٤).

(٢) البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢) وقد رُوي هذا الحديث مرفوعًا إلى رسول اللَّه ﷺ ولا يصح.

(٣)مسلم (حديث ٢٥٦٩).

القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعُدْه، أما علمتَ أنك لو عدتَه لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

انظر إلى صنيع رسولِ اللَّه ﷺ مع مولاه أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه، إن أسامة مولى من الموالي ثم هو أسود شديد السواد رضي اللَّه عنه لكنه مع ذلك حِبُّ رسولِ اللَّه ﷺ حتى إن كبار القرشيين يستشفعون به إلى رسولِ اللَّه ﷺ.

انظر إلى صنيع رسولِ اللَّه ﷺ معه، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، فقد قالت: عثر أسامة بعتبة الباب فشجَّ في وجهه، فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «**أميطي عنه الأذى**» فقذرته، فجعل يمص الدم ويمجُّه عن وجهه، ويقول: «**لو كان أسامة جارية لكسوته وحلَّيته حتى أُنفِّقَهُ**»[1].

أي: لزينته بالكسوة والحلي حتى أُزوِّجه.

اعلم تمام العلم أنك ترزق بسبب هؤلاء الضعفاء، ويدفع اللَّهُ عنك الشرورَ بسببهم، فهذا سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة يرى أن لنفسه فضلاً على من دونه فقال له النبيُّ ﷺ: «**هل تنصرون إلا**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة «المصنف» (١٢٣٥٦)، وأحمد (٦/ ١٣٩، ٢٢٢)، وأبو يعلى (٤٥٩٧)، وغيرهم، وإسناده صحيح لغيره.

بضعفائكم»[1].

فعلى المرء أن يضمهم له ويؤويهم إليه.

● قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٤].

● وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

● ونوح ﷺ لما قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١١ ـ ١١٤].

---

(١) البخاري (حديث ٢٨٩٦)، وصورته مرسل لكن له شواهد، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٦/ ٨٩): وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند أحمد والنسائي بلفظ: «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم».

(٢) وقد ورد في سبب نزولها ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٥/ ١٨٧) من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٤].

● ولما عبس النبيُّ ﷺ[1] في وجه عبد اللَّه ابن أم مكتوم عاتبه ربُّه فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١ - ١٢].

ولا تحملهم فوق طاقتهم فإن اللَّه سبحانه قد عذرهم:

● قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

● وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وأنت أيها الفقير، وأنت أيها الضعيف، وأنت أيها المعذور عليك بالآتي:

● ارض بما قسمه اللَّه لك، فأنت لا تدري إذا أغناك اللَّهُ وإذا عافاك اللَّه هل ستشكر أم ستكفر ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

اعلم أن الغني وأن القوي وأن المعافى في بدنه فتنة لك فلا تفتن به، قال

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠٩) بإسناد حسنه بعض العلماء لشواهده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، أنزلت: ﴿عبس وتولى﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول: يا رسول اللَّه، أرشدني. وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول اللَّه ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: «ترى بما أقول بأسًا»؟! ففي هذا نزل.

تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠].

فلا تقل: هذا منَّ اللَّه عليه وتركني!

ولا تقل: هذا قد فضله اللَّه عليَّ!

• قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

عليك أن تجازي الإحسان بالإحسان، ولا تجحد المعروف ولا تنكر الجميل:

• قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

• وكان النبيُّ ﷺ يجازي المعروف بالمعروف والإحسان بالإحسان، فقد كان النبي نزل في جوار المطعم بن عدي فحمل المطعم بن عدي سلاحه للدفاع عن رسول اللَّه ﷺ مع أن المطعم بن عدي كان مشركًا، فلما جاءت غزوة بدر قال النبيُّ ﷺ في أسارى بدر: «**لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**»[1] ، ويعني بالنتنى: الأسارى.

• ويحفظ الجميل لخديجة في أختها هالة بعد موت خديجة فلما استأذنت هالة على رسول اللَّه ﷺ عرف صوت خديجة فارتاع، وقال: «**اللهم هالة بنت خويلد**»[2] .

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يشكر اللَّه من لا يشكر الناس**»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٧).

(٣) صحيح وله شواهد، وقد أخرجه أبو داود (عون المعبود، ١٣/ ١٦٥)، والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا وله شواهد.

قال الخطابي في «معالم السنن» مع «سنن أبي داود» (٥/ ٥٧) في شرح حديث «لا يشكر =

• وعن ابن عـمر[١] رضي اللَّه عنهما، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من استعاذكم باللَّه فأعيذوه، ومن سألكم باللَّه فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا اللَّه له حتى تعلموا أن قد كافأتموه».

• وها هو كعب بن مـالك رضي اللَّه عنه يكسو من بشره بتـوبة اللَّه عليه ثوبه الذي لا يملك غيرَه، فـفي «الصحيحين»[٢] من حديث كـعب بن مالك رضي اللَّه عنه، في قصة توبة اللَّه عليه... قال: «فلما جاءني الذي سمعت صوته يبـشرني نزعت ثوبيَّ فكسـوته إيَّاها ببشراه، والـلَّه ما أملك غيـرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما..».

• ومن مجازاة الإحسان بالإحـسان: وصيةُ النبي ﷺ بالأنصار فـفي آخر خُطبة خطبها النبيُّ ﷺ قال أنس[٣]: فصعد النبيُّ ﷺ المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمـد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: «**أوصيكم بالأنصـار فإنهم كرشي**

= اللَّه من لا يشكر الناس»: هذا الكلام يتأول على وجهين:
أحدهما: أن من كـان طبعه وعادته كـفران نعمة الناس وترك الشكر لمعـروفهم، كان من عادته كفران نعمة اللَّه وترك الشكر له سبحانه.
والوجه الآخـر: أن اللَّه سبحانه لا يقـبل شكر العبد على إحـسانه إليه إذا كان العـبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر.

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٣٥) بإسناد رجاله ثقات وهـو من طريق الأعمش عن مجاهد وقد تكلم بعض أهل العـلم في رواية الأعمش عن مـجـاهد، لكن قـوله: «ومن أتي إليكم معروفًا فكافئوه..» يشهد له عمومات كثيرة من الشرع.
فعند البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٢١٥) مـن حديث جابر بن عبد اللَّه الأنصاري قال: قال النبيُّ ﷺ: «من صنع إليه معروفًا فليجزه، فإن لم يجد ما يجزيه فليثن عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره وإن كتمه فقد كفره..».

(٢) البخاري (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩).

(٣) البخاري (حديث ٣٧٩٩).

وعيبتي[(١)] **، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»** .

والرجل الشاكر يجلب لنفسه بإذن اللَّه مزيدًا من الرزق، وذلك أولاً لامتثاله أمر اللَّه عزَّ وجلَّ وأمر رسوله ﷺ بمجازاة الإحسان بالإحسان، ثم ثانيًا لأن البشر جبلوا على حب من يشكرهم، فمثلاً إذا أتيت رجلاً الآن وسألته مبلغًا من المال (مائة جنيه مثلاً) فأعطاك ثم جئته من العام المقبل فسألته مائة جنيه أخرى فقال لك: مَنْ أنت؟ فذكَّرته بنفسك قائلاً أنا الذي سألتك في العام الماضي فأعطيتني مائة جنيه، فحينئذ يتذكر هذا المحسن أنك لست ممن ينكرون المعروف ويجحدون الإحسان ويعلم أن صدقته جاءت في يد شاكر فيعطيك ولا يبالي ولا يتردد.

وكمثال لذلك من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ قول زكريا عليه السلام: ﴿ **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾ [مريم: ٤].

أي يا رب، إنك لم تشقِّني بالرد والحرمان من قبل، فكل ما سألتك أعطيتني، وكل ما دعوتك به أجبتني فلا تشقني يا رب بالرد والحرمان في هذه الدعوة، واللَّه أعلم.

إياك أن تجمع بين الكِبْرِ والفقر والمسكنة:

• أخرج الإمام مسلمٌ[(٢)] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب وعائل مستكبر»** .

(١) كرشي وعيبتي، أي: بطانتي وخاصتي.
(٢) مسلم (حديث ١٠٧).

فعليك بالتواضع وخفض الجناح.

وانظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو أعلى منك وذلك حتى تعظم في نفسك نعمة اللَّه فتؤدى شكرها:

• قال تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ**﴾ [طه: ١٣١]

• وقال النبيُّ ﷺ: «**إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه**»[(١)] .

• وفي رواية لمسلم: «**انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه**»، وفي رواية: «**عليكم**».

أما أهل الجهل والغباء فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى في شأنهم: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فبهذا أمرنا ربُّنا سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

• وقال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٢].

• وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ [الفرقان: ٦٣].

• وانظر إلى هذا الأثر الذي أخرجه البخاري[(٢)] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه

(١) البخاري (حديث ٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).
(٢) البخاري (٤٦٤٢).

الحرِّ بن قيس وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمر وكان القرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همَّ به فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين إن اللَّه قال لنبيه ﷺ: ﴿**خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ وإن هذا من الجاهلين، واللَّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافًا عند كتاب اللَّه».

وانظر إلى تصرف النبي ﷺ مع هذا الأعرابي الجاهل الذي بال أمام الناس في المسجد:

• أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قام أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناوله الناس فقال لهم النبيُّ ﷺ: «**دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً[2] من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

• وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه: «أن النبي ﷺ رأي أعرابيًا يبول في المسجد فقال: «**دعوه**» حتى إذا فرغ دعا بماء فصبَّه عليه»[4] .

---

(١) البخاري (حديث ٢٢٠).

(٢) السجل هو الدلو الواسع الضخم.

(٣) البخاري (حديث ٢١٩)، ومسلم (حديث ٢٨٥).

(٤) قال الحافظ ابن حجر: «فتح الباري» (١/ ٣٢٥): «وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، =

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس أيضًا: «بينما نحن في المسجد مع رسول اللَّه ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول اللَّه ﷺ: **مَهْ مَهْ**[٢] قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا تزرموه، دعوه**» فتركوه حتى بال ثم إن رسولَ اللَّه ﷺ دعاه فقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر اللَّه عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن**» أو كما قال رسولُ اللَّه ﷺ قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنَّه[٣] عليه».

* * *

= وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه».

(١) مسلم (ص ٢٣٧).

(٢) مَهْ: كلمة زجر، قيل إن معناها اسكت.

(٣) فشنَّه: أي فصبَّه.

• بعض أقوال أهل العلم[١] في تأويل قوله تعالى •

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

• أخرج البخاري [٢] من حديث عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنه ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ** ﴾ قال: ما أنزل اللَّه إلا في أخلاق الناس.

قال الرازي في «التفسير الكبير»[٣]:

قوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن اللَّه هو الذي يتولاه، وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ** ﴾ قال أهل اللغة: العفو الفضل، وما أتى من غير كلفة.

إذا عرفتَ هذا فنقول: الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم، إما أن يجوز إدخال المساهلة والمسامحة فيها، وإما أن لا يجوز.

أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ** ﴾ ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضًا التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن هذا الباب: أن يدعو الخلق إلى الدِّين الحق بالرفق واللطف، كما قال

(١) في تأويل الآية جملة أقوال أوردنا منها ما يوافق موضوع كتابنا.

(٢) البخاري (حديث ٤٦٤٣)، وانظر كلام الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٠٥)، وأخرجه النسائي في «التفسير» (حديث ٢١٥)، وأبو داود (٤٧٨٧).

(٣) الرازي (١٥/ ٩٥ ـ ٩٦).

تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز المساهلة والمسامحة فيه، فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف، والعرف، والعارفة، والمعروف هو كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعرف ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال، لكان ذلك سعيًا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز، ثم إنه إذا أمر بالمعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفَّر عنه، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية: ﴿وأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال في صفة أهل الجنة: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥].

وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم علمتَ أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير.

قال عكرمة[١] : لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: «**يا جبريل ما هذا؟ قال: يا محمد إن ربك يقول هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك**».

قال أهل العلم: تفسير جبريل مطابق للفظ الآية، لأنك لو وصلت من قطعك، فقد عفوت عنه وإذا آتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف، وإذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين.

---

(١) هذا مرسل ضعيف.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وللمفسرين في هذه الآية طريق آخر فقالوا: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ أي ما عفا لك من أموالهم، أي ما أتوك به عفوًا فخذه، ولا تسأل عما وراء ذلك.

قالوا: كان هذا قبل فريضة الصدقة فلما نزلت آية وجوب الزكاة صارت هذه الآية منسوخة إلا قوله: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ أي بإظهار الدِّين الحق، وتقرير دلائله.

﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ أي المشركين، قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف فعلى هذه الطريقة جميع الآية منسوخة إلا قوله: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾.

واعلم أن تخصيص قوله: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ بما ذكره تقييد للمطلق من غير دليل، وأيضًا فهذا الكلام إذا حملناه على أداء الزكاة لم يكن إيجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة منافيًا لذلك، لأن آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس ولا يشدد الأمر على المزكي فلم يكن إيجاب الزكاة سببًا لصيرورة هذه الآية منسوخة.

وقال البغوي في تفسيره عند تفسير هذه الآية:

.. قال جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[1].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله، بعد أن ذكر عدة أقوال للسلف:

---

(١) ونقل ذلك أيضًا غير واحد عن جعفر الصادق، منهم القرطبي وغيره.

وقال بعض العلمـاء: الناس رجلان فرجل محـسن فخذ ما عـفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستـمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ ـ ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

أي هذه الوصية: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال في هذه السورة الكريمة أيضًا: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فهـذه الآيات الثلاث في (الأعراف والمؤمنون وحم السـجدة) لا رابع لهن فإنه تعـالى يرشد فـيهن إلى معـاملة العاصي من الإنس بالمعـروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

ثم يرشـد تعالى إلى الاسـتعـاذة به من شيطان الجـانّ فإنه لا يكفـه عنك الإحسان وإنما يـزيد هلاكك ودمارك بالكلية فإنه عـدو مبين لك ولأبيك من قبلك.

وقال القرطبي رحمه اللَّه:

هذه الآية ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩] من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

- فقوله ﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

- ودخل في قوله: ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ صلة الأرحام وتقوى اللَّه في الحلال والحرام وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

- وفي قوله: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ الحرص على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

وقال السعدي رحمه اللَّه في «تفسيره»[1] :

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد، ما قابله به من قوله وفعل جميل، أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عند تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه ولا الفقير لقفره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ أي: بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل

---

(١) هو «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حث على خير: من صلة رحم، أو برٍّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللَّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصِلْهُ ومن ظلمك فاعدل فيه.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿**خُذِ الْعَفْوَ**﴾ أي مكان الغضب، ليكونوا أقبل للنصيحة.

﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ أي بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير نكير، ولما كان الناصح لغيره كالمعرَّض لعدوانهم ثلَّث بما يحتاج إليه في ذلك، فقال: ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ أي المصرين على جهلهم فلا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم، واحلم عنهم، واغْضُ على ما يسوؤك منهم.

* * *

• مداراة من في خلقه شيء •

فأخلاقيات الناس تختلف كـما أسلفنا فمنهم الصالح ومنهم الطالح ومنهم البذيء، ومنهم الكريم ذي الخلق الحسن، وقد كان النبي ﷺ يعامـل كُلاً بما يستحق، وكان ﷺ يداري في كثير من الأحيان بذيء الخلق إما بعطية يعطيها له، وإمـا بكلمة يداريـه بها، وإمـا بسكوت عنه، ونحـو ذلك، وهذا واللَّه أعلم، حتى لا تتسع رقعة الشر وحـتى لا يستشري الفساد وها هي نماذج من هذه المداراة:

• أخرج البخـاري ومسلم[١] من حديث عائشـة رضي اللَّه عنها أن رجلاً استأذن[٢] على النبيِّ ﷺ ، فقال: **«ائذنوا له، فلبئس ابن العشيرة»**، أو **«بئس رجل العشيرة»** فلما دخل عليه ألان له القول، قالت عائشة: فقلت: يا رسول اللَّه، قلتَ له الذي قلتَ، ثم ألنتَ له القول؟ قال: **«يا عائشـة، إن شر الناس منزلة عند اللَّه يوم القيامة من وَدَعَه أو تركه الناسُ اتقاء فحشه»**.

---

(١) البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (حديث ٢٥٩١).

(٢) قال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم»:

قوله: «أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة، أو بئس رجل العشيـرة، فلما دخل ألان له القول، فقلـت: يا رسول اللَّه قلت له الذي قلت، ثم ألنت له القول! قال: يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه».

قال القاضي: هذا الرجل هو عيينة بن حصـن، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسـلام، فـأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليـعرفه الناس ولا يغترَّ به من لـم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده، ما دل على ضعف إيمانه، وارتد مع المرتدين، وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رضي اللَّه عنه، ووصفُ النبيِّ ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة، من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول تألفًا له ولأمثاله على الإسلام.

وفي هذا الحديث مداراة من يتقى فـحشه وجواز غيبة الفاسق المعلن فـسقه، ومن يحتاج =

. . . .

= الناس إلى التحذير منه، وقد أوضحناه قريبًا في باب الغيبة، ولم يمدحه النبيُّ ﷺ ولا ذكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه، إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام، وأما بئس ابن العشيرة أو رجل العشيرة فالمراد بالعشيرة قبيلته، أي بئس هذا الرجل منها.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٤):

قال الخطابي: جمع هذا الحديث علمًا وأدبًا وليس في قول النبيِّ ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به أُمَّته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

قلت (ابن حجر): وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص، وليس كذلك بل كل من اطلع من حال شخص على شيء وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره ليقع في محذور ما فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدًا نصيحته، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي ﷺ أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليجتنبه المغتر ليكون نصيحة، بخلاف غير النبي ﷺ فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نصحه.

وقال القرطبي: في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء لشرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين اللَّه تعالى.

ثم قال تبعًا لعياض: والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدِّين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدِّين لصلاح الدنيا، والنبيُّ ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعل معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد اللَّه تعالى.

وقال عياض: لم يكن عيينة واللَّه أعلم حينئذ أسلم، فلم يكن القول فيه غيبة، أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحًا فأراد النبيُّ ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه، وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ، وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه فيكون ما وصفه به النبيُّ ﷺ من جملة علامات النبوة، وأما إلانة القول له بعد أن دخل فعلى =

• وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث المسور بن مخرمة أنه قال: قسم رسولُ اللَّه ﷺ أَقْبِيَةً[٢] ولم يعط مخرمة شيئًا، فقال مخرمة: يا بني، انطلق بنا إلى رسول اللَّه ﷺ فانطلقت معه قال: ادخل فادْعُهُ لي، قال: فدعوته له، فخرج إليه وعليه قباء منها، فقال: «**خبَّأتُ هذا لك**» فقال: فنظر إليه فقال: رَضِيَ مخرمة.

• وفي رواية في «الصحيح» أيضًا: قدمتْ على النبي ﷺ أَقْبِيَةٌ فقال لي أبي مخرمة: انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئًا، قال: فقام أبي على الباب فتكلم، فعرف النبي ﷺ صوته فخرج ومعه قَبَاءٌ، وهو يريه محاسنه وهو يقول: «**خبأتُ هذا لك، خبأتُ هذا لك**».

• وفي رواية للبخاري[٣] «**وكان في خُلُقه شيء**».

= سبيل التألف له ثم ذكر نحو ما تقدم.

وهذا الحديث أصل في المداراة وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم واللَّه أعلم.

(١) البخاري (حديث ٢٥٩٩)، ومسلم (حديث ١٠٥٨).

(٢) الأقبية جمع قباء وهو يلبس فوق الثياب.

(٣) البخاري (حديث ٦١٣٢) من طريق ابن أبي مليكة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (١٠/٥٢٨):

«المداراة من أخلاق المؤمنين ،وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه.

والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك.

• وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كنت أمشي مع رسول اللَّه ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيٌّ فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبيِّ ﷺ وقد أثَّرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال اللَّه الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

• وفي «صحيح مسلم»[2]، من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، قال: قسم رسولُ اللَّه ﷺ قسمًا فقلتُ: واللَّه يا رسول اللَّه لغير هؤلاء كان أحق به منهم، قال: **«إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو يُبَخِّلوني فلست بباخل»**[3].

• وأخرج البخاري ومسلم[4] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه أنه أعطى [5] رسولُ اللَّه ﷺ رهطًا وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسولُ اللَّه ﷺ منهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إليَّ[6]، فقمتُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ فساررته[7]، فقلت: يا رسول اللَّه ﷺ، ما لك عن فلان؟ واللَّه إني لأراه مؤمنًا، قال: **«أو مسلمًا»** فسكتُ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه فقلت:

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٨٨)، ومسلم (حديث ١٠٥٧).

(٢) مسلم (حديث ١٠٥٦).

(٣) المعنى واللَّه أعلم إنهم ألجئوني واضطروني بإلحاحهم وإلحافهم وفحشهم وكثرة طلبهم إلى أحد أمرين أن أمنعهم فيصفونني بأنني بخيل، وإما أن أعطيهم مع كونهم ليسوا أهلاً فاخترت أن لا أكون بخيلاً.

(٤) البخاري (حديث ٢٧)، ومسلم (حديث ١٥٠).

(٥) الذي أعطى هو رسول اللَّه ﷺ.

(٦) أي أفضلهم عندي.

(٧) ساررته: أي كلَّمته سرًّا.

يا رسول اللَّه ما لك عن فلان؟ فـواللَّه إني لأراه مؤمنًا، قال: «**أو مـسلمًـا**» فسكتُ قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول اللَّه، ما لك عن فلان؟ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا، قال: «**أو مسلمًا**»، قال: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه**».

* * *

• اتقاء مقالات الناس •

وليس من الرياء ولا من العيب أن تتقي مقالات الناس وذمهم ما لم يكن هناك إثم أو ذنب سيرتكب.

قال النبيُّ ﷺ: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[1].

• وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما، قال: كنا في غزاةٍ فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجريُّ: ياللمهاجرين، فسمَّعَها اللَّهُ رسولَهُ ﷺ قال: «**ما هذا؟**» فقالوا: كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبيُّ ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثرَ ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد اللَّه بن أُبيّ: أو قد فعلوا؟ واللَّه لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: دعني يا رسول اللَّه أضرب عنق هذا المنافق، قال النبيُّ ﷺ: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابَه**».

ومن هذا الباب: قول النبيِّ ﷺ لحسان لما أراد حسان أن يهجو قريشًا: «**كيف بنسبي؟**»:

• أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها ـ واللفظ لمسلم ـ قالت: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اهجوا قريشًا فإنه أشد عليها من رشق**

---

(١)البخاري (حديث ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢)البخاري (حديث ٣٥٣١)، ومسلم (حديث ٢٤٨٩ ـ ٢٤٩٠).

بالنبل»[١] فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «**اهجهم**» فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم[٢] أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه[٣] ثم أدلع لسانه[٤] فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فَرْيَ الأديم[٥] فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا، حتى يُلَخِّصَ لك نسبي**» فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول اللَّه قد لخَّصَ لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحتَ عن اللَّه ورسوله**».

وقالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**هجاهم حسانُ فشَفَى واشتَفَى**»[٦].

قال حسان:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه ... وعند اللَّه في ذاك الجزاءُ

---

(١) رشق بالنبل: بفتح الراء، هو الرمي بها، وأما الرِّشق، بالكسر، فهو اسم للنبل التي ترمى دفعة واحدة.

(٢) لقد آن لكم: أي حان لكم.

(٣) الضارب بذنبه: قال العلماء: المراد بذنبه، هنا: لسانه، فشبه نفسه بالأسد في انتقامه وبطشه إذا اغتاظ، وحينئذ يضرب بذنبه جنبيه، كما فعل حسان بلسانه حين أدلعه، فجعل يحركه، فشبه نفسه بالأسد، ولسانه بذنبه.

(٤) أدلع لسانه: أي أخرجه عن الشفتين، يقال: دلع لسانه وأدلعه ودلع اللسان بنفسه.

(٥) لأفرينهم بلساني فري الأديم: أي لأمزقن أعراضهم تمزيق الجلد.

(٦) فشفى واشتفى: أي شفى المؤمنين واشتفى هو بما ناله من أعراض الكفار مزقها ونافح عن الإسلام والمسلمين.

هجوتَ محمدًا برًا تقيًا[(١)] رسول الله شيمتُه الوفاءُ[(٢)]
فإن أبي ووالده وعِرْضي[(٣)] لِعِرض محمدٍ منكم وقَاء[(٤)]

● وكذلك ما تقدم من حديث رسول الله ﷺ لما أعطى قومًا عطاءً، ليسوا له بأهل: «**إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست بباخل**».

● وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي[(٥)].

ومن هذا الباب: باب اتقاء مقالات الناس قول الله تعالى في شأن زكريا عليه السلام: ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم: ٣].

فلماذا نادى زكريا عليه السلام هذا النداء الخفي؟ ودعا بهذا الدعاء الخفي؟

(١) هجوت محمدًا برًا تقيًا: وفي كثير من النسخ: حنيفًا، بدل تقيًا، فالبر: الواسع الخير والنفع، وهو مأخوذ من البِر، بكسر الباء، وهو الاتساع في الإحسان، وهو اسم جامع للخير، وقيل: البر، هنا بمعنى المتنزه عن المآثم، وأما الحنيف فقيل هو المستقيم، والأصح أنه المائل إلى الخير، وقيل: الحنيف التابع ملة إبراهيم ﷺ.

(٢) شيمته الوفاء: أي خلقه.

(٣) فإن أبي ووالده وعرضي: هذا مما احتج به ابن قتيبة لمذهبه أن عِرض الإنسان هو نفسه لا أسلافه، لأنه ذكر عرضه وأسلافه بالعطف، وقال غيرُه: عرض الرجل أموره كلها التي يحمد بها ويذم، من نفسه وأسلافه، وكل ما لحقه نقص يعيبه.

(٤) وقاء: هو ما وقيت به الشيء. قاله النووي.

(٥) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به في كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم.

قال الحافظ في «الفتح»: فلم يلحقها بنص المصحف بشهادته وحده وأفصح في العلة في ذلك بقوله: (لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله) فأشار إلى أن ذلك من قطع الذرائع لئلا تجد حكام السوء سبيلاً إلى أن يدعوا العلم لمن أحبوا له الحكم بشيء.

قلت: والأثر المعلق من طريق سعيد بن المسيب عن عمر، وقد اختلف أهل العلم في سماع سعيد من عمر فنفاه قوم وأثبته آخرون.

من العلماء من قال: إن الأصل في الدعاء أن يكون خفيًا إلا في بعض المواطن التي يحتاج فيها إلى الجهر بالدعاء، وكون الأصل هو الإخفاء لقوله تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقالوا: لأن الدعاء الخفي أبعد عن الرياء والسمعة والشهرة وتشويش الحساد وغير ذلك.

ومن العلماء من قال: إنه نادى هذا النداء الخفي لكون دعوته كانت مستغربة عند الناس، فقد يجعل نفسه مجالاً للسخرية إذا دعا بها أمامهم!.

إذ كيف يدعو رجل طاعن في السن قد وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وامرأته عاقر - بل طول حياتها وهي عاقر - كيف يدعو بالولد وهو في هذه الحالة!!

إن دعوته تكون مجالاً للسخرية أمام الذين لا يعلمون!

لكن زكريا يعرف ربَّه ويعلم أنه على كل شيء قدير، فمن ثم دعا بهذا الدعاء الخفي، واللَّه أعلم.

• وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: سألت رسول اللَّه ﷺ عن الجَدْر[2] ؟ أمِنَ البيتِ هو؟ قال: «نعم» قلتُ: فلمَ لم يدخلوه في البيت؟ قال: «**إن قومك قصَّرَتْ بهم النفقة**» قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: «**فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديثٌ عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أُدخل الجدرَ في البيت وأن أُلزِقَ بابه بالأرض**».

(١) البخاري (حديث ٧٢٣٤)، ومسلم (ص ٩٧٣).
(٢) المراد به الحِجْرُ، يعني حِجْر الكعبة الذي يطلق عليه الناس الآن: حِجْر إسماعيل.

ويلتحق بهذا الأصل إذا كان شخص ما يرى رأيًا معينًا في مسألة معينة، وهذا الرأي مستغرب عند عموم الناس، فعليه أن يعمل به لكن لا يفتن المسلمين بصنيعه.

● ومن ذلك فعل أبي هريرة رضي اللَّه عنه، فكان رضي اللَّه عنه يرى أن الوضوء يستحب فيه غسل اليدين إلى الإبطين ويستدل بحديث: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[1] .

ولكن لما كان هذا الفهم بعيدًا وليس له كبير وجه عند الجماهير كان أبو هريرة يخفي وضوءه عن الناس حتى رآه بعضهم فقال: «لو أعلم أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء».

أما إذا كان هناك إثم سيرتكب وذنب سيُقترف فلا وجه لمراعاة كلام الناس ولا للالتفات إليه، بل يترك الذنب ويجتنب الإثم طاعةً للَّه وطاعةً لرسوله ﷺ فطاعة اللَّه ورسوله فوق كل طاعة.

قال النبيُّ ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**»[2] .

---

(١)أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٥٠) من طريق أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة رضي اللَّه عنه وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ أنتم ها هنا؟ لو علمت أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء سمعت خليلي، يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء». قلت: والمراد بالحلية: النور والبياض يوم القيامة.

(٢)البخاري (حديث ٧١٤٥)، ومسلم (حديث ١٨٤٠) من حديث علي رضي اللَّه عنه قال: بعث رسول اللَّه ﷺ سريَّةً واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطبًا فجمعوا له ثم قال: أقدوا نارًا، فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول اللَّه ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول اللَّه ﷺ من النار، =

● وقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٨ - ١٩].

● فقد تؤدي مراعاة الناس على حساب الحق إلى النار والعياذ باللَّه كما صدر من أبي طالب عمِّ رسول اللَّه ﷺ[١] لما قال له النبيُّ ﷺ: «**قل: لا إله إلا اللَّه، أشهد لك بها يوم القيامة**»، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررتُ بها عينكَ، فأنزل اللَّه: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]

● وكما صدر من هرقل لما آثر إرضاء الناس على طاعة اللَّه والإيمان به فآل به ذلك إلى الكفر والعياذ باللَّه، والحديث بذلك في «الصحيحين»[٢].

وفيه: «فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها: فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبيَّ؟ فحاصوا حيصةَ حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليَّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيتُ. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل».

● وانظر إلى قول النبيِّ ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[٣].

= فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطُفِئت النارُ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف».

(١) مسلم (ص ٥٥).

(٢) البخاري (حديث ٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٥٦، ٤٦٠) والترمذي (حديث ٢٣٧٦) من حديث =

فانظر كيف يصنع الحرصُ على المال والشرف بالدين؟!!

إنه يُدمره ويهلكه ويفسده كما يفسد الذئبان الجائعان في زريبة الغنم!!

فإياك ثم إياك أن تحرص على المال والشرف على حساب دينك.

فالحرص على المال قد يحمل الشخص على كسب الحرام وعلى أكل حقوق الناس وعلى الوقوع في الشبهات.

والحرص على الشرف يجعل الشخص يسكت عن الحق ويقع في الرياء ويقع في المداهنة.

* * *

= كعب ابن مالك رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وهو صحيح.

• إنزال الناس منازلهم •

وإضافةً إلى ما تقدم، فللناس منازل أنزلهم الله إياها، فرفع الله هذا، وخفض هذا، ومنَّ على هذا بالمنصب والجاه، وسلب ذاك المنصب والجاه، ومنَّ على هذا بالمال والبنين ومنع هذا، ووهب لهذا الذكور، ووهب لهذا الإناث، وجعل ذاك عقيمًا.

وكل هذه نعمٌ وابتلاءات من الله يبتلي بها العباد، وقد جعل اللهُ عزَّ وجلَّ بعض العباد لبعض فتنة: غنيهم فتنة لفقيرهم، وفقيرُهم فتنة لغنيهم، ضعيفُهم فتنة لقويهم، وقويهم فتنة لضعيفهم، وسيدُهم فتنة لعوامِّهم، والعوامُ فتنة للملوك والسادة:

• كل هذا كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

• وكما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

• وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥، ٧٦].

فللغني حق ومنزلة، وللفقير كذلك طريقة في المعاملة، وللقوي حق، وللضعيف حق، وللسيد حق، وللمسود حق، وللحر حق، وللعبد حق،

وللصالح حق، والطالح ينظر في أمره بحسبه.

فجدير بالعبد أن ينظر إلى حقوق العباد فيؤديها إليهم فيجلب لنفسه بذلك رضا الرب ثم محبة العباد، واللَّه الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وها هي بعض المواقف من رسول اللَّه ﷺ تبيِّن كيف كان عليه الصلاة والسلام ينزِّل الناسَ منازلهم:

• فها هو أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه يأتي بأبيه أبي قحافة إلى رسول اللَّه ﷺ، فيقول الرسولُ ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررتَ الشيخَ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر**»[1] .

• وها هو رسول اللَّه ﷺ ينزِّل أبا سفيان منزلتَه باعتباره شيخًا لقريش فيقول النبيُّ ﷺ في فتح مكة: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»[2] !!

• وها هو رسولُنا ﷺ ينزِّل سعد بن معاذ منزلته باعتباره سيدًا للأوس، فيقول عليه الصلاة والسلام للأنصار لما قدم سعدٌ للحكم في يهود بني قريظة: «**قوموا إلى سيِّدكم**»[3] ، أو قال: «**خيركم**».

• وانظر كذلك إلى قول رسول اللَّه ﷺ في شأن عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة!!**»[4] .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٠) بإسناد صحيح من حديث أنس رضي اللَّه عنه.
وفيه: وجاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول اللَّه ﷺ يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول اللَّه ﷺ فقال رسولُ اللَّه ﷺ .. فذكره.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٢٦٢) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) مسلم (حديث ٢٤٠١).

• وكذلك فانظر إلى مقالة أمير المؤمنين عمر في شأن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه، وبلال: «**أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا**»(١).

• ولما أرسل رسول اللَّه ﷺ رسالته إلى هرقل قال فيها: «**بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من محمد عبد اللَّه ورسوله إلى هرقل عظيم الروم**»(٢).

ومن هذا الباب: التجمل للوفود:

فليس كل الناس يقابلون بثيابك المعتادة، بل ينبغي أن تستقبل وفودك وأضيافك في ثياب نظيفة وتظهر البشاشة لهم والترحيب.

ومن ثم قال عمر لرسول اللَّه ﷺ: «**ابتع هذه تجمَّل بها للعيد والوفود**»(٣).

وذلك لأن الثوب الذي استقبلت به الضيف يكون له وقع في نفس

---

(١) ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠١٤) بإسناد صحيح.

(٢) البخاري (حديث رقم ٧)، ومسلم (١٧٧٣).

قال النووي رحمه اللَّه في بيان فوائد هذا الحديث: ومنها التوقي في الكتابة واستعمال الورع فيها فلا يفرط ولا يفرِّط ولهذا قال النبي ﷺ: «إلى هرقل عظيم الروم». ولم يقل ملك الروم لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولم يقل إلى هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاطفة. فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه ويقدمونه. وقد أمر اللَّه تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ [طه: ٤٤].

(٣) البخاري (حديث ٩٤٨) ومسلم (٢٠٦٨) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن عمر ابن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال: يا رسول اللَّه لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك... فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة..» الحديث.

والشاهد منه: أنَّ الرسول ﷺ أقرَّ عمر رضي اللَّه عنه على قوله تجمل للناس يوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، وإنما أنكر فقط حلة بعينها لكونها سيراء من حرير.

الضيف.

وإذا تذكرك تذكرك به وأنت لابسه وانطبعت في ذهنه صورة عنك وأنت في هذا الثوب، فلتكن إذن الصورة حسنة.

أما جلساؤك المكثرون من مجالستك فهم يرونك في هذا الثوب وفي ذاك، وفي آخر فلا تكاد تثبت لهم إلا صورة شخصك لكثرة ملازمتهم لك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

وتُراعى أحوال الصغار وأقدار الصغار كذلك:

• قال أنس بن مالك رضي الله عنه[١] : إن كان النبيّ ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: «**يا أبا عمير، ما فعل النُّغَيْر؟**».

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت ألعب بالبنات[٣] عند النبيِّ ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن[٤] منه، فيسربهن[٥] إليَّ فيلعبن معي».

• وأخرج البخاري ومسلم[٦] في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الحبش يلعبون فسترني رسولُ الله ﷺ وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا انصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).
(٢) البخاري (حديث ٦١٣٠)، ومسلم (مع النووي/ ٥/ ٢٩٥).
(٣) البنات هي صور البنات التي يلعب بها الأطفال.
(٤) ينقمعن: أي يتغيبن ويدخلن وراء الستر.
(٥) يسربهن: أي يرسلهن.
(٦) البخاري (٥١٩٠)، ومسلم (٨٩٢).

السن الحريصة على اللهو».

ويراعي رسول اللَّه ﷺ أحوال النساء:

• ففي «الصحيحين»[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: أتى النبيُّ ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: «**ويحك يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير**».

وينظر في حال السفيه كذلك:

فلا تعطه المال يتصرف فيه كيف يشاء بالعبث والإتلاف والإهلاك.

وأيضًا لا يحرم حقه وحظه من الاستمتاع كغيره.

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ [النساء: ٥].

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٥٣٨)، ومسلم (٥/١٧٧).

• حـق الكبـيـر •

وللكبير حقٌّ!!

فمن حقه أن يوقَّر وأن يبجل وأن يحترم، بهذا جاءت سنةُ نبينا ﷺ.

• قال ﷺ: «**ليس منَّا من لم يعرف حقَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا**»[1] .

فانظر إلى قوله: «**ليس منَّا**» تلك اللفظة التي تستعمل في شأن من يرتكب الكبائر، قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منَّا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»[2] .

فاستعملت لفظة «**ليس منَّا**» في حق من لم يوقِّر الكبير كما استعملت في حق من لطم الخدود!!

• وقال ﷺ: «**أراني أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر منهما فقيل لي: كبِّر، فدفعته إلى الأكبر منهما**»[3] .

• ولما جاء حوِّيصة ومحيِّصة إلى رسول اللَّه ﷺ وذهب مُحيِّصة يتكلم قال له النبيُّ ﷺ: «**كبِّر كبِّر**» يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة[4].

• وقال النبيُّ ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب اللَّه وأقدمهم قراءة، فإن كانت**

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أحمد (٢/٢٠٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٥)، وله طرق.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧)، ومسلم (١٠٣) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا (حديث ٢٤٦).

قال الحافظ: وقد وصله أبو عوانة في «صحيحه» عن محمد بن إسحاق الصغاني وغيره، وأخرجه مسلم أيضًا (حديث ٣٠٠٣).

(٤) البخاري (٧١٩٢).

قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنًا..»[١] .

فإذا استووا في قراءتهم وعلمهم وهجرتهم فكما أرشد النبي ﷺ فليؤمهم أكبرهم سنًا.

● وفي حديث مالك بن الحويرث رضي اللَّه عنه قال: أتينا رسول اللَّه ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رسول اللَّه ﷺ رحيمًا رفيقًا فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال: «**ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومُرُوهم فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدُكُم ثم ليؤمكم أكبركم**»[٢] .

فلما استووا في مجيئهم إلى رسول اللَّه ﷺ وفي علمهم بالسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ليؤمكم أكبركم**».

● وقال ﷺ: «**يسلم الصغيرُ على الكبير**»[٣] .

فدلت هذه الأدلة وغيرها أيضًا من الأدلة على تأكيد حق الكبير على الصغير.

وفي الحقيقة إن هذا أدب غفل عنه كثير من إخواننا، نسوا أو تناسوا حق كبار السن!

وقصَّروا في إعطائهم الحق الذي لهم، فلا يمتنع أحدهم من التقدم بالحديث على كبار السن، ولا يمتنع أحدهم من مخاطبته كما يخاطب من هو

(١) أخرجه مسلم (ص ٤٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٢٨)، ومسلم (حديث ٦٧٤).
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٢٣١).

في سنِّه، بل ولا يمتنع أحـدهم من النيل من الكبـيـر دون أدنى التفـات إلى أحاديث رسولِ اللَّه ﷺ! وفي الحقيقة إن هذا مما يسيء إلى ديننا[1] وإلى سنة نبـينا ﷺ، خاصة إذا كان هذا التصـرف يصدر ممن ظواهرهم التمسك بسنة رسول اللَّه ﷺ.

فكم سجـد هذا الكبيـر للَّه من سجـدة؟!! وكم هلَّل من تهليلة؟!! وكم سبَّح من تسبيحة؟!!

وكم تبع من جنازة؟!! وكم عاد من مريض؟!!

وكم صبر هذا الكبير على ابتلاء؟! وكم شكر من نعماء؟!!

وكفى أن النبيَّ ﷺ حثَّ على إكرامه وتبجيله وتوقيره.

فجدير به أن يُحترم، وجدير به أن يوقر وحريٌّ به أن يُبجَّل.

وأنت أيها الكبير:

ضع نفسك في منزلتك التي أنزلك اللَّه إيَّاها.

فأنت أكبر سنًا وأنت أعـقل وأنت أكثر خبرة وأكثـر تجربة في هذه الحياة،

---

(١) وديننا والحمد للَّه كله مـحاسن فما صدر من تصرفـات من بعض الأشخاص ذوي الخلق السيئ يجب أن يتـحملوه هم، فالدين من أفـعالهم بريء والسُّنة من أفعـالهم بريئة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وجدير بكل عاقل أن يدرك هذا وأن يعيه.

ونقترب من الحقائق بصورة أصرح فنقول:

قد يكون هناك شخص متـبعٌ للسنة مظهرًا وتصدر منه مخالفات في أخلاقـياته وتعاملاته مع الناس كأن يكون غشاشًا أو كذابًا أو غـادرًا أو آكلاً أموال الناس بالباطل إلى غير ذلك من التصرفات السيئة التي حرمهـا شرعنا وحاربها ديننا، فلا ينبغي أن يُتهم ديننا بل المتهم هو الجاني على نفســه، وكذلك لا يتهم أتباع ديننا إنما يتهم مقـترف الإثم والسوء منهم، ولا تزر وازرة وزر أخرى كما قال اللَّه تبارك وتعالى.

ثم إنك أكثر علمًا وأكثر حلمًا.

هذا هو المفترض فيك أيها الكبير ، فلتكن كذلك ولتتخلق بمقتضى ذلك.

عامل الصغير برفق، عامل الصغير بحلم، كن له أبًا حنونًا، وكن له معلمًا رحيمًا.

خذ بيده للخير، أرشده إلى الصواب.

وعلى المرء أن يعرف قدر نفسه وأقدار الناس:

● ففي «الصحيحين»(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّه ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاةُ فجاء المؤذن إلى أبي بكر، فقال: أتصلي بالناس فأُقيمَ؟ قال: نعم، قال: فصلَّى أبو بكر فجاء رسول اللَّه ﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وَقف في الصفِّ فَصَفَّق الناسُ وكان أبو بكر لا يلتفتُ في الصلاة فلما أكثر الناس التصفيقَ التفتَ فرأى رسولَ اللَّه ﷺ فأشار إليه رسول اللَّه ﷺ أن امكثْ مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد اللَّه عزَّ وجلَّ على ما أمره به رسولُ اللَّه ﷺ من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصفِّ وتقدم النبيُّ ﷺ فصلى ثم انصرف فقال: «**يا أبا بكر، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**» قال أبو بكر: «ما كان لابن أبي قحافة أن يصليَ بين يدي رسول اللَّه ﷺ».

فانظر إلى قوله: «ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول اللَّه ﷺ»!!.

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٤)، ومسلم (حديث ٤٢١).

وكذلك قال عمر[١] رضي اللَّه عنه: «لئن أتقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتأمَّر على قومٍ فيهم أبو بكر».

• وانظر إلى فقه عبد اللَّه بن عباس وفهم عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما، وهو يقول[٢] : «أتيتُ رسول اللَّه ﷺ من آخر الليل فصليتُ خلفه فأخذ بيدي فجرَّني فجعلني حِذاءه فلما أقبل رسول اللَّه ﷺ على صلاته خنست، فصلى رسولُ اللَّه ﷺ فلما انصرف قال لي: «**ما شأني أجعلك حذائي فتخنس؟!**» فقلت: يا رسول اللَّه، أوينبغي لأحد أن يُصليَ حذاءك وأنت رسول اللَّه الذي أعطاك اللَّه؟ قال: فأعجبته فدعا اللَّهَ لي أن يزيدني علمًا وفهمًا، ثم قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ نام حتى سمعته ينفخُ ثم أتاه بلال فقال: يا رسول اللَّه الصلاةَ، فقام فصلى ما أعاد وضوءًا.

• وكذلك في «الصحيحين»[٣] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم**» فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم فَسكَتُّ، قال النبيُّ ﷺ: «**هي النخلة**».

فانظر إلى قوله: «فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ»!!

• وفي رواية أخرى: «فجعلت أُريد أن أقولها فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلم».

• وفي «صحيح مسلم» من حديث سمرة بن جندب[٤] قال: «لقد كنت على عهد رسول اللَّه ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه: فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً أسنَّ منِّي».

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٩٨٣) بإسناد صحيح.
(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠) بإسناد صحيح.
(٣) البخاري (حديث ٧٢)، ومسلم (٢٨١١). (٤) «صحيح مسلم» (ص ٦٤٤).

• مراعاة مناسبات الكلام •

فكما قال القائل: لكل مقامٍ مقالٌ.

فلا تأتِ في وقت عرس وتحدث الناس بالموت مستدلاً بقول النبيِّ ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»[١] ، وتاركًا قوله عليه الصلاة والسلام: «**يا عائشة ماذا كان معكم من اللهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو**»[٢] .

ومن مراعاة المناسبات كذلك:

• قول عليٍّ رضي اللَّه عنه: كنت رجلاً مذاءً[٣]، وكنت أستحيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته فأمرت المقدادَ بن الأسود فسأله فقال: «**يغسل ذَكَرَهُ**»[٤].

فالاستفتاء جائز مشروع وسؤال الشخص عما يعتريه ويحتاج إليه مستحبٌّ ومحمود، لكن ما دام بالإمكان نيل المراد بأسلوب لا يخدش حياء فهو أولى وأليق، فعليٌّ رضي اللَّه عنه متزوج بفاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ ورضي اللَّه عنها فحياؤه يمنعه من ذكر ما يتعلق بالجماع أمام أبيها صلوات اللَّه وسلامه عليه.

وأخذ العلماء من ذلك ترك ذكر ما يتعلق بجماع النساء أمام محارمهن لما فيه من خدشٍ لحياء هؤلاء المحارم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٤) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٥).
(٣) المذَّاء: هو كثير المذي، والمذيُ ماءٌ أبيض رقيق لزج يخرج بشهوة، ولا يخرج متدفقًا ولا يتبعه فتور، ولا تنقضي بخروجه شهوة، وقد لا يحس الرجل بخروجه وهو في الرجال والنساء، وقال بعض العلماء: إنه في النساء أكثر.
(٤) البخاري (حديث ٢٦٩)، ومسلم (حديث ٣٠٣).

ولكن إذا وجدت مصلحة شرعية في التعريض بذكر ما يتعلق بالجماع أمام النساء فلا بأس.

• **ومن ذلك**: أن عمرو بن العاص كان يسأل زوجة ابنه عن حالها مع زوجها، قال عبد اللَّه بن عمرو[1] رضي اللَّه عنهما: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنتَّه فيسألها عن بعلها فتقول: نِعْمَ الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «**القني به**» فلقيته بعد فقال: «**كيف تصوم؟**» قلتُ: أصوم كل يوم، قال: «**وكيف تختم؟**» قلتُ: كل ليلة، قال: «**صم في كل شهر ثلاثةَ أيام واقرأ القرآن في كل شهر**» قال: قلتُ: أطيق أكثر من ذلك، قال: «**صم ثلاثة أيام في الجُمُعة**»، قال: قلتُ: أطيقُ أكثر من ذلك، قال: «**أفطر يومين وصمْ يومًا**»، قال: قلتُ: أطيق أكثر من ذلك، قال: «**صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً**»، فليتني قبلتُ رخصةَ رسول اللَّه ﷺ، وذلك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئًا فارق النبيَّ ﷺ عليه.

• قال أبو عبد اللَّه [البخاري]: وقال بعضُهم: في ثلاث أو في سبع، وأكثرهم على سبع.

* * *

(١) البخاري (حديث ٥٠٥٢).

• إقالة العثرات والنظر إلى سوابق الناس في الخير •

وما من الناس أحدٌ إلا وهو يذنب وقد دلت جملة من الأدلة على هذا:

• قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

• وقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته»[١].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظرُ، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلامُ، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصدِّق ذلك الفرج ويُكذِّبه»[٢].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب اللَّه بكم ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون اللَّه فيغفر لهم»[٣].

فلا تعتقد في شخص من الأشخاص العصمة، فحتى التقي يصدر منه الذنب بل قد تصدر منه الكبيرة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ..﴾ [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) الترمذي (٣٠٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وله شاهد عند ابن حبان (٢٠٨٢ موارد) والحاكم (١/ ٦٤) والحديث صحيح لشواهده.

(٢) البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

فذكر من صـفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

فيا سبحان اللَّه! حتى التقي قد تصدر منه الفاحشة؟!!

ولكنه رجَّـــاع!! إنه أوَّابٌ!! ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فإذا أذنب شخصٌ ذنبًا أو وقع في كبيرة من الكبائر فـلا تقنطه من رحمة اللَّه ولا تكن عونًا للشيطان عليـه، وقد قال النبيُّ ﷺ للصحـابة رضي اللَّه عنهم، لما قال رجلٌ منهم لرجلٍ شرب الخمـر فجُلد: ما له أخزاه اللَّهُ! - قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**»[1].

فلا تذهب سيئةٌ اقترفها الرجل أو حتى كبيرةٌ من الكبائر بكُلِّ حسناته.

فإن الـلَّه سبـحانه حكمٌ عـدلٌ، يضع الموازين بالقسط، ومـا ربك بظلام للعبيد.

أظنك يا أخي الكريم لا تخـالفني في أن رمي المحصنة المـؤمنة بالفاحـشة كبيرة من الكبائر؟!! قول الرجل عن مرأة صالحة مؤمنة عفيفة تقية: إنها زنت وزنت بفلان، كـذبًا وزورًا، لا تخالفني أخي القـارئ في أن هذا كـبيرة من

(١) الرواية عند البخاري (٦٧٨١).

الكبائر، بل موبقةٌ من الموبقات ومُهلكة من المهلكات.

وأنى لك بمخالفتي وقد قال النبيُّ ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: وما هن يا رسول اللَّه؟ قال: «... **وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[١].

فلذلك لا أراك تخالفني في ذلك!!

ولا أراك تخالفني في أن المرأة إذا ازداد صلاحها وعظم فضلها، كان قذفها أشد إثمًا!!

ثم لا يحل لك أن تخالفني في أن قذف زوجة رسول الله ﷺ، أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، أعظم القذف على الإطلاق وأشده جُرْمًا، وأعظمه إثمًا!!

ثم كيف إذا لم يأت القاذف ببينة على قذفه؟!!

ثم كيف وقد جاء تكذيب القاذف وجاءت براءة الطيبة الطاهرة عائشة من عند اللَّه في كتاب اللَّه الذي يتلى في المساجد والمحاريب والكتاتيب والطرق والبيوت!!

فحقًا إن مثل هذا القاذف قد ارتكب جرمًا خطيرًا وإفكًا مُبينًا!!

● لقد كان من القاذفين لأم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها **مسطحُ بن أُثاثة** - قريب لعائشة! قريبٌ لأبي بكر والد عائشة!! رجل فقير وأبو بكر ينفق عليه لقرابته وفقره!!

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٦٦) ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول اللَّه: وما هنَّ؟ قال: «الشرك باللَّه، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

فانظر كيف قذفها وهي قريبته! وأبوها ينفق عليه، وهو لم يرَ شيئًا، ولم يأت ببينةٍ، وهي عفيفة طاهرة طيبة تقية نقية، وهي زوجة رسول اللَّه ﷺ، ثم يقذفها مسطح ويتهمها برجل صالح، ألا وهو صفوان بن المعطل رضي اللَّه عنه.

ثم من الذي برَّأها؟!! إنه اللَّه سبحانه وتعالى هو الذي أنزل براءتها وبيَّن إفك الأفاكين وافتراء الكاذبين عليها.

ومع هذا كله، مع هذه الجرائم التي ارتكبت في حق عائشة وصفوان، وفي حق أبي بكر، وفي حق رسول اللَّه ﷺ، بل وفي حق المسلمين أجمعين بقذف زوجة نبيهم ﷺ، لكن للرجل فضلٌ في باب لا يُهدر وسابقةٌ للخير لا تُنسى، ومعروف ينبغي أن يُذكر.

إن الرجل مسلمٌ!!

إنه مهاجر في سبيل اللَّه!!

إنه بدريٌّ شهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ!!

فهو وإن زلَّت قدمُه في مسألة من أعظم المسائل، وارتكب كبيرة من أعظم الكبائر، لكنه لا يبخس حقه ولا يُنسى فضلُه، ما دامت قد ظهرت براءة أم المؤمنين عائشة على رءوس الأشهاد، واعترف الرجل بذنبه، وأقرَّ بخطئه بل وكذَّبه ربُّه.

ولكن مع ذلك فباب التوبة مفتوح، بل وباب العفو مندوب إليه ومرغبٌ فيه.

● قال اللَّه سبحانه وتعالى لعموم المؤمنين، ولأبي بكر رضي اللَّه عنه

الذي اتُّهمت ابنتُه وبرَّأها اللَّهُ: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢].

حقًا إنها رحمة، إنه عدل وإنصاف وإرشاد إلى الفضل والعفو.

إن الرجل من أولي القربى لأبي بكر، إنه مسكين، إنه مهاجر، ألا فلتعف عنه يا أبا بكر فإنك من أهل الفضل وممن وسَّع اللَّه عليهم.

فاعف يا أبا بكر واصفح يا أبا بكر، ألا تحب أن يغفر اللَّه لك يا أبا بكر!!

ابنتك قد برَّأها اللَّه، فاعف حينئذ واصفح!

ترى ماذا كان من الصِّدِّيق أبي بكر قبل نزول الآية الكريمة وبعد نزولها؟ كأي رجل تأخذه الحميّة في الحق ويأخذه الانتصار للمظلوم ومعاقبة الظالم، يقول أبو بكر: واللَّه لا أنفق على مسطح بعد اليوم! فينزل قوله تعالى: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢].

فيقول أبو بكر: واللَّه لا أمنع عن مسطح النفقة أبدًا.

حقًا إنك مؤمن يا أبا بكر، حقًا إنك محسن، حقًا إنك صِدِّيقٌ، فرضي اللَّه عنك.

وهنيئًا لك بعفو اللَّه عنك وبرضوان اللَّه عليك.

هنيئًا لك إذ تُدعى من أبواب الجنة كلها! هنيئًا لك بالفردوس!

هنيئًا لك إذ تدخل عليك الملائكة من كل باب: سلام عليك بما صبرت فنعم عقبى الدار!!

• **وها هو رجل آخر، هذا حاطب وها هي قصته، وهذا الموقف منه:**

إنه حاطب بن أبي بلتعة رضي اللَّه عنه وعفا اللَّه عنه مسلم مهاجرٌ بدريٌّ شهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ.

• أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث علي رضي اللَّه عنه قال: بعثني رسولُ اللَّه ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ فخذوا منها**» قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظَّعينة فقلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقِينَّ الثياب، قال: فأخرجَتْه من عِقاصها فأتينا به رسولَ اللَّه ﷺ، فإذا فيه: مِن حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يُخبرهم ببعض أمر رسول اللَّه ﷺ، فقال: رسولُ اللَّه ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**» قال: يا رسول اللَّه لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءًا مُلصقًا في قريش - يقول: كنت حليفًا - ولم أكن من أنفُسها، وكان من معك مِنَ المهاجرين مَن لهم بها قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببتُ إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يَحمُون قرابتي ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أما إنه قد صدقكم**» فقال عمر: يا رسول اللَّه دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل اللَّه اطلع على من شهد بدرًا، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**» فأنزل اللَّه السورة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي**

(1) البخاري (حديث ٤٢٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤).

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [الممتحنة: ١].

فانظر إلى تصرف رسول اللَّه ﷺ مع هؤلاء الذين لهم سابقة في الخير: كيف عاملهم وتجاوز عن زلاتهم؟!

• وانظر إلى تصرفه ﷺ مع العرنيين الذين ما ظهر منهم إلا الغدر والكفر والقتل والخداع، أتوا إلى رسول اللَّه ﷺ المدينة فأسلموا ثم استوخموا المدينة وشكوا بطونهم فأمر لهم رسول اللَّه ﷺ بإبل الصدقة يخرجوا مع راعيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحّوا ارتدوا وكفروا وقتلوا الراعي وسرقوا الإبل؟

هكذا جازوا رسولَ اللَّه ﷺ ، وهكذا كان شكرهم ورزقهم أنهم يكذبون ويرتدون، ويكفرون ويقتلون ويسرقون!!

فترى كيف يُتعامل مع هؤلاء الكفرة الفجرة اللصوص القتلة؟!

تصرف معهم نبينا ﷺ تصرفًا رشيدًا، إنه تصرف مَنْ لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل إلا ما أمره به ربُّه عزَّ وجلَّ، أرسل في إثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسَمَّل أعينهم بالمسامير المحماة، ثم تركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون، جزاءً وفاقًا وما ربُّك بظلام للعبيد.

وها هي قصتهم وهذا حديثهم:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قال: قدم رهط من عُكلٍ على النبيِّ ﷺ كانوا في الصفّة، فاجتووا المدينة فقالوا: يا

(١) البخاري (حديث ٦٨٠٤)، ومسلم (١٦٧).

رسول اللَّه أبغنا رسْلاً، فقال: «**ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول اللَّه**»، فأتوْها فشربوا من ألبانها حتى صحُّوا وسمنوا وقتلوا الراعيَ واستاقوا الذّودَ، فأتى النبي ﷺ الصريخُ، فبعث الطلب في آثارهم فما تراجع النهارُ حتى أتى بهم، فأمر بمساميرَ فأحميت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم، ثم أُلقوا في الحرة يستسقون فما سُقوا حتى ماتوا.

ومن هذا الباب ـ باب معرفة سوابق الناس في الخير ووضعها في الاعتبار عند التعامل معهم ـ: ما جاء عن رسول اللَّه ﷺ **في شأن الأنصار**، وقد قدَّم الأنصار لنصرة هذا الدِّين ما لا يخفى على أحد، فلذلك أوصى بهم النبي ﷺ في آخر خطبة خطبها:

● ففي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: صعد النبي ﷺ المنبر وكان آخر مجلس جَلسه متعطّفًا ملحفةً على منكبيه قد عصب رأسه بعصابة دسمة فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس إليَّ**»، فثابوا إليه ثم قال: «**أما بعد فإن هذا الحي من الأنصار يقلُّون ويكثر الناسُ فمن وليَ شيئًا من أمة محمد فاستطاع أن يَضُرَّ فيه أحدًا أو ينفع فيه أحدًا فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم**».

وهذا نبي اللَّه موسى ﷺ:

● قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها!!

● ألقى الألواح فتكسرت الألواح على الأرض!!

● أخذ برأس أخيه يجرُّه إليه!!

---

(١) البخاري (حديث ٩٢٧).

- فقأ عين ملك الموت!!
- ولكنه مع ذلك من أولي العزم من الرسل.
- صبر صبرًا جميلاً، كما قال رسول اللَّه ﷺ لما أوذي: «**رحم اللَّه موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1] .
- ابتلي بمجابهة فرعون ومواجهته، ذلكم الطاغية فرعون الذي كان يذبح الرجال ويستحيي النساء ويهدد من خالفه أو عصاه بالصلب في جذوع النخل وأن تقطع يده مع رجله من خلاف!!
- أوذي موسى ﷺ أذىً شديدًا من بني إسرائيل.
- ألقته أمُّه في اليمِّ وهو صغير.
- دعا إلى اللَّه وإلى سبيله وتوحيده زمنًا طويلاً وكابد فيه غاية المكابدة.

فكل هذه، وغيرها كذلك ـ مناقبُ تُذكر ولا تُغفل، بل هي جبال من الحسنات وبحور من الفضائل تدخل في الاعتبار كما قال القائل:

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣٤٠٥)، ومسلم (حديث ١٠٦٢) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: «لما كان يومُ حُنين آثر رسول اللَّه ﷺ ناسًا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عُيينة مثل ذلك وأعطى أُناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجلٌ: واللَّه إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أُريد فيها وجهُ اللَّه. قال فقلت: واللَّه لأخبرنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: فأتيته فأخبرتُه بما قال، قال: فتغيَّر وجهُهُ حتى كان كالصِّرف(*) ثم قال: «فمن يعدل إن لم يعدلِ اللَّه ورسولُه» ثم قال: «يرحم اللَّه موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فَصَبَرَ».
قال: قلتُ: لا جرم(**) لا أرفع إليه بعدها حديثًا.

(*) الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود.
(**) لا جرم: حقًا.

وإذا ما الحبيب أتى بذنب　　جاءت محاسنه بألف شفيع

- فعُفي لموسى عليه السلام عن قتل النفس!!
- وعُفي له عن إلقاء الألوح!!
- وعُفي له عن الأخذ برأس أخيه وجرِّه إليه!!
- وعُفي له عن فقأ عين ملك الموت!!

وكان عند اللَّه وجيهًا.

وكلمه اللَّه تكليمًا

واصطفاه اللَّه على الناس ـ أهل زمانه ـ برسالاته وبكلامه.

واستر على العباد ولا تفضحهم:

- ففي فضيحتهم إثم، وفي الستر عليهم أجرٌ وسترٌ من اللَّه عليك يوم القيامة، وعرضهم عرضك وفضيحتهم فضيحة لك، فالمسلمون جسد واحد، فالحذر الحذر من فضيحتهم والتشهير بهم.
- قال اللَّه سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النور: ١٩].
- وقال النبي ﷺ: «**لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره اللَّه يوم القيامة**»[١].
- وقال ﷺ: «**ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه يوم القيامة**»[٢].

---

(١) مسلم (ص ٢٠٠٢) وله لفظ آخر عند مسلم، وكلاهما من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ: «لا يستر اللَّه على عبد في الدنيا إلا ستره اللَّه يوم القيامة».

(٢) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

واستر على نفسك ولا تفضحها:

فإذا ابتليت بمعصية فعليك أن تستر على نفسك ولا تتحدث بها ففي الحديث بها إثم، فضلاً عن عدم المعافاة، وفضلاً عن التشهير بنفسك عند الناس بما يكون سببًا في صدِّك عن التوبة والإنابة والرجوع إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

• أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: **«كلُّ أُمَّتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره اللَّه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويصبح يكشف ستر اللَّه عنه»**.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٩)، ومسلم (حديث ٢٩٩٠).

الفهارس

١- فهرس أطراف الأحاديث.

٢- فهرس الموضوعات.

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهــــرس

الفهـــرس

تم الصف التصويري بمكتب
إحياء السنة
القاهرة / ت: ٢٩٩٤٥٠٠ - ٠١٢٢٧٣١٣٠٥

رقم الإيداع : ١٧٩٤١ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : I.S.B.N.: 977 - 5932 - 23 - 8